Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

PT 15
Madame
27/4/45
C
172

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان صردر

نظم الشاعر

الرئيس أبى منصور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل

الشهير بصرّدر

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

893.75a75
L

45-39141

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

45.3914 Nash 15.1947 EM/HLF

فهرس

قوافى ديوان صَرَّ دُرّ

قصائد هـذا الديوان غير مرتّبة فى الأصل على الحروف الهجائيّـة، فطبعناها كما هى، ووضعنا لها هذا الفهرسَ على الترتيب الهجائىّ لسهولة المراجعـةِ فى هذه الطبعـة، والحروفُ الهجائيّةُ التى لم تُذكَر هنا لا يوجدُ منها شىءٌ للشاعر فى هـذا الديوان.

قافيـــة الهمزة ١١٨ — ١٢٢، ١٣٥ — ١٤٠

« البـاء ٤٢ — ٤٣، ٦٣ — ٦٦، ٩٣ — ٩٩، ١٢٨ — ١٣١، ٢٠٠ — ٢٠١، ٢١١، ٢١٦ — ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٢

« التـاء ١٩٢

« الثـاء ٢١٢

« الجـيم ٢١٩ — ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣١

« الحـاء ٢٢٤، ٢٣٠

« الدال ٣٨ — ٤٢، ١٠٥ — ١١٠، ١٣١ — ١٣٤، ١٥٨ — ١٦١، ١٨٩، ١٩١، ٢١٠ — ٢١١، ٢١٣ — ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٠

« الراء ٢٧ — ٣٠، ٤٨ — ٥٢، ٥٦ — ٦٢، ٧٦ — ٨٨، ١٠٣ — ١٠٤، ١٥٣، ١٧٦ — ١٨١، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦ — ٢٠٠، ٢٠٣ — ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٢ — ٢٢٣

قافيـــة الزاى ١٥٣
« السين ١ — ٦، ٩٢ — ٩٣، ٢٢٦، ٢٣٠
« الصاد ٧٤ — ٧٦،
« الضاد ٤٤ — ٤٧، ٢٢٥
« الطاء ٢٢٨ — ٢٢٩
« العين ٦٦ — ٧٤، ١٦٢ — ١٦٦، ١٨١ — ١٨٣، ١٩٥، ٢٢٣
« الفـاء ١٩٤ — ١٩٥، ٢٠٥ — ٢٠٦
« القاف ١٠٢ — ١٠٣، ١١٠ — ١١٤، ١٢٣ — ١٢٨، ١٤٨ — ١٥٢، ١٥٣، ١٩١، ٢١٨، ٢٣١
« الكاف ٢٣١
« اللام ٢٢ — ٢٦، ٣٠ — ٣٤، ٩٩ — ١٠٢، ١٤٥ — ١٤٨، ١٥٢، ١٥٤ — ١٥٨، ١٦١ — ١٦٢، ١٦٧ — ١٧٦، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٢ — ٢٠٣، ٢٠٩ — ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧ — ٢١٨، ٢٢٠ — ٢٢٢، ٢٢٩
« الميم ٣٤ — ٣٨، ٨٨ — ٩٠، ١١٤ — ١١٨، ١٨٤ — ١٨٩، ١٩٢، ٢٠٦ — ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٤ — ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢
« النون ٧ — ٢٢، ٥٣ — ٥٦، ٩٠ — ٩١، ١٤٠ — ١٤٤، ١٩٠، ١٩٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٦
« الهـاء ٢١٦، ٢٢٦ — ٢٢٧

ديوان صَرَّ دُرّ

أخرجتْ دارُ الكتب المصريّة هذا الديوانَ النفيسَ للشاعر المشهور، والكاتب المعروف "بصَرَّ دُرّ" فى عصرِ حضرة صاحبِ الجلالة مليك مصر المعظَّم

"فؤاد الأوّل"

حفِظه الله وأقرَّ عينَىْ جلالتِه بولىِّ عهده المحبوب

"أمير الصعيد"

صَـــرَّ دُرّ

طالعنا طائفـةٌ كثيرةٌ من الكتب الأدبيّة والتاريخيّة لنقفَ منها على ما تحدِّثُنا به عن حياةِ هذا الشاعر، وإنا لنذكُرُ من هذه الكتب "مرآة الزمان" و"النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة" و"شذرات الذهب" وتاريخ ابن كثير المسمَّى "البداية والنهاية"، وكتاب "وفيات الأعيان" و"المنتظم، فى تاريخ الملوك والأمم" و"الكامل" لابن الأثير. وقد ورد اسم هـذا الشاعر فى بعض هـذه الكتب مضبوطا بالقلم بفتح "الصاد" وورد فى تاريخ "الكامل" و"المنتظم" مضبوطا بضمّها. ويظهـر أنّ المرحوم البارودى كان من المرجّحين ضـبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك فى غير موضـع من مختاراته. ونحن ليس لدينا ما نستيقن به وجه الصواب فى ضـبطه. بَيْدَ أنّ البيتين اللذين قالهما "الشريف أبو جعفر المعروف بالبياضىّ" وهو أحد الشعراء المعاصرين لصاحب الترجمة يهجوه بهما يرجّحان فتح "الصاد"، وهما :

لئن لقّب الناسُ قِدْما أباكَ ... وسمّوْهُ من شُحّه "صَرَّ بَعْرا"
فإنكَ تنـثُرُ ما "صَـرّه" ... عُقوقا له وتُسمّيه شِـعرا

* * *

وأمّا سيرة حياته فقد اتفقتْ هـذه الكتب على ترجمةٍ كادت تكون متشابهةً فى جُمَلها وألفاظِها، ونحن ننقُلُها هنا عن كتاب "وفيات الأعيان" قال :

"هو الرئيس أبو منصـور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب المعروف والشاعر المشهور "بصرّ دُرّ"، أحد نجباء عصره، جمع بين جَودةِ السبكِ وحُسن المعنَى،

وعلى شـعره طُلاوةٌ رائقة، وبهجةٌ فائقـة ، وله ديوانُ شعرٍ صغير، وإنما قيل له "صَرَّدُرّ" لأن أباه كان يُلقَّبُ "صَرَّبَعْر" لشُحِّه، فلمّا نبغ ولدُه المذكور، وأجاد فى الشعر ، قيل له : "صَرَّدُرّ"[1].

وكانت وفاتُه سـنة خمس وستين وأربعمائة هجرية ؛ وكان سببُ موته : أنه تردَّى فى حُفرةٍ حُفرتْ لأسـد فى قريةٍ بطريق خراسان ، وكانت ولادته قبل الأربعمائة" . اهـ .

* * *

وقد نُقلت هذه الطبعة عن نسخةٍ خطيّة كتبها لنفسه بقلمه المرحوم محمود سامى البارودى باشا، وهى محفوظةٌ بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٥٠٨ أدب. وآحتفاظا بخطه رحمه الله نقلنا له بالتصوير الشمسىّ نبذة بخط يده لتكون خير أثرله على ممـرّ الأيام، وهى النبذة المذكورة فى صفحة ٢٣٤

وقـد شرحنا ما غمض من الكلمات شرحا وافيا يقرِّب معانىَ الأبيات الى الأذهان. ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نُهدىَ آىَ الشكر الى حضرتَى صاحب العزّة المربّى الكبير محمّد أسعد برّاده بك مدير الدار، وصاحب الفضيلة السيّد محمد البيلاوى نقيب الأشراف ومراقب إحيـاء الآداب العربيّة، لمـا قاما به نحونا من إرشاد، وما شملانا به من رأيٍ تحيط به الأصالةُ والسـداد . ونشير كذلك الى المعاونة التى لقيناها من حضرة الأسـتاذ أحمد زكى العـدوى رئيس القسم الأدبىّ بدار الكتب المصريّة ومن حضرات العلماء والأدباء المصححين به ، فلهم منا جميعا أجزل الثناء وأجمل الإطراء ؛

أحمد نسيم
بدار الكتب المصرية

(١) أول من لقبه بهذا اللقب نظام الملك ، كما فى الكامل لابن الأثير .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرئيسُ [أبو علىّ][1] أبو منصور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب رحمه اللهُ يمدحُ الإمامَ القائمَ بأمرِ الله[2] — قدَّس اللهُ ضريحَه — :

كما قلتُما : بُرءُ الصبابةِ فى اليأسِ ... وليس لها غيرَ التجلُّدِ من آسِ[3]

فما فى الهوى مَرعًى يطيبُ لذائق ... ولا مَوردٌ عذبٌ يَلَذّ به حاسِ[4]

سؤالُ مغانٍ[5]، ربعُها أخرسُ الصَّدَى[6]، ... وشكوَى إلى مَن قلبُه ليِّنٌ قاسِ

أيَبْيَضُّ فَرعى والجوى فى جوانحى[7] ... كأنّ الهدى ياقلب مسكنُه راسِ

وما هذه اللّمّاتُ[8] إلا صحائفٌ ... محاها بياضُ الشَّيب عن لونِ قِرطاسِ[9]

كأنّ الرُّقَى مما عدِمت شفاءَها ... تعلَّمها الراقون من بعدِ وَسواسِ

مَددتُ يدًا نحوَ الطبيب فردَّها ... إلى النَّحر وٱستغنى بإخبار أنفاسى

وما زال هذا البرقُ حتّى ٱستفزّنى ... سَنَا[10] كلِّ وقّاد ولو ضوءُ نِبراسِ[11]

وليلِ وِصالٍ أسرعَتْ خُطُواتُه ... بهجعةِ سُمّارٍ وغفلةِ أحراسِ

---

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فى المظان ما يؤيد ثبوتها . (٢) القائم بأمر الله : اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله ، ولد سنة ٣٩١ هجرية وتولى الخلافة سنة ٤٢٣ هـ ومات سنة ٤٦٧ هـ ، ومكث فى الحكم ٤٤ سنة . (٣) الآسى : الطبيب . (٤) الحاسى : الشارب . (٥) مغان : جمع مغنى وهو المنزل . (٦) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته . (٧) الفرع : الشعر . (٨) اللمات : جمع لمة — بكسر اللام — وهى الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٩) القرطاس : الصحيفة . (١٠) السنا : الضوء . (١١) النبراس : المصباح .

فما قُصَّ للنَّسرين (١) فيه قوادمٌ (٢) ولا رُبِطتْ ساقُ "الثريا" (٣) بأمراس (٤)

ضحوك ثنيّاتِ الصّباح تخالُه ضياءَ إمامِ الحقّ من آلِ "عبّاس"

هو الوارثُ النُّورَ الذى كان آيةً لآبائه الماضين من عهد "إلياس"

فلو لم يكن للناس فى الليل راحةٌ لضوءٍ (٥) من لألائه كلَّ ديماس (٦)

كأن "رسولَ الله" ألقَى رداءَه من "القائم" الهادى على جبل راس

ضميرٌ جلاه صَيقلُ (٧) الحلم والتُّقَى وكفٌّ حباها الله بالجودِ والباس

ومحتجب بالعزّ لولا مكانه لرُجَّت نواحى هذه الأرض بالناس

زمانُ الورى فى ظلّه وجنابه كأيّام تشريق (٨) ولياتِ أعراس

رعاهم بروض الأمن غبَّ مخافةٍ وألبسهم ثوبَ الغنى بعد إفلاس

وراضَ الجموحَ (٩) للذَّلولِ (١٠) برفقه فما بينهم إلا موازينُ قسطاس (١١)

حِماهُ هو البيتُ العتيقُ، ظباؤه حرامٌ على عَبل (١٢) الذراعَين فتراس

---

(١) النسران : نجمان يقال لأحدهما : النسر الطائر، وللآخر : النسر الواقع .
(٢) القوادم : عشر ريشات فى مقدّم الجناح ، وهى كبار الريش ، والخوافى صغاره وهى تحت القوادم ، واحدها : قادمة . (٣) الثريا : سبعة كواكب، سميت بذلك لكثرة كواكبها .
(٤) أمراس : جمع مرس وهو الحبل . (٥) ضوأ : أنار . (٦) الديماس : المكان العميق الذى لا ينفذ إليه الضوء ، وسمى سجن "الحجاج" بالديماس لظلمته .
(٧) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها . (٨) أيام التشريق : هى ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، لأن لحم الأضاحى يشرق فيها . (٩) الجموح : الذى لا يثنيه شىء .
(١٠) الذلول : المنقاد . (١١) القسطاس : العدل . (١٢) العبل : الضخم — والمراد به الأسد — .

فلو كان فيـه ناقـةَ اللهِ عاقرا ... أخو "وائلٍ" ماذاق طعنة "جسّاسِ" (١)

وما ضرَّ من كان الإمامُ سحابَهُ ... تقاعُـــدُ لمّاعِ البـوارق رجّاسِ (٢)

لسيّارةِ المعـروف فى صُلبِ مالِهِ ... غنـائمُ لم تُقسم عليهـا بأخمـاسِ (٣)

له من صوابِ الظنِّ بالغيب مخـبرٌ ... ولا خيرَ فى رأى امرئٍ غيرِ حسّاسِ

وليس لأحقادٍ ذُكرنَ بذاكرٍ ... ولا لحقوق الله يُنسَيْنَ بالنّاسى

ولولاه كانَ الدِّين فقْعا (٤) بقَـرقرٍ (٥) ... يُداسُ بأظلافٍ (٦) ويُفرَى (٧) بأضراسِ

سقاه ميـاه العـــز فاخضرَّ مُورِقًا ... وأينعتِ الأفنـانُ (٨) فى عُودهِ العاسى (٩)

فلا تنشُروا للبـاطلِ اليـــومَ رايَةً ... وهل يُنشَر المدفونُ فى قَعر أرماسِ (١٠)

---

(١) هو كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه : أعز من كليب وائل ؛ والشاعر يشير إلى قصته وهى بإيجاز : كانت البسوس خالة جساس بن مرة نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس وكان لها ناقة تسمى "سراب" فرت إبل لكليب بسراب هـذه وهى معقولة فى فناء بيتها جوار جساس بن مرة ، فلما رأت "سراب" الإبل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الإبل واختلطت بها حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معـه قوس وكنانة ، فلما رآها أنكرها و رماها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو ، فلما رأتها البسوس ألقت خمارها من على رأسها وصاحت : واذلاه وجاراه ، وأحست جساسا فركب فرسا له حتى دخل على كليب فطعنه جساس فقصم صلبه ، فقامت الحرب بسبب ذلك وهى الحرب المشهورة بحرب البسوس ؛ والعرب تقول فى ذلك : أشأم من سراب ؛ وأشأم من البسوس . ويقال : إنها دامت بين بنى بكر وتغلب أربعين سنة وانتهت بقتل جساس .

(٢) الرجاس : السحاب الشديد الصوت .

(٣) الأخماس : جمع خمس وهو نصيب يؤخذ فى الغنائم ، يقال : ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام أى أخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية وخمسها فى الإسلام .

(٤) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ؛ يقال للذليـل : هو أذل من فقع بقرقر .

(٥) القـرقر : الأرض المطمئنة اللينة .

(٦) أظلاف : جمع ظلف وهو خف البعير ، أو حافر الفرس .

(٧) يفرى : يشق و يقطع .

(٨) الأفنـان : الأغصان واحدها فنن .

(٩) العـاسى : الذى غلظ وصلب من النبات .

(١٠) أرماس : جمع رمس وهو القبر .

يؤيده الرحمن فى كلّ موقفٍ بنصر يعود الليثُ وهـو به خاسِ (١)

جيوشٌ من الأقـدارِ تُفْنِى عُداته بلا ضربِ إيثاخ ولا طعنِ أشناسِ (٢)

وكم شهـدَتْ يوما أغرَّ محجَّلا تُخلِّده الأقـلامُ ذِكرا بأطراسِ (٣)

يُشاكِلُ "بدرا" (٤) والملائكُ حُضَّرٌ ويذكُرُ جندا أُنزِلتْ يومَ "أوطاسِ"

وقـد علِم المصرىُّ (٥) أنَّ جنودَه سِنُو "يوسفٍ" منها وطاعونُ "عَمْواسِ"

أحاطتْ به حتَّى آستراب بنفسِه وأوجس فيهـا خِيفـةً أىَّ إيجاسِ

قصورٌ على "الفسطاط" (٦) أضحتْ كأنها قفـارُ ربوعٍ "بالسَّماوة" (٧) أدراسِ (٨)

سهامُ "أميرِ المؤمنين" مَكايدٌ ورُبَّ سهامٍ طرن عن غير أقواسِ

هو المصطَفِى التقوَى متاعًا لنفسه بجـوهرِها حالٍ بسُندُسها كاسِ

إذا وطِئت شُوسُ الملوك بساطَه تضاءل منهـا كلُّ أغلبَ هِرماسِ (٩) (١٠)

تَخِـرُّ بِهِ شُمُّ الجماجم سُجَّـدا ويخشَعُ فيـه كلُّ ذى خُلُق جاسِ (١١)

(١) الخاسى : الصاغر الذليل . (٢) اثياخ وأشـناس : كذا بالأصـل ولعل الأولى "أثباج" جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر ؛ والثانيـة لم نوفق الى مراد الشاعر منهـا .

(٣) أطراس : جمـع طرس وهو الصحيفة . (٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينـة وبهـذا المـاء كانت الوقعـة التى أظهر الله بهـا الإسلام وفرق بين الحق والباطل . وأوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبى صلى الله عليه وسلم . (٥) يشير الشاعر الى الغلاء الذى حصـل فى مصر أيام المستنصر العباسى . وعمواس : كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقـدس ، وفيها كان ابتداء الطاعون فى أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم فشا فى أرض الشام فأهلك خلقا كثيرا وذلك فى سنة ١٨ من الهجرة . (٦) الفسطاط : مصر القديمة . (٧) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . (٨) أدراس : بالية . (٩) الأغلب : الأسد الغليظ الرقبة .

(١٠) الهرماس : الأسد الشديد . (١١) الجاسى : الجافى .

يُحيُّون من جسم النبوّةِ بَضعَةً (١) هى القلبُ فى الحيزوم والعينُ فى الراسِ

ويَغشَون قَرْما من "لؤىّ بن غالبٍ" (٢) يعـدِّد فى أنسابه كلَّ قِنعاسِ

من الخلفاءِ الرافعين بِناءهم بأطـولِ أعمادٍ وأثبتِ آساسِ

رعَتْ ذمَمَ الإسلام منهـم كوالئٌ (٣) وسيست أمورُ الملكِ منهم بسُوَّاسِ

نجومٌ إذا السارون ضلُّوا هدتهُمُ هـدايةَ نِيران رُفعن بِقُرناسِ (٤)

قِداحُهُـمُ يومَ الفخار فـوائزٌ وأسهمُهم إن نازلوا غـيرُ أنكاسِ (٥)

همُ ملئوا الدنيا بطيبِ حديثهـم كما ملأ الأسماعَ قعقاعُ أجراسِ (٦)

كرهبانِ ليلٍ لا تلائمُ مضجَعا وأُسْدِ صباحٍ ما تَقِـرُّ بأخياسِ (٧)

وما منهـمُ من ملَّك البِيضَ قلبَـه (٨) ولا طمِعتْ فى لُبِّهِ وثبـةُ الكاسِ

عَتادُهم فى حَجِّهـم وجِهادهم جراجرُ أجمالٍ وتَصهالُ أفـراسِ (٩)

أولئـك آباء الإمامِ ورهطُـهُ أصـولُ كرامٍ زَيَّنتْ خيرَ أغراسِ

عَمرتَ "أميرَ المؤمنين" بنعمةٍ وعيشٍ صفيقِ الظلِّ أخضرَ مِيَّاسِ (١٠)

ولا زالت العلياءُ عنـدك وفدُها يروح بأنواعٍ ويغـدو بأجناسِ

---

(١) الحيزوم : الصدر. (٢) القنعاس : الرجل الشديد المنيع. (٣) الكوالى : الحفاظ.

(٤) القرناس — بكسر القاف وضمها — : شبه الأنف يتقدم من الجبل. (٥) الأنكاس : السهام الضعيفة التى ينكسر فوقها، واحدها : نكس — بكسر النون — (٦) فى الأصل هكذا "تقاع".

(٧) الأخياس : بيوت الآساد، واحدها خيس. (٨) البيض : الجوارى الحسان.

(٩) الجرجرة : ترديد صوت البعير فى حنجرته، والتصهال : الصهيل وهو صوت الفرس.

(١٠) الصفيق : الثخين المنسوج نسجا متينا؛ وهو مجاز.

أبحتَ حِمَى الإحسانِ حتّى أصابه ... معاشرُ من نَيـل المنى غيرُ أكياسِ

وما نعـــمةٌ إلا أفضتَ لباسَهـا ... على من عهدناه لها غيرَ لبّاسِ

مواهبُ فيهـا لابنِ حِصنٍ وحابسٍ ... نصيبٌ، فهـلّا مثلُه لابنِ مِرداسِ،؟

فمـالى وبحرُ الفضل عنـدك زاخرٌ ... يطاوَل فى دار المُقـامة أحلاسى(١)!!

إذا رُفِعت نارُ القِرَى لك أُوقدتْ ... مَصابيحُ لم يُستدنَ فيهنَّ مِقبـاسى

أعوذُ بواديك المقـدَّسِ أن أُرى ... فريسةَ قنّاصٍ من الدهر نهّـاسِ(٢)

بلا رِقبـــةٍ جَـورُ الزمان وعدلُهُ ... وتحريمُـــه جارٍ على غير مقياسِ

فإن تصطنـعْ نُعْمى فأنتَ وليُّهـا ... وهيهات تُقضَى من رجائك أحلامى(٣)

تنال بأدنى القولِ منك مدَى العلا ... ولا عجبٌ أن يُحضر الدُّرُّ بالمـاسِ

وإن كان ثدىُ الجود عندك حافلا(٤) ... فقـــد يُمترَى(٥) دَرُّ اللَّبون(٦) بإبساسِ(٧)

تعامت لنـا الأيامُ عنك وأبلستْ(٨) ... نوائبُهـا عن قصـدها أىَّ إبلاسِ

فليست صروفُ الدهر ـ مادمت سالما ... مُعاشرَ أهليهـا ـ بخـوفٍ ولا باسِ

---

(١) أحلاس : جمـع حلس وهو كل شىء ولى ظهر البعـير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج، وفى الأصل : * ومالى وبحر الفضل عنـدى * الخ وحلامى بدل أحلامى ولعل ما رجحناه أقرب الى الصواب .

(٢) النهاس — بالمهملة — : النهاش — بالمعجمة — .

(٣) أحلاس : جمع حلس وهو الرابع من سهام الميسر وله غنم أربعة أنصباء ؛ والحلس أيضا العهد والميثاق .

(٤) حافلا : ممتلئا .

(٥) يمترى : يحلب .

(٦) اللبون : كثيرة اللبن .

(٧) الإبساس : دعاء الناقة للحلب .

(٨) أبلس : تحير ولم يهتد .

* * *

وقال يمدح رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة[1] :

لو كنتُ أُشفقُ من خضيبِ بنانِ ... ما زرتُ حيَّكُمُ بغيرِ أمانِ

يا صبوةً دبَّت إليَّ خديعةً ... كالخمرِ تسرِقُ يقظةَ النشوانِ

أُنظرْ فما غضُّ الجفونِ بنافعٍ ... قلبا يَرى ما لا تَرى العينانِ

ولقد محا الشَّيبُ الشبابَ وما محا ... عهدَ الهوى معه ولا أَنسانى

فعلمتُ أن الحبَّ فيه غَوايةٌ ... مغتالةٌ للشَّيبِ والشُّبّانِ

ما فوق أعجازِ الركابِ رسالةٌ ... تُلهى، ففيمَ تَحيّةُ الرُّكبانِ ؟!

عذرا، فلو علموا جواك لساءلوا ... غِزلانَ "وَجرةَ"[2] عن غصونِ البانِ

قُولا لكُثبانِ "العقيقِ"[3] : تطاولى ... دون "الحِمَى" أقدُرْك بالطَّمَحانِ

ولَيَنسِفَنَّ الرملَ زَفرةُ مدنفٍ ... إن لم يُعِنْهُ الدمع بالهملانِ

عجل الفريقُ وكلُّ طَرفٍ إثرَهم ... متعثِّرُ اللحظاتِ بالأظعانِ[4]

وكأنما رُدُنايَ[5] يومَ لقيتُها ... بالدمع قد نُسِجا من الأجفانِ

كلِّفْ تجلّدِيَ الذى يستطيعُهُ ... هل فىَّ إلّا قدرةُ الإنسانِ

---

(١) هو على بن الحسين كان فى بيت رياسة ومكانة استكتبه القائم بأمر الله العباسى ثم استوزره ولقبه "رئيس الرؤساء" . ولد فى شعبان سنة ٣٩٩ هجرية وقتل سنة ٤٥٠ ، وله تاريخ طويل يرجع اليه فى مظانه . (٢) وجرة : موضع بين مكة والبصرة مكتنف بالوحش . (٣) الكثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل ، والعقيق : ناحية بالمدينة . (٤) الأظعان : الإبل تحمل النساء ، أو هى الهوادج يجلسن فيها . (٥) الردن : الكم .

ولئن فررتُ من الهـوى بحُشاشتى فالحبُّ شـرُّ متالف الحيـوانِ

يدرى الذى نضـح الفـؤاد بنَبْله أن قد رمى كَشحيهِ(١) حينَ رمانى

لو لم تكن عيـنى على أطـلالهم عُقِرتْ لمـا سَـفَحتْ بأحمرَ قانى

متأوّلين على الجفـون تجنّيًا فالدمـع يُطـرُهم بـذى ألوانِ

ولو آنـه ماءٌ، لقالوا : دمعُـهُ رِيقٌ، وجفنَا عينـه شَـفَتانِ

ظمئى إلى ماء "النُّقَيْبِ"(٢) لأنّـه وِرْدُ اللِّمَى(٣) ومناهـلُ الأغصـانِ

ولَنِعمَ هينمـة النسـيم محـدّثا عن طِيبِ ذاك الجيبِ والأردانِ(٤)

إن لم يكن سهلُ "اللوى"(٥) وحزونُهُ وطـنى فإنّ أنيسَـه خُـلّانى

ولو آنهم حلّوا "زرودَ"(٦) منحتُـهُ كَلَفى وقلتُ : الدارُ بالجـيرانِ

عُلَقٌ تَلاعبُ بى ورُبَّ لُبانـةٍ "شاميّةٍ" شغَفتْ فؤادَ "يمانى"

هل تُبلغنّى دارَهُـمْ مزمومـةٌ بالشـوقِ موقَرةٌ(٧) من الأشجانِ؟

فعسى أميلُ إلى القِبـابِ مناجيا بضمائـرٍ ثقُلتْ عـلى الكتمانِ

وأطـاردُ المُقـلَ اللـواتى فتكُها يُمـلى عـلىّ مَقاتل الفُـرسانِ

متجاذبين من الحـديث طرائفـا يُصغِى لطيبِ سماعِها النّضـوانِ(٨)

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الأضلاع . (٢) النقيب : موضع بين تبوك ومعان . على طريق حاج الشام . (٣) اللمى : سمرة فى باطن الشفة .
(٤) الأردان : جمع ردن وهو الكم . (٥) اللوى : واد من الأودية وهو بعينه . (٦) زرود : اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة . (٧) موقرة : مثقلة . (٨) النضو : المعى المهزول من الإبل .

كَرِّرْ لحاظكَ فى الحُدوجِ (١) فبعدها ... هيهات أن يتجاور الحيّانِ

من بعـد ما أرغمتُ أنفَ رقيبهم ... حَنَقا وخُضتُ حميّـة الغَـيْرانِ

وطرقتُ أرضَهُمُ ، وتحتَ سمائها ... ـ عددَ النجومِ ـ أسنةُ الخُرصانِ (٢)

أرضٌ جَداولُها السيوف وعُشبُها ... نَبْعٌ (٣) وما ركزوا من المُرّانِ (٤)

فى معشرٍ عشِقوا الذُّحولَ (٥) وآثروا ... شُربَ الدماءِ بها على الألبانِ

قومٌ إذا حيّا الضيوفُ جِفانَهم ... ردّتْ عليهمْ ألسنُ النيرانِ

وإذا شَواةُ (٦) الرأس صوّحَ نبتُها ... فعلى قضاءِ مآربٍ من شانِ

ولتعلمنَّ البيدُ أنَّ جِباهَها ... موسومةٌ (٧) بالنَّصِّ والوخدانِ

يُزجَرْنَ أمثالَ القِداحِ ضَوامرا ... ويُرحَنَ أمثالَ القِسىِّ حوانى

أو يتهينَ إلى جنابٍ ترتعى ... فيه الوفودُ منابتَ الإحسانِ

ربُّ المآثرِ والمحامدِ ربُّه ... وولىُّ بِكرِ صنيعةٍ وعَوانِ (٨)

تلقَ الجبابرةُ المصاعبُ وجهَهُ ... بجماجمٍ تحنو على الأذقانِ

متهافتين على الصَّعيد كأنّهم ... شربوا بهيبتِهِ سُلافَ دِنانِ

وطِئُوا سَنابكَ خيله بشفاههم ... قُبَلا وجلَّتْ عنهم القَدمانِ

---

(١) الحدوج : مراكب النساء وهى الهوادج أو المحفات . (٢) الخرصان : الرماح ، واحدها خرص ـ بتثليث الخاء ـ . (٣) النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . (٤) المران : الرماح . (٥) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٦) الشواة : جلد الرأس . (٧) النص والوخدان : ضربان من السير . (٨) العوان : الثيب .

حتى إذا صدَعوا السُّرادقَ أطرقت (١) تلك اللواحـظُ عن أغرَّ هِجـانِ

قـد أيقنتْ قِمَمُ (٢) المـلوك بأنه إن شاء طلَّقها من التيجانِ

خَطَرًا أبا قَرْعَى (٣) الفِصال مُقاربا إن القُـروم (٤) أحقُّ بالخطَـرانِ

فذروا "الحمى" يرعَى بـه متخمِّطٌ (٥) تُخشَى بوِدارهُ عـلى الأقـرانِ

ما بين ساعده الهصـورِ محـرَّمٌ (٦) فتعرَّضـوا لفريسـةِ السِّرحانِ (٧)

لا مَطعَـمٌ لبُغاثِـكم فى مأزِقٍ (٨) حامت عليـه كواسـرُ العِقبانِ (٩)

للمجلس الشـرقىّ أبعـدُ غايـة فى يوم مَلحَمـةٍ ويـومِ رِهانِ

فركابُه ما تَنـثنى بأزِمَّـةٍ وجيادُه ما ترعـوِى بعِنـانِ

هِمَمٌ كما سرت البروقُ خواطفـا (١٠) فى حاصبٍ أو عـارضٍ (١١) هتّانِ

وعزائمٌ رُبِيَتْ وأطـرافَ القنا وظُبا السـيوفِ وارضعت بلبـانِ

إن الورى لمـا دعـوْه "بجَالهَم" حلُّوا من العلياءِ خـيرَ مكانِ

وأتتْ به "عدنانُ" فى أحسابهـا حتى أقـرّ لها بنـو "قَحطانِ"

مجـدٌ أطـلَّ على الزمان وأهـلِه متقيِّـلٌ فى ظـلِّه الثَّقلانِ

---

(١) الهجان : الكريم . (٢) القمم : الرءوس . (٣) قرعى : جمع قريع والقرعى من الفصال : التى أصابها قرع وفى المثل : "إستنت الفصال حتى القرعى" يضرب للضعيف الذى يتشبه بالأقوياء.

(٤) القرم : الفحل العظيم . (٥) المتخمط : الفحل الهادر . (٦) الهصور : الكاسر .

(٧) السرحان : الذئب . (٨) المأزق : المضيق . (٩) العقبان : جمع عقاب وهى طائر من الجوارح ، وهى حادة البصر ولهذا قالت العرب : «أبصر من عقاب» . (١٠) الحاصب : الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (١١) العارض : السحاب المعترض فى الأفق .

ومفاخـــرٌ مشهودةٌ يَقِضى لها ... يومَ النفار سـواجِعُ الكُهّانِ

من ذا يحـاذبه الفخارَ وقـد لوى ... أطنـابَه فى "يَذبُلٍ" "(١) وأبانِ"

طَلّاب ثأرِ المجـد وهـو مدفَّعٌ ... بين اللئـام مسَـفَّه الأعوانِ

لم يرضَ ما سنّ الكرامُ أمامَـه ... حـتى أتى بغـرائبٍ ومَعـانِ

نسخت فضـائلُه خِلالَهُـم التى ... نجحـوا بهـا فى سالف الأزمانِ

فهى المنـاقبُ، لو تقـدّم ذكرُها ... تُليتْ مَثانِيهن فى القـرآنِ

يعطيـك ما حَرَم الجـوادُ، ودِينُه ... أن الـثراءَ وعُدْمَهُ سِـيّانِ

وإذا رجالٌ حصّـنوا أموالَهم ... جعَـل المواهبَ أوثقَ الخُـزّانِ

كم أزمـةٍ ضحِكت بهـا أنواءُهُ ... والغيثُ لا يـلوِى على ظمـآنِ

من راحيته نوافـلٌ (٢) ومنـائحٌ ... ومن القـلوب مطامـعٌ وأمانى

فحـذارِ أن يطغَى السؤالُ بطالبٍ ... رفـدًا فيركبَ غاربَ الطُّوفانِ

وأصَبْتُ، قد يَحكى السحابُ نوالَه ... لكنَّ ذا ناءٍ وهـذا دانِ

وقرنتُـه بالبحـر يقـذِفُ باللُّهَى (٣) ... ونسيتُ ما فيه من الحَـدَثَانِ

وذكرتُ ما فى الليثِ من سَـطَواتِه ... ولربّمـا وَلَّى عن الأقـرانِ

لا تعـدَم الأزمانُ رأيَـك إنه ... فى ليلهـا ونهـارها القمـرانِ

---

(١) يذبل وأبان : جبلان . (٢) النوافل : جمع نافلة وهى العطية . (٣) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا .

رأىٌ سقَى اللهُ الخـــلافةَ صـــوبَهُ ... ورمى بصاعقـــهِ ذوى الشَّـــنآنِ (١)

نُجُحا بنى "العبّاس" إن قنـاتكم ... هُزَّتْ بأحـــذقِ ساعدٍ بطعـانِ

جَـدُّ أمـــدّ عديدكم من غِيـــله ... (٢) بأشـدَّ من أسَـد العرين الجانى

يحمى ذمارَكُمُ بغـــير مساعدٍ ... ويحـــوط سَرحكُمُ بلا أعـــوانِ

وثباتُه العـــزم الذليق إذا ســـطا ... (٣) وزئيره حُـــكْمٌ وفصـــلُ بيـانِ

مســـتلئمٌ بجَنـانه وبنـانِهِ ... (٤) ولسـانه ، مِضـــرابةٍ مِطعـانِ

لما رأى — والحزمُ ينفعُ أهلَه — ... عَوْدَ الخـلافةِ ضـاربًا بجـرانِ، (٥)

والسيفَ لم يَرْكُضْ بكفَّىْ ضاربٍ ... والرمحَ لم يَطمحْ بعينِ سِـــنانِ، :

داوَى عيَـاءَ الداءِ ساحرُ رفقِـــهِ ... (٦) والنَّقْبُ (٧) يَشـــفيهِ هِنَـاءُ الهـانى

حـــتى إذا برح الخفـاءُ وسفَّهتْ ... حِلمَ الحلـــيمِ حفيظةُ الغضـــبانِ،

ورأى الهَـــوادَةَ (٨) مَرْوَةً (٩) مقـــروعةً ... والسِّـــلم مطعمةَ العـــدوّ الوانى، :

نادَى فلبَّـــاه صهيلُ ســـوابقٍ ... (١٠) وأطيـــطُ (١١) كلِّ حنيَّـــةٍ مِرنانِ

وفوارسٌ يَصلَوْن نيرانَ الوغى ... مما تُثـــيرُ جيـادُهم بدخانِ

---

(١) الشنآن : العداوة والبغض . (٢) الغيل والعرين : مربض الأسد ، ومن معانى الأول : الشجر الكثير الملتف ، والأجمة . (٣) الذليق : الشديد ، وفى الأصل : "الذلوق" .
(٤) مستلئم : مندرع . (٥) العود : الجمل المسن ، والجران : عنق البعير من مذبحه إلى منحره .
(٦) النقب : الجرب . (٧) الهناء : القطران ، والهانئ : الطالى بالهناء . (٨) الهوادة : اللين والرفق . (٩) المرو : حجارة صلبة براقة ، واحدها : مروة . (١٠) الأطيط : الصوت . (١١) الحنية المرنان : القوس التى ترن عند خروج السهم منها .

جنَبوا إلى الأعـــداءِ كلَّ طِمِـرَّةٍ (١) بُنيت مفاصلُها على شَـيطانِ

مثـــل المَـراقبِ (٢) تحتهـم وهُمُ على صهواتها كالهَضْب (٣) من "ثَهلانِ" (٤)

طلعوا طلوع الشمسِ يغمُرُ ضوءُها هامَ (٥) الرُّبَى ومغَابنَ (٦) الغيطانِ

وكأنما سجـــدتْ قِســـيُّهُمُ إلى لألاء وجهـك إذ أتتـك حـوانى

من بعد ما ســدّوا الفضاءَ وحرَّموا نَفَـــلَ (٧) الربيـع به على الغِـــزلانِ

يتسابقون إلى المنـون فكلُّهم يغشَى الردَى ما عُـــدّ فى الوِلدانِ

وإذا هُمُ عدِموا مَقـاودَ خيلهـم فتلوا لهـــنَّ ذوائبَ (٨) الفُـــرسانِ

فى كلِّ معـترَك تُجيـلُ كما تُهـــم (٩) قِدْحا (١٠) يفـوز إذا ٱلتـقَى الجمَعانِ

فٱسئلْ جبالَ "الروم" لمَّا طوَّقوا أعناقهَا من جَمعهـــم برِعانِ (١١)

ترعَى بهـا زُهرَ النجوم جيـادُهم ومن الســحاب يَردنَ فى غُدرانِ

فكأنّهـــم يبغون فى فلَك الذُّرَى أن يأسروا "العَيُّوقَ" (١٢) "للدَّبَرانِ"

تركوا المعـاركَ كالمناحِرِ من "مِنًى" وجماجمَ الأعـــداء كالقُـــربانِ

---

(١) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٢) المراقب : جمع مرقب وهو الموضع المشرف .

(٣) الهضب : جمع هضبة وهى الجبل خلق من صخرة واحدة . (٤) ثهلان : اسم جبل .

(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس أو أعلى الشىء . (٦) المغابن : جمع مغبن وهو الأرض السهلة .

(٧) النفل : نبت أصفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل . (٨) الذوائب : شعور النواصى ، واحدها : ذؤابة . (٩) كاة : جمع كام وهو البطل . (١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) الرعان : الجبال الطوال ، واحدها رعن — بسكون العين — .

(١٢) العيوق : اسم نجم يتلو الثريا ، والدبران : منزل للقمر .

فكأنّما فـــرَشَ النجيعُ (١) تِلاعَهـا (٢) ووِهادَها (٣) "بشقائق النُّعـــمانِ" (٤)

فأتاك وفدُ بنى "الأُصيفِرِ" (٥) يرتمى بهـــمُ جَنـاحَا ذِلّةٍ وهـــوانِ

جنحوا به مستسلمين وطالما شَمَخـــوا بدينهـــمُ على الأديانِ

بذلوا الإناوة عن يدٍ فكأنّهم عقدوا بذاك الغُرمِ عَقْـدَ ضَمـانِ

فى كلِّ يومٍ تستهلُّ كنوزَهم كرمًا بعَشـــرِ مِيءٍ من العِقيانِ

وبرزتَ فى حُلل الوقارِ بهيبـــة فقأتْ عيـــونَ الكفر بالإيمـانِ

وكفاك أن قُدتَ الضلالة بالهدى وجعلت دارَ الحـرب دارَ أمانِ

هذا "العراق" قد انجلت شُبُهاتُه وصَـــفا من الأقـــذاءِ والأدرانِ

إن مسّـــه نَصَبُ الورودِ فإنه ســـيُنيخ من نعـــماك فى اعطانِ

نفَّرت ذُؤبانَ (٦) "الغضا" عن شِربِهِ فالأَمنُ يَسرحُهُ بـــلا رُعيـانِ

ولّى "أَرسلانٌ" (٧) يُمسّح فى الحشا قلبـا يشـــير عليـــه بالطـــيرانِ

وهوت "بنو أَسَدٍ" تَسُلُّ لقاحَها فتسيل بين "الحَزْنِ" "فالصَّمّانِ" (٨)

وجرى الغرابُ مع البوارح صائحـا بالبين بين منازل "الجَـاوانِ" (٩)

---

(١) النجيع : الدم . (٢) التلاع : واحدها تلعة وهى ما علا من الأرض . (٣) الوهاد : ما انخفض من الأرض ؛ واحدها : وهدة . (٤) شقائق النعمان : نبات أحمر يشبه الدم به .

(٥) بنو الأصفر : الروم . (٦) ذؤبان : جمع ذئب وهو معروف . (٧) يشير الشاعر الى أرسلان التركى المعروف بالبساسيرىّ كان خصيصا عند القائم بأمر الله ، فتجبر وطغى فخافه القائم فخطب ضدّ القائم للمستنصر ، وقد قتل شر قتلة . (٨) الحزن والصمان : موضعان .

(٩) الجاوان : قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة المزيدية من العراق .

وطوتْ "عقيلٌ" عَرضَ كلِّ تَنوفَةٍ (١) بذميلِ ذِعلبـــةٍ (٢) وركضِ حِصـانِ

"بالشام" ألَّفَ خوفُ بأسك بينهم وقلوبُهـم شـتَّى من الأضـغانِ

هيهات لو ركِبوا "النعائمَ" (٣) فى الدجى وأردتَ لاقتنصاهُم (٤) النَّسـرانِ (٥)

وكذا عدوُّك إن نجـا جُثمانه فالقلبُ فى قِـدِّ (٦) المخافةِ عانِ (٧)

ما بين "مصرَ" وبين عزمِك موعدٌ متـوقَّعٌ لوفائـه الهـرَمانِ

إن صانهـا بُعـدُ المـدَى فلمثلها تقتادُ كلّ نجيبـةٍ مِـذعانِ

ماءُ الجـداول للأكُفِّ وإنمـا ماء القَليبِ (٨) يُنـال بالأشـطانِ (٩)

من كان شرقُ الأرض طوعَ زمامِهِ لِمَ لا يصـرِّف غَربَهـا بعنـانِ

والجيشُ بَحْـرٌ (١٠) والأوامرُ طاعـةٌ والنصر مرجـوٌّ من الرحمنِ

* * *

وقال يمدحُه أيضا سنة ثمان وأربعين — أى بعد الأربعمائة — :

تَزاوَرنَ عن "أذْرِعات" (١١) يمينا نواشـزَ (١٢) ليس يُطعنَ البُرينا (١٣)

---

(١) الذميل : ضرب من السير . (٢) الذعلبة : الناقة السريعة . (٣) النعائم : منزلة من منازل القمر وهى ثمانية كواكب أربعة فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعـة خارجة وتسمى الصادرة ؛ وهى أيضا جمع نعامى وهى ريح الجنوب . (٤) اقتنصاهم بالألف الدالة على التثنية على لغـة من يلحقها الفعل المسند الى الفاعل الظاهر وهى لغة قليلة . (٥) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٦) القـد : القيد للأسير يقد من جلد . (٧) العانى : الأسير . (٨) القليب : البـئر . (٩) الأشطان : الحبال . (١٠) المجر : الكثير . (١١) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ؛ — تنسب اليه الخمر — . (١٢) نواشز : مستعصيات . (١٣) برين : جمع برة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يكون فيها زمامه .

كَلِفنَ "بنجدٍ" كأنَّ الرياضَ أخذنَ "لنجدٍ" عليها يمينا

وأقسمن يحملنَ إلا نحيلا اليه ويُبلغنَ إلا حزينا

ولما استمعن زفيرَ المشوق ونوحَ الحمام تركنَ الحنينا

إذا جئتما بانة "الواديين" (١) فأرخوا النسوع وحُلّوا (٢) الوضينا

فثَمَّ علائقُ من أجلهنَّ مُلاءُ الضحى والدجى قد طُوينا

وقد أنبأتهم مياهُ الجفو ن أنّ بقلبك داءً دفينا

لعلَّ تمائمَ ذاك الغزال تُداوِى وَلوعا وتَشفِى جنونا

لقد شبَّ بينى هذا الغرامُ وما بين قومِك حَربا زَبونا (٣)

تُراهم يظنّون لما أغرتُ بلحظى عليهنّ أن قد سُبينا

وماذا على مُسلِفٍ فى الظباءِ أُلطَّ (٤) به فتقاضَى الديونا؟!

تلوم على شغفى بالقدود فهيْنَى وَرْقاءَ (٥) تهوَى الغصونا

سواءٌ نشيدى بهنّ النسيبَ وترجيعُها بينهنَّ الحُونا

ألا لِحُيَ الحسنُ من باخلٍ أبَى أن يصاحبَ إلا ضنينا

وإنّ وَلوعى بأهل "الحمى" يخيِّل لى كلَّ سِربٍ قَطينا (٦)

---

(١) نسوع : جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل .

(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للهودج بمنزلة الحزام للسرج .

(٣) الزبون : التى يدفع بعضها بعضا فى الكثرة .

(٤) ألط به : موطل فى دينه .

(٥) الورقاء : الحمامة يضرب لونها الى خضرة .

(٦) القطين : القاطن .

أينشُـدُ رُعيانُهـم أن أضلّوا بعـيرا ولا أنشُـــد الظاعنينا؟!

وفي السِّربِ أحوى إذا ما استرابَ بقَنَّاصِـــه أمَّ دارا شَـطونا (١)

ظلِلتُ أكُرّ عليـه الرُّقَى وتأبَى عريكتُه أن تلينا

يصون محاسـنَه بالصـدو دِ إذ ليس يلقَ عليها أمينا

ودون البراقع مكحـولةٌ تعـلّم طبعَ السهـام القُيونا (٢)

وما كنتُ أعلم من قبلهـ نّ أن الأسـنّة تُسمَى عيونا

صـوارمُ تَنهَزُ فتقَ الجـراح وما خُلقتْ للضِّراب الجفونا

نَودُّ النحورَ ونهـوَى الثغورَ ونعـلَم أنّا نحبُّ المنـــونا

أقِلّني من الوُخّد (٣) الراسما تِ أكفِك من حيّهم أن يَبينا

ألسنَ اللواتي هزَزن الحدُو جَ هزًّا يُطاير عنهـا العُهونا (٤)

فكلُّ فنيقٍ (٥) ببطن "العقيق" من الضُّمْر (٦) قد أخدَجَتْه (٧) جنينا

عِدمتُ فتًى عند نقع الصري ـخ يُقعى (٨) على أسْكَتَيه (٩) بطينا

يعـدُّ المفـاخرَ والمكرما تِ طرفا كحيلا ورأسا دهينا

---

(١) الأحوى : الذى فى شـفته حمرة . والشطون البعيدة .
(٢) القيون : جمع قين وهو جلاء السيوف وصانعها ، ولعله يطلق على صانع السهام من باب التوسع .
(٣) الوخد الراسمات : الإبل التى من دأبها الوخد والرسيم وهما ضربان من السير .
(٤) العهون : جمع عهن وهو الصوف .
(٥) الفنيق : الجمل الصعب المكرم .
(٦) الضمر : الهزال .
(٧) أخدجته : ولدته ناقصا لغير تمام .
(٨) يقعى : يجلس على إليته و يرفع فخذيه .
(٩) الأسكتان — وتكسر الهمزة — : جانبا الاست .

فهل لكَ فى بسط أيدى المطـ ـىِّ تَطوى المهامـــهَ (١) بِينًا (٢) فبينا؟

إذا ما صُبغنَ بوَرسِ (٣) الهجيـ ـر حمرا تجلّينَ بالليل جُونا (٤)

فشبّهنَ لُجَّ السَّرابِ البحورَ وشبّههنَّ السرابُ السفينا

وما تستطيلُ المـــدى أينُقٌ بمجدِ "جَمال" الورى قد حُدينا

وجدنا لديه ربيعَ الثنـا ء غضًّا وماءَ المعالى مَعينا

تبوّأ فى المجـــد بُحبوحـــةً على مثلها يكمَد الحاسـدونا

ينـادى النـــجاحُ بأبـوابه: ألا نِعْم ما قَـرَع الطـارقونا

وتحسبُ من بأسه والبهـا ءِ مجلسَـــه فَلَكا أو عرينـا (٥)

لكل مَـــبزّ (٦) به سجـــدةٌ تسابق فيـــه الشفاهُ الجبينـا

مقـامٌ تخاذَلُ من هوله خُطَى القوم حتى تراهم صُفُونا (٧)

طغتْ يدُه وعلَتْ فى السما حِ حتّى ذممنا السحابَ الهتونا

إذا ما آدّعت صوبَهُ المعصرا تُ ردَّت عليهنّ غُبْرُ السنينـا

أيحكى بوارقُها والقِطـا رُ للعين عسجدَه (٨) والرَّقينـا (٩)!

وما النـارُ من ذَهب المجتدين وما المـاءُ من فِضّـة الراغبينا!

---

(١) المهامه : جمع مهمه وهو المفازة . (٢) البين : القطعة من الأرض قدر مد البصر .

(٣) الورس : نبات يصبغ به . (٤) جونا : سودا . (٥) العرين : بيت الأسد .

(٦) المبز : اسم مكان من بز بمعنى غلب . (٧) صفون : جمع صافن ، وهو القائم .

(٨) العسجد : الذهب . (٩) الرقين : الفضة .

أفى دِية البخـــلِ لمَّا أماتَ ... يؤدّى الألوفَ ويُعطى المئينا؟

بما شئتَ يسخو ولولا الحيا ... ءُ من مجـده قسَّمَ المجـدَ فينا

ويأبَى على سـرَف الطالبيـ ... ـنَ ألّا يُصدَّق فيـه الظنونا

ومن يستدلُّ على المكرمات ... يُمِـرّ(١) من الشكر حبلا متينا

وما زال يَكذِبُ وعـدُ المنى ... إلى أن أقامت يداه ضمينا

وقد غَمزت عُودَه النائباتُ ... فلم تجد الضارعَ المستكينا

وإن زعزعتْه فإن القنا ... ةَ للطعن زعزعها الطاعنونا

سرى عزمه والكرى خمـرة ... يُدير زجاجتَها الهاجعونا

فبات على صهواتِ الخطو ... ب أقنَى(٢) يقلِّب طَرْفا شَفونا(٣)

إذا ما ارتقى ظنُّـه مرباً ... من الغيب أوحَى إليه اليقينا

وأفوهَ طارده بالجـدال ... فخرّ بغـير العوالى طعينا

وكم خُطّـة أفردتْه الرجا ... لُ فيها وولت شَعاعا(٤) عِضينا

أضاء بجِنـدِسها رأيُه ... وكان له الله فيها مُعينا

ففى كلّ يومٍ يُوافى البشيرُ ... بفتـحٍ مبينٍ يُقرُّ العيونا

رمَى أهلَ "بابلَ" فى سِحرهم ... برقشاءَ(٥) تلقَفُ ما يأفِكونا

---

(١) أمر الحبل : أحكم فتله . (٢) الأقنى : الصقر . (٣) الطرف الشفون : الذى لا يفتر عن النظر من شدّة الحذر . (٤) شعاعا عضينا : متفرقة متجزئة . (٥) الرقشاء : الحية .

ألم تعلمـوا أنّ فى أفقـهِ سحـائبَ، أمطارُها الدارعونا (١)،

وفتيانَ صـدقٍ تكون السهامُ طليعتَهـم والسـيوفُ الكمينا،

وجُرْدا (٢) إذا وَجِيَتْ (٣) بالبطـا (٤) ح أحذَى (٥) سنابكَهن (٦) الوَجينـا (٧)،

فيـــوما لنُعمَى تَلُسّ (٨) الغَميرَ (٩) ويوما لبؤسَى تَسُفُّ الدَّرينـا (١٠)

جرتْ سُنُحا بنواصى "العراق" فأحجم عن زجرها العـائفونا

وحكّتْ على "واسطٍ" (١١) بَرْكَها بيومٍ عسـيرٍ أشـابَ القرونا

تصبُّ على الفئـةِ الناكثين لعهدك سـوطَ عذابٍ مُهينا

فتـلك جمـاجمُهم فى الصعيـ ـد تتّخـذ الطيرُ فيها وُكونا (١٢)

مَرَى "ابنُ فَسنجُسَ" (١٣) من خلفها (١٤) زُعافا وما كلُّ خِلْف لَبونا (١٥)

فطـار على قادماتِ الفِـرار جريضًـا (١٦) وكان فِرارا حَرونا

زجَتْه إليـك أكفُّ القضاءِ وتأتى بأقـدامها الحـائنونا (١٧)

وفى دار "بَكْرٍ" لهـا رجفـةٌ أزالت صياصِيَهـا (١٨) والحصونا

---

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . (٣) وجيت : حفيت . (٤) البطاح : الحصى الصغار، واحدها بطحاء . (٥) أحذى : ألبسها حذاء . (٦) السنابك : حوافر الخيل . (٧) الوجين : الحجارة . (٨) تلس : تتناول . (٩) الغمير : النبات الأخضر . (١٠) الدرين : يبيس الحشيش . (١١) البرك : الصدر . (١٢) وكون : جمع وكن وهو عش الطائر كالوكر . (١٣) مرى : حلب . (١٤) الخلف اللبون : الضرع الحافل باللبن . (١٥) الزعاف : السم القاتل السريع . (١٦) الجريض : المغموم . (١٧) الحائن : الذى حان حينه أى موته . (١٨) الصياصى : جمع صيصية وهى الحصن .

غداةَ زحمَت بها "عامرا" تخـوضُ قبـائلَها والبُطونا

لهـا غُرَرٌ إن رآها العد وَ لم ير أكفالهَـا والمتُـونا

قضت من "عُبَادَةَ" أوطارَها وحكّمت البيض حتى رضينـا

وما تركت للـوالى حِمى ولا للعقـائل خِدرا مصـونا

فتلك "عقيـلٌ" عقيلُ الفِرا (١) رُتحرش (٢) بالدو ضبًّا (٣) مَكونا

جعلتَ من الخوف أفراسَهـا (٤) كأقتادِها والفيـافى سُجُونا

ووافت "بنو أسَدٍ" كالأسود تخُـطُّ الرماح عليهـا عَرينا

فدع فُرصـة الثأر ممطولةً لذنبٍ أقـرّ به المـذنبونا

أليس "طُلَيْحةُ" (٥) من عِيصهم (٦) أراغ النبوّة فى النـاس حينا

فلمـا سَرَى الدينَ أشبالُه أناب وأطلقَ تلك الفنـونا

ولاقت به "الفُرسُ" أمَّ اللُّهَيـ (٧) ـم : وأْدَ البناتِ وذبحَ البنينـا

ولا بدَّ "للشـام" من نطحة تُحذِّر "زمزمُ" منها "الجَونا"

وأخرَى "لمصرَ" تَخُطُّ الرّوا ةُ فى الرقِّ منها الحديثَ الشُّجونا

جعلتَ الخـلافةَ فى عصرنا تُفاخر "مأمونَها" و "الأمينا"

---

(١) تحرش : تصيد . (٢) الدو : المفازة . (٣) يقال : مكنت الضبة والجرادة ونحوهما إذا باضت أو جمعت بيضها فى جوفها فهى مكون و بيضها : مكنها . (٤) أقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل أو هو جميع أدواته . (٥) طليحة هو ابن خويلد بن نوفل الأسدى كان يعد بألف فارس ثم تنبأ ثم أسلم ؛ والعيص : الأصل . (٦) أراغ : طلب . (٧) أم اللهيم : الداهية .

وجاهدتَ فيها جِهادَ امرئٍ ... له جمـــعَ الله دنيا ودِينـا
إذا ما سلكتَ بها منهجا ... وثبتَ الجبالَ وجُبت الحُزونا
بسـطتَ لعَمرك كفَّ الزما ... ن يُحصى الليالى ويُفنى القرونا
ولا برِحتْ ألسنُ المكرما ... ت تُغْنيك عن ألسن المـادحينا
دعاءٌ إذا سمِعتْـــه العُـــدا ... ةُ قالت على الكره منها أمينـا

وقال يمدحُه أيضا فى سنةِ خمسين، وهى آخرُ ما أنشدَه :

من علَّم القلبَ ما يُمـــلى من الغَـــزَلِ ... نوحُ الحمـام له أَمْ حَنَّـــةُ الإبـلِ؟
لا بل هو الشوقُ يدعو فى جوانحنـا ... فيستجيبُ جَنانُ الحـازم البطـلِ
لكلِّ داء نِطاسىٌّ يلاطفـــهُ ... فهل شـفاك طبيبُ اللوم والعـذلِ؟
بينٌ وهجرٌ يَضيع الوصـلُ بينهما ... فكيف أرجو خِصـام الحبِّ بالمَلَلِ
يُميت بثَّىَ فى صـــدرى ويَدفنـــه ... أنى أرى النَّفث بالشكوى من الفشلِ
هن اللآئ حازتهـا حمولُهـــمُ ... وإنما أبدلوا الأصداف بالكِلِ(١)
ولستُ أدرِى أبالأصداغِ قد كَحَلوا الـ ... ـأجفان أم صبغوا الأصداغَ بالكَحَلِ!
ما يسـتريب النقا أنَّ الغصون خطت ... عليـــه لكن بأوراقٍ من الحُلَلِ
من يشهد الركبَ صرعَى فى محلّهـــمُ ... يدعوه رَمْسا ولا يدعوه بالطلـــل

(١) الكلل : جمع كلة وهى غطاء يغطى الهودج ؛ ويلاحظ أن "الباء" فى قوله "بالكلل" دخلت على غير المتروك .

قـد أَلِفَ الحيُّ من مسراكِ طارقةً ... تبيتُ أحراسُهم منها على وجـلِ

أمسى شحـوبى وإرهافى يُدلِّسنى ... على الرقيب بسُمرٍ بينهـم ذُبُـلِ (١)

لم يسألوا عن مقامى فى رحالِهـمُ ... إلا أتيتُ على الأعـذارِ والعِلـلِ

لله قـومٌ يُبيحون القِـرَى كرما ... وينهرون ضـيوفَ الأعينِ النُّجُلِ

لو عدِموا البيضَ والخَطِّىَّ أنجـدَهم ... ضربٌ دِراكٌ (٢) ورشْـقاتٌ من المُقلِ

كأنما بين جَفْنَىْ كلّ ناظرةٍ ... ترنو كِنانةُ رامٍ من بنى "ثُعَـلِ" (٣)

لا روضُ أوجههـم مَرعَى لواحظنا ... ولا اللَّمَى مَـوردُ التجميش والقُبَـلِ (٤)

تحكى الغمامـةَ إيمـاضا مباسمُهـم ... وليس يحكينهـا فى جَوْدها الهطِـلِ (٥)

خافوا العيونَ على ما فى براقعهـم ... من الجمـال فشابوا الحسنَ بالبَخَـلِ

يا رائد الركب يسـتغوى لواحظَهُ ... برقٌ يلاعب ماءَ العـارض الخَضِـلِ (٦)

هذا "جَمـال" الورى تُطفِى مناصـلُه ... نارَ القِـرَى بدماء الأينُق البُزُلِ (٧)

لا يسأل الوفـدَ عمّـا فى حقائبهـم ... إن لم يوافوا بهـا ملأى من الأمـلِ

وما رعين المطـايا فى خمـائله ... إلا سَخَطن على الحَوْذانِ (٨) والنَّفَـلِ (٩)

إن آمتنعتَ حيـاءً من مواهبـه ... أولاكهـا بضروب المكرِ والحيـلِ

---

(١) السمر الذبل : الرماح الدقيقة .
(٢) دراك : متتابع .
(٣) بنو ثعل : قبيلة مشهورة بالرمى والإصابة .
(٤) التجميش : المداعبة .
(٥) الجود : المطر .
(٦) العارض الخضل : السحاب الندى .
(٧) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل .
(٨) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم .
(٩) نبت من أحرار البقول له رائحة طيبة .

قصّرتِ يا سحبُ عن إدراك غايتـــهِ ... فما بروقُك إلا حُمـــرةُ الخجـــلِ

ومصـلح بين جدواه وراحتـــه ... يسـعى ويكدَح فى صلح على دَخَـــلِ (١)

سيفٌ "لهاشمَ" مسلولٌ إذا خشُنتْ ... له الضرائبُ لم يَفـــرَقْ من الفَلَـــلِ

فى قبضة "القـائم" (٢) المنصور قائمُـــهُ ... وشَفرتاهُ (٣) من الأعداء فى القُلَـــلِ (٤)

بيضُ القراطيس (٥) كالبِيض (٦) الرِّقاق له ... وفى اليراع (٧) غِنًى عن اسمرٍ خطِلِ (٨)

وطالما جـــدَلَ الأقرانَ منطقُـــه ... حتى أقـــرُّوا بأنّ القـــولَ كالعملِ

يـــودُّ كلُّ خصيم أن يعمِّمهُ ... فضـلَ الحسام ويُعفيـه من الجـدَلِ

ما البأس فى الصَّـــعدة الصَّماء (٩) أجمعـه ... فى القول أمضَى من الهندىّ (١٠) والأسـلِ (١١)

ومستغرِّين بالبغيـا مزجتَ لهـــمْ ... كيدا من الصَّاب (١٢) فى لفظٍ من العسلِ

ما استعذبت لَهَوَاتُ (١٣) السـمع مشربَهُ ... حتى تداعت بنـاتُ (١٤) النفسِ بالهبَـــلِ (١٥)

أطعتَ فيهـــم أناةً لا يسـوِّغهـا ... حـلمٌ، وقد خُلق الإنسانُ من عجـــلِ

---

(١) الدخل : الخديعة والمكر . (٢) القائم : مقبض السيف . (٣) الشفرة : حدّ السيف . (٤) القلل : الرءوس واحدها : قـلة . (٥) القراطيس : الأوراق . (٦) البيض : السيوف . (٧) اليراع : القلم (٨) الأسمر الخطل : الرمح المهتز . (٩) الصعدة الصماء : قناة الرمح الصلبة . (١٠) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (١١) الأسل : الرماح . (١٢) الصاب : نبات مر الطعم . (١٣) لهوات : جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم — وقد استعارها هنا للسمع — . (١٤) بنات النفس : الهموم والخواطر . (١٥) الهبل : الثكل .

ثم اشتَمَلْتَهُمُ الصَّمّاءَ[1] فانشعبوا ... "أيدى سَبَا"[2] فى بطون السهل والجبلِ

ليس الرُّقَى لجميع الداء شافيةً ... الكَيُّ أشفَى لجلدِ الأجربِ النَّغِلِ[3]

قل للعُريبِ : أنيبى إنها دولٌ ... والطعنُ فى النحر دون الطعنِ فى الدولِ

هيهات ليس "بنو العباس" ظلُّهمُ ... عن ساحة الدين والدنيا بمنتقلِ

حَمَى حقيقتَهم مُرٌّ مَذاقَتُه ... موسد الرأى بين الرِّيثِ والعجلِ

موطَّأٌ فإذا لُزَّت[4] حفيظتُه[5] ... تكاثر الموتُ عن أنيابهِ العُصُلِ[6]

إيها "عقيل" إذا غابت كتائبُهُ ... فُزتم وإن طلعتْ طِرتم مع الحَجَلِ[7]

هلَّا وقوفا ولو مقدار بارقةٍ ... وما الفرار بمنجاةٍ من الأجلِ

فانْهَ[8] عن "الرِّيف" يا فَقْعًا[9] بقَرقَرةٍ ... وآبنى النزولَ على اليَربوع[10] والوَرَلِ

نسجُ الخَدَرنَقِ[11] من أغلَى ثيابكُمُ ... وخيرُ زادِكُمُ دَهْرِيَّة الجُعَلِ[12]

---

(١) الصماء : يقال : اشتمل الصماء، وهى أن يرد الرجل الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا . (٢) أيدى سبا : يقال : تفرق القوم أيدى سبا : أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده ، وذلك أن الله أرسل على أرض سبأ — وهو أبو عامة قبائل اليمن — سيلا أغرقها وانتزع سبأ وقومه فتبددوا فى البلاد فضرب بهم المثل . والمراد بأيدى سبا جنوده الذين كان يسطو بهم فى غاراته وحروبه . (٣) النغل : الذى فسد جلده .
(٤) لزت : هاجت واجتمعت . (٥) الحفيظة : الغضب . (٦) عصل : جمع أعصل وهو الأعوج . (٧) الحجل : طائر . (٨) الفقع : الرخوة من الكمأة ؛ ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، أى أذل من كمأة فى أرض منخفضة لأنها لا تمتنع على من جناها ، وقيل : لأنها تداس بالأرجل . (٩) اليربوع : حيوان من فصيلة الفار طويل الرجلين وقصير اليدين جدا . (١٠) الورل : دابة على خلقة الضب إلا أنه أكبر منه . (١١) الخدرنق : ذكر العنكبوت . (١٢) الدهرية : التى أسنت وطال عليها الدهر . والجعل : ضرب من الخنافس تؤذيه رائحة الورد ، قال المتنبى :

* كما يضر أريج الورد بالجعلِ *

إن يعهدوا العـــزَّ فى الأطنابِ آونةً ... فذا أوانُ حُلول الذلّ فى الحُلَـــلِ

ترقّبوها من "الجُودى"(١) كامنـــةً ... فى نقعها ككمون الشمس فى الطَّفـلِ(٢)

إن عُطفتْ عنكُمُ يوما فإنَّ غدًا ... مع الصباح توافيكم أو الأُصُـلِ(٣)

بكلّ مرتعـدِ العِرنين(٤) ما عرَفَتْ ... حَـوْباؤه(٥) خُلُقَ الهيّابةِ الوَكِـلِ(٦)

تدعُو على ساعديه ، كلَّمَـا آشتملتْ ... على حنيّتِـــه ، الأرواحُ بالشَّـــلِلِ

فى جَحفـلٍ(٧) كالغمام الجَوْنِ(٨) ملتبسٍ ... بالـــبرق والرّعد من لَمعٍ ومن زَجَلِ(٩)

يُزجِى قَـــوارحَ(١٠) فاتت باعَ مُلجِمها ... كأنَّ راكبَهـا موفٍ على جبـــلِ

عوّدها الكرَّ والإقـــدامَ فارسُها ... فأنت تحسَبُها صـــدرا بلا كَفَلِ

أمَا سمعـــتم "لبولاذٍ" وأســـرتِهِ ... أحدوثةً شَرَدت فوضَى مع المَثَـــلِ

إذ حطَّه الحَيْنُ من صمّاء شاهقةٍ ... لا يلحَـــق الموتُ فيهـا مهجةَ الوَعِلِ(١١)

فخـــرٌ للفـــمِ والكفّين منعفـــرًا ... إنّ السيوفَ لمن يَعصيك كالقُبَلِ

تعافه الطـــيرُ أن تقتاتَ جثّتَـــهُ ... لعلمهـا أنه من أخبث الأُكُلِ

الأرضُ دارُك والأيامُ تُنفقهـا ... على بقائك والأمـــلاكُ كالخَـــوَلِ(١٢)

متّـــع لواحظَنا حتّى نقـــولَ لهـا : ... لقـــد رأيتِ جميعَ النـاس فى رجلِ

---

(١) الجودى : اسم جبـــل . (٢) الطفل : احمرار الأفق قبيل غروب الشمس .
(٣) أصل : جمع أصيل وهو الوقت مابعد العصر الى المغرب . (٤) العرنين : الأنف .
(٥) الحوباء : النفس . (٦) الوكل : العاجز . (٧) الجحفل : الجيش العظيم .
(٨) الجون : الأسود . (٩) الزجل : الصوت . (١٠) القوارح : جمع قارح وهو من الخيل بمنزلة البازل من الإبل . (١١) الوعل : تيس الجبل . (١٢) الخول : الخدم .

* * *

وقال يمدح الوزير أبا العباس بن فَسَنجُس الملقّب بعَلاء الدين ، وكتب بها إليه بواسط ، ويذكر حربَه لابن الهَيْثم أميرِ البطائح :

لا أعذِر المـــرءَ يصبو وهو مختـارُ ... الحبُّ يُجمَـعُ فيـــه العـارُ والنـارُ

فعـارُه سَـفَه العـــذّال إن هَجـروا ... ونارُه حُـــرَقٌ إن شطّت الدارُ

لـــولا كَهانة عينى ما درت كِبدى ... أن الخِمارَ(١) سحـابٌ فيـــه أقمـارُ

يُهـــوَى بياضُ محيّاها وحُمـــرتُهُ ... كما يروقـــك دِرهامٌ ودينـارُ

إيهِ(٢) أحاديث "نَعْمانٍ" وساكنـــه ... إنّ الحديثَ عن الأحباب أسمـارُ

يا حبذا روضُه الأحوَى إذا آحتجَبتْ ... عنّى الثغـــورُ حكاها منـــه نُـــوّارُ

وحبّـذا البانُ أغصانا كَرُمنَ فما ... لهنّ إلا الحَمامُ الـــوُرقُ أثمـارُ

ظلِلتَ مُغْـــرًى بذى عينينِ تعـــذُله ... وقبلَه قد تعاطى العشـــقَ "بشّارُ"(٣)

عنـد العـــذول آعتراضات ومَعنفـةٌ ... وفى العتـاب جـــواباتٌ وأعـــذارُ

لا سنَحتْ بعدهم عُفـــرُ الظباء ولا ... ترجّحتْ فى الغصـــون الخُضْر أطيارُ

كأننى يومَ "سُـــلمانَيْنِ" قد علِقتْ ... بى من أُسامةَ(٤) أنيابٌ وأظفـارُ

---

(١) الخمار : غطاء يوضع على رأس المرأة .

(٢) إيه : اسم فعل للاستزادة من حديث معهود وإذا نونته كان للاستزادة من أى حديث .

(٣) بشار : هو ابن برد الشاعر الضرير المشهور، وفى هذا البيت إشارة الى قوله : * والأذن تعشق قبل العين أحيانا *

(٤) أسامة : الأسد .

أفتّش الريحَ عنكم كلّما نفحتْ ... من نحو أرضكم نكباءُ معطارُ

وأسأل الركبَ أنباءً فيكتمُني ... كأنّكم فى صدورِ القوم أسرارُ

حتى الخيال بدا جنبى ليوهمَنى ... قُربا ومن دونكم بيدٌ وأخطارُ

ما تطمئنُّ بكم دارٌ كأنّ "علا ... ءَ الدّين" مطلبُه فى حيّكم ثارُ

هو الذى لو حمى مَرعًى لما سَرحتْ ... سوائم الدهر إلا حيث يختارُ

ولو تُجاوره الأغصانُ ما خطرت ... ريحُ النُّعامَى(١) عليها وهى مغوارُ

يُحكَى له فى المعالى كلُّ مأثرةٍ ... تُصبى القلوبَ وتُروَى عنه أخبارُ

عظّمتُمَن له فى المجد مَكرُمةٌ ... وأين ممّن له فى المجدِ آثارُ

أنّى أقام فذاك الشّعبُ(٢) متّجَعٌ ... وكلُّ يومٍ يُحيّا فيه مختارُ

لولا ضمانُ يديه ربَّ عالَمِه ... لجاءت السُّحبُ من كفّيه تمتارُ

يلقَى العُفاةَ ببشرٍ شاغلٍ لهمُ ... عن السؤال وللأنواء أنوارُ

وحظُّه فى العطايا أنّ راحتَه ... بين العُفاةِ وبين الرِّفدِ سُمّارُ

أخو المطامعِ يلقاه بذلّتها ... ويثنِى وهو فى عِطفيه نَظّارُ

أفنَى الرجاء فما للخيل ما نحتوا ... من السروج ولا للعِيس أكوارُ

لا يَنهَبُ الشكرَ إلا من كتائبِه ... يومَ التغاورِ أضيافٌ وزُوّارُ

إذا القِرَى عقّرت أمّ الحُوارِ(٣) له ... رأيتَه وهو للأموال عقّارُ

---

(١) النعامى: ريح الجنوب. (٢) الشعب: الحى العظيم. (٣) الحوار: ولد الناقة الى أن يفطم.

لله مقتبـــلُ الأيام همّتـــهُ ... لها من البأس والإقبـال أنصارُ

ثِقْ بالنجاح إذا ما آجتاب سابغـــةً[1] ... لها "الثريّا" مسامـــيرٌ وأزرارُ

لا يتـــوارى ضميرٌ عن سريرته ... كأنما ظنُّـــه للغيب مِســـبارُ[2]

من الورى هـــو، لكن فاقهـــم كرما ... كذلك الدرُّ والحصباءُ أحجارُ

بأيِّ رأيٍ "أبـــو نصرٍ" يحـاذبه ... حبـلَ الخلاف وبعضُ النقضِ إمرارُ[3]

أما رأى أنَّ ليثَ الغـاب مجتمعٌ ... لوثبـــةٍ وفنيـــقَ النيبِ[4] هَـــدّارُ[5]

ولا جُناحَ عـــلى مُرسٍ كلاكلَه[6] ... اذا تقـــدّم إعـــذارٌ وإنـــذارُ

بدأتَهُ بآبتســـامٍ ظنَّـــه خَـــوَرا ... فآغترَّ والكوكبُ الصبحيّ غرّارُ

الآن إذ كشفَتْ عن ساقها ورمت ... قناعَهـا الحـــربُ والفُرسان أغمـارُ[7]،

غـــدًا يمسّـــح أعطافَ الردَى ندما ... وكيف تنهضُ ساقٌ مُخُّها رارُ[8]

يُغشِي الســـفائنَ نيرانَ الوغَى سـفَها ... والنـارُ أقـــواتُها الأخشابُ والقـارُ[9]

إن كان للأجَـــم[10] العـادىّ مـــدّرعا ... فالليثُ بين يراع[11] الخيس مِـذعارُ

أو كان يغـــترُّ بالأمـــواه طاميـــةً ... فإن بالقاعِ من كفّيه تيّارُ

---

(١) اجتاب : لبس، والسابغة : الدرع . (٢) المسبار : أداة يعرف بها غور الجرح .
(٣) الإمرار : إحكام الفتل . (٤) الفنيق : الجمل الكريم على أهله ولا يركب .
(٥) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٦) الكلاكل : الصدور — والمراد بها هنا الأحمال والأثقال — . (٧) أغمار : جمع غمر وهو الكريم الواسع الخلق . (٨) الرار : الفاسد . (٩) القار : الزفت . (١٠) الأجم العادى : الشجر الملتف القديم .
(١١) اليراع : القصب، والخيس : مريض الأسد .

إذا تـــرنَّم حَـــولىٌّ البعـــوض له ترنَّمت فى قسىِّ "الـــتُّرك" أوتارُ

أنجِـــزْ مواعيـــدَ عزمٍ أنتَ ضامنُهـا ولا يُنهنهْـــكَ إردبٌّ وقِنـــطارُ

فإنما المـالُ رُوحٌ أنت مُتلفُهـا والذِّكرُ فى فلواتِ الدهر سَـــيَّارُ

لا تـــتَّركْ نُهـــزَةً عنَّتْ مسـلَّمَةً إلى عـــلاك فإن الدهرَ أطـــوارُ

وما ترشَّح يـــومُ المِهـــرَجانِ لهـا إلا وللسـعدِ إيـــراد وإصـــدارُ

لما رآك نـــوى نَـــذرا يقـــومُ به حتى أتاك وشـــهرُ الصـــوم مِضمارُ

وقـــد زففنـا هـــداياه مُنمنَمَـــةً (١) كأنّهـا فى رقاب المجـــد تِقصـارُ (٢)

ولستُ ارخصُ أقـــوالى لسائمهـا إلا عليـــك، وللأشـعارِ أســـعارُ (٣)

وقال يمدح الوزير أبا المعالى بن عبد الرحيم فى النيروز :

أَلَكم الى ردِّ الشـباب سبيلُ أم عنـــدكم لمشـــيبه تأويلُ؟

نُورٌ من الشـــعَراتِ ليتَ أقولَه فيهـا طـــلوعٌ والطـــلوعَ أقولُ

ما كان يشفع لى بخـدَّد هِجرةً فِقـــدانُهُ لكنّه تعليـــلُ

يا ليتـــه جَنَبَ الغـــرامَ وراءه فيقـــالَ : لا غِـــرٌّ ولا معـــذولُ

ها تلك أشجـانى كما خلَّفتها لعبَ الزمانُ بهـا وليس تحـولُ

---

(١) منمنمة : مزخرفة موشاة . (٢) التقصار : القلادة . (٣) فى الأصل "أشعار" وهو تصحيف .

يقتـادُنى البرقُ اليمـانِ كأنه ... من عند إيمـاضِ الثغور رسـولُ

وكأنَّ قلبى — والمهامهُ بيننا — ... حىٌّ على "وادى العِضـاهِ" حُلولُ

تُفنِى براقِعُهـم، وما آستفنيتُها، ... أنّ اللّحـاظَ إذا آختُلسنَ غُلولُ (١)

أُنظر خليلى من "قَرَارٍ" (٢) هل ترى ... قَطَنـا (٣) فطَرفُ العـامرىِّ كليـلُ؟

وحلفتُ ما بصَرِى بأصدقَ منكما ... نظرا ولكنَّ الغـرامَ دليلُ

قالوا : الديارُ وقد وقفت فزدانى ... بثَّا رسـومٌ رثَّةٌ وطـلولُ

ونَشِقتُ خفّاقَ النسيم فما شـفا ... دائى ، وهل يشفِى العليلَ عليلُ؟!

وكرَعتُ سَلسالَ الغدير وليس ما ... بُلّ الشـفاهُ به يُبَـلُّ غليـلُ

يا ضـالة الوادى أَحُثّ مطيّتى ... أم عند ظبيكِ فى الكناسِ (٤) مَقيلُ؟

عيناه أسـلمُ لى ويُعجِبُ ناظرى ... مُقَلٌ كأن لحاظَهنَّ نُصـولُ (٥)

مُقَلٌ لغـزلانِ "الحجازِ" وسِحرُها ... من "بابلٍ" مستجلَبٌ منقولُ

ولقـد طرقتُ البيتَ يُكره ربُّه ... والشوقُ ليس يَعيبـه التطفيـلُ

أيظُنُّ من عَقَر النجائبَ قومُه ... أن الدماءَ جميعَهـا مطلولُ

من دون سفكِ مدامعى ماشئتَ من ... حِـلْم ودون دمِى تغولك غولُ

وأنا آمرؤٌ لو مُـدَّ من غُلوَائه (٦) ... نطقى، لقيل : كلامُـه تنزيلُ

(١) غلول : جمع غل وهو القيد . (٢) قرار : واد قرب المدينة . (٣) القطن : جمع قطين بمعنى القاطن . (٤) الكناس : بيت الظبى . (٥) نصول : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف . (٦) الغلواء : — وقد تسكن اللام — الغلو فى الشىء .

لا يطمع العظماءُ فى مـدحى ولا طمَعى على أبوابهـــم معقـولُ
ولو آستطعتُ لمـا آغتبقتُ بشَربةٍ مما يَمُدُّ "فُراتُهـم" "والنيلُ"
وإذا تأمّلتُ الرجالَ تفاوتت قِيَما ومـيَّز بينهـا التحصـيلُ
بعضٌ هُمُ غُرر الجيـادِ وبعضُهم (١) بين السنابك (٢) والصِّفاقِ (٣) حُجولُ
مِثل الحُلـى دماجٌ وخلاخلٌ منـه ومنـه التـاجُ والإكليلُ
لـولاهُمُ غرَبتْ شموسُ محاسنٍ وهوَى ببـدر المكرمَات أفُـولُ
تبًّا لهـذا الدهر لا مِيزانُه (٤) قِسْطٌ ولا فى قَسمه تعـديلُ
جَوْرٌ يساوى عالمـا متعـالِمٌ فيـه ويُشبِهُ فاضـلا مفضولُ
لا درَّ درُّ المرء يقطعُ دهرَه رِخـوَ الإزارِ وعزمُه مفـلولُ
آلبيـدُ تزرعُهـا المناسمُ (٥) وهى لا تدرى أعرضٌ شَوطُها أم طـولُ
واليَعْمَلاتُ (٦) سياطُهـا وحذاؤها نسبٌ نماه "شَدقمٌ" (٧) "وجديلُ"
فاذا "كمالُ الملكِ" سَحّ سحابُهُ نبتَ الرجاءُ وأثمر المـأمولُ
سبقت مواهبُه المديحَ فظنَّ مَن عجِلتْ اليـه أنهـا بِرطيـلُ (٨)

(١) السنابك : حوافر الخيل . (٢) الصفاق : جلد البطن كله . (٣) الحجول : جمع حجل — بكسر الحاء — وهو البياض فى قوائم الفرس . (٤) القسط : العدل وهو من المصادر التى يوصف بها كما يقال : رجل عدل ، — ويستوى فيه الواحد والجمع — . (٥) المناسم : جمع منسم وهو الخف . (٦) اليعملات : النوق النجيبة المطبوعة على العمل . (٧) شدقم وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنـذر يضرب بهما المثل فى النجابة . (٨) البرطيل : الرشوة ، ومنه « البراطيل تنصر الأباطيل » .

عَجِلٌ الى المعروف يَحسَب أنه ظـــلٌ اذا لم يغتنمه يزولُ

كثُرَ الكلامُ به ، وفى أمثالهم من قبـله : أنّ الكرامَ قليلُ

وإذا جرى فى غايةٍ شهِدت له أن لا محلَّقَ فى مَداه رسيلُ (١)

ضلَّتْ ركائبُ من يؤمُّ طريقه، إنّ العـــلاءَ سبيلُه مجهـولُ

يتوارث المجـــدَ التليـدَ بمعشر أدنَتْ فروعَـهمُ اليـــه أُصولُ

جازوا على عَنَت الحسودِ فلم يجد عيبا، وماذا فى النجوم يقـــولُ!!

لهمُ، إذا كرمُ الطبـاعِ هززْتَه، نصـــلٌ وأنت الرونقُ المحـــلولُ

وإذا آنتهى نسبٌ إليـــك فإنه فَلَقُ الصباح مع الضُّحى موصولُ

ولقد شـــددتَ وَثاقَ كلِّ مُلمَّةٍ يُلوَى عليهـا مُبرِمٌ (٢) وسحيـــلُ

وحميت أعطانَ الأمور وإنمـا كانت غمـاما بالدماء تسـيلُ

وإذا آلتقت حِلَقُ البِطان (٣) فإنمـا يكفيك ثَمَّ رسـالةٌ ورســولُ

بدلا من القُبِ (٤) العِتاق ضـوامرٌ رُقشُ المتونِ (٥) صريرُهن (٦) صهيلُ (٧)

يَنبُتنَ مثـل الروض إلا أنّه ترعاه أسمـاعٌ لنـا وعقـــولُ

ومن الصِّفاح البيضِ كل صحيفةٍ لتزاعهـا بالراحتين صليـلُ

---

(١) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق . (٢) المبرم : الحبل المحكم الفتل ، والسحيل ضده . (٣) البطان : حزام الدابة . (٤) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٥) رقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة ببياض وسواد — والمراد بها هنا الأقلام — . (٦) المتون : الظهور . (٧) الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

سَحَبت لكَ الأيامُ فضلَ ردائها مَرَحا يدوم بقاؤه ويطـــولُ
وتتابعت حِججٌ يؤرِّخ عصـــرَها عُمـــرٌ به خُلدُ الزمان كفيلُ
ينتابك "النوروز" يجنُب إثرَهُ أعوامَ ســـعدٍ كلُّهن صقيـــلُ
هو خطةٌ همَّ المُصيفُ بقصـــدها شـــوقا ونادى بالشـــتاء رحيـــلُ
أخذ الربيعُ زمامه حتى آستوى فى عارضـــيه نبتُه المطـــلولُ
بك أشـــرقت أيّامـــه فكأننـــا فى عصرِ "كِسرَى يَزْدَجِرْدَ" نُزولُ

وقال يمدحُه أيضا :

ما ضاع من أيّامنا هل يُغرَمُ هيهات والأزمانُ كيف تقـــوَّمُ؟!
يومٌ بأرواحٍ يبـــاعُ ويشـــتَرَى وأخـــوه ليس يُسامُ فيـــه دِرهمُ
سيان قلبي فى المشيب وفى الصِّبا لو يســـتوى شَـــعرٌ أغرُّ(١) وأسحمُ
لى وقفـــةٌ فى الدار لا رجعت بما أهـــوى ولا يأسِى عليهـــا يُقدِمُ
لا تحسب الآثارَ لُعبـــةَ هازلٍ نار آدكارِك فى المعـــالم تُضرمُ
أوما رأيتَ عِمـــادَها فى ثُويها(٢) مثلَ السِّوار يحول فيـــه المِعصمُ
وكفَاك أنى للنواعبِ عاتبٌ ولصُـــمِّ أحجارِ الديار مكلِّـــم
ومن البـــلادةِ فى الصبـــابة أننى مستخبرٌ عنهنَّ من لا يفهـــمُ

(١) الأغر : الأبيض ، والأسحم : الأسود .
(٢) الثوى : حفيرة حول الدار تمنع السيل ، وفى الأصل «غمارها فى ثوبها» وهو تحريف .

وأنا البليـغُ شكا اليها بثّـــه عبثا فما بالُ المطايا تُرزِمُ[1]

كلٌّ كنَى عن شـــوقِه بلغـاتِه ولربّما أبكى الفصيـــحَ الأعجمُ

ترجُو سُلوَّكَ فى رسومٍ بينهـا الـ ـأغصانُ سكرَى والحمامُ متيّمُ

هذى تميـــلُ إذا تنسّمت الصّبا والوُرق تذكر إلفَها فـــترنّمُ

فمتى تروع العيسُ غزلانَ النقا بعصـابةٍ سئمَ العواذلُ منهـــمُ

النُّسكُ عند عفيفهم دينُ الهوى والنصح عنـد لبيبهم لا يُفهَـــمُ

حتّـام أرعَى وردةً لا تُجـــتَنَى فى الخـــدِّ أو تُفّاحـــةً لا تُلثَمُ

أيُذادُ عن تلك المحاسنِ ناظرى وتريد منى أن يســـوَّغَها الفمُ؟

فى كلّ يومٍ للعيون وقائعٌ إنسانُها الطمّاحُ فيهـا يُكلَـــمُ[2]

لو لم تكن جَرْحَى غداةَ لقائهم ما كان يجرى من مآقيها الدمُ

ولو اقتدرتُ قسمتُها يومَ النوى؛ عينا تلاحظهـــم وأخرَى تَسْجُمُ[3]

دع لمحةً إن تستطع عُلَقَ الهوى فبـذاك تعلمُ كيف نام النوّمُ

ولطالما اعتقب العواذل مسمعى فزجرنَ منه مُصْعَبًا[4] لا يُخطَمُ[5]

ما كنتُ أولَ من عصـاهُ فؤادُه وجنَى عليـــه مقنّعٌ ومعـــمّمُ

لم أدر أنّ الحبَّ حومةُ مأزقٍ تُصـلِى ولا أنّ اللواحظَ[6] أسهـمُ

---

(١) ترزم : تحن وتئن . (٢) يكلم : يجرح . (٣) تسجم : تسح بدمعها كالقطر .

(٤) المصعب : الجمل الذى لا يركب لكرامته . (٥) يخطم : يوضع فى أنفه الخطام .

(٦) فى الأصل «المحاسن» وفى منتخبات البارودى «اللواحظ» وقد رجحناها .

أصفُ الأحبّةَ، واللسان يقول لى: وصفُ الوزير «أبى المعالى» أعظمُ

المستجير من المذمّة بالنَّدَى والمســـتجار إذا أظلّك مَغْـــرمُ

فى كلّ يوم للمكارم عنـــدَه سوقٌ، "عُكاظٌ" دونَها والموسِمُ

وكأنّما أموالُه من بَذلها نَهبٌ بأيدى الغانمين مقسَّمُ

فلو آنها وَجدتْ عليـــه ناصرا لرأيتها من كفّهِ تتظلّمُ

أسمعتَ قبـــلَ يمينـــه وشمـاله بسـحائبٍ أو أبحـــرٍ تتخـــتّمُ؟

فيهنّ من قِصـدِ اليراع(١) أراقمٌ(٢) تَقضى وتَمضى والقنا يتحطّـــمُ

ماهنّ إلا مـــوردٌ من فوقـــهِ طيرُ الرغائبِ والمطـالبِ حُوَّمُ

الجِـــدُّ من عزماتهِ متلقّنٌ والمجـدُ من أخلاقه متعـــلّمُ

متهلّـــلٌ للوفـــد يُحسَب أنه بدرٌ أحاط بجانبـــيه الأنجُـــمُ

تُثنِى عواذله عليـــه بعـــذلهم ولربّما نَشَرَ الثناءَ اللُّـــوَّمُ

خلعتْ عليـــه المكرُماتُ ملابسا مايزال ينقُشها المـديح ويرقُـــمُ

عِشق المعالىَ فهْو من شغفٍ بها عنـــد الرقاد بغـــيرها لا يَحلُمُ

بصـــوابه فى الرأى ثُقِّفت القنا وبعزمه صُقِل الحسامُ المِخذَمُ(٣)

يحيى بســـطوته مسارحَ لحظـهِ فالعـــزُّ فى أبياته مســـتخدَمُ

---

(١) قصد اليراع : كسر الأقلام .

(٢) الأراقم : الحيات . — وهى هنا على التشبيه — .

(٣) المخذم : القاطع .

وإذا تلمّح قلت : صقرٌ ناظـرٌ ... وإذا تغاضَى قلت : أطرقَ أرقمُ (١)

ثَبْتُ الجَنانِ كأنّما فى بُرده ... يومَ الزعازع "يذبُلٌ" "ويلملمُ" (٢)

رفَعتْ له هِمّاتُه وزَماعُـه (٣) ... بنيانَ مجدٍ ركنُه لا يُهـدَمُ

طَـوْلٌ تشرَّد فى البـلاد فمنجِدٌ ... يَروِى الذى يَرويه آخرُ متهِـمُ

لله أنتَ إذا تسـلّبت الـرُّبَى (٤) ... وشـكا الأُحاحَ سِماكُها والمِرْزَمُ

ليُردَّ مَن جاراك رأسَ طِمِرّةٍ (٥) ... ما كلُّ طِـرْفٍ (٦) فى السّباقِ مطهَّمُ (٧)

للمجـد أثقـالٌ تعِجُّ (٨) إفالُهـم (٩) ... منهـا وينهَـزها الفنيقُ (١٠) المُقـرَمُ (١١)

حاشاك أن يَثنِى طباعَك فى الندى ... ثانٍ وينقُصَ من خِلالك مُبرِمُ

إن تَصنع الحسنَى فإنك زائدٌ ... أو تُسـبغ النُّعمَى فأنت متمّـمُ

وأنا الذى سيَّرتُ شكرك فى الدُّنَى (١٢) ... حتى تلاه مُعـرِقٌ أو مُشئِمُ

وجلبتُ من بحر الثناءِ لآلئـا ... فى نحـرِ ما أو ليـتنيه تُنَظَّمُ

أو ردتُ آمالى غـديرَك آمنـا ... من أن يكون وراءَ شهـدٍ عَلقمُ

ورضعتُ ثدىَ ندالك من دون الهوى ... ثقـةً بأنّ رضيعَـه لا يُفطَمُ

---

(١) الأرقم : الثعبان . (٢) يذبل ويلملم : جبلان . (٣) الزماع : المضاء .
(٤) الأحاح — بالضم — : العطش وحرارته ، والسماك والمرزم : نجمان . (٥) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٦) الطرف : الجواد . (٧) المطهم : التام الحسن .
(٨) تعج : تصيح وترفع صوتها . (٩) إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .
(١٠) ينهزها : ينهض بها ؛ والفنيق : الفحل لا يركب لكرامته . (١١) المقرم : المكرم الذى لا يحمل عليه . (١٢) الدنى : جمع الدنيا ، — وإذا جمعت مع أنها واحدة فلاعتبار أقسامها .

أهدى لك "النيروزُ" فى أغصانهِ زَهرا بأوراقِ العــلاء يُكَمَّــمُ
فى كلِّ يومٍ خيــلُه وركابُه جَبهاتُهنَّ بطيب ذكرك تُوسَمُ
لا زالت النَّعماءُ عنــدك، حَلْبُهــا ملءُ الإناء وبطنُهــا لا يُعقَــمُ
والدهر مجنــوبٌ وراءك كلّمــا واتاك أســعده القضــاءُ المبرَمُ
كالنِّقسِ(١) ليلتُــه وطِــرسِ يومُــهُ والنُّجحُ يَكتُبُ والســعادةُ تختِمُ

وقال يمدحُ بَرَكةَ بن المقلَّد العُقَيليّ، ويلقّب زعيم الدولة :

تُرى رائحٌ يأتى بأخبــار مَن غــدا وهل يكتُمُ الأنبــاءَ من قد تزوَّدا
أُحبّ المقــالَ الصدقَ من كلّ ناطقٍ ســوى ناعبٍ قد قال : بينُهُــمُ غدا
ألَا آستوهِبا لى الأرحبيَّــةَ(٢) هَبَّــة لنُحدثَ عهــدا أو لنضربَ موعدا
حرامٌ عــلى أعجازهنّ ســياطُنا فيــا سائقيْها آستعجلاهنَّ بالحُــدا
متى تردا المــاءَ الذى وَردتْ به ظبــاءُ "سُلَيمٍ" تَنقَعا غُــلّةَ الصدى
فلا تُشــغَلا عنــه بلــثمِ حَبــابِهِ(٣) تظنّــانِه ثغــرا عليــه تبــدَّدا
فقــد طــال ما أبصرتُمــا ظبيَ رملةٍ فشبّهتُماه ذا دَمالجَ أغيــدا
فرشتُ لجنبِ الحبّ صدرى وإنمــا تهابُ الهوى نفسٌ تخاف من الردى

(١) النقس : المداد الأسود . (٢) الأرحبية : الإبل المنسوبة الى الأرحب وهو فحل من الفحول النجيبة ؛ أو هو اسم قبيلة تنسب اليها . (٣) الحباب : نفاخات الماء والخمر التى تعلوهما .

ونفرتُ عن عينى الخيالَ لأنه ... يحاولُ مَـدًى نحو باطـله يدا

أرى الطيفَ كالمرآة يخلُق صـورةً ... خداعا لعينى مثلما يَسحَر الصَّـدى (١)

أتزعمُ أنّ الصـبرَ فيك سجيّـةٌ ... وتشجَى إذا البرق التِّهامىُّ أنجـدا

وقالو : أتشكو ثم تَرجِعُ هائمـا؟ ... فقلتُ : غرامٌ عاد لى منـه ما بدا!

تُعـاد الجسومُ إن مرضنَ ولا أرى ... لهـذى القلوب إن تشكّين عُودًا

فلا تحسبوا كلّ الجوانح مُضـغةً ... ولا كلَّ قلبٍ مثـلَ قلـبىَ جلمدا (٢)

وحىَّ طرقناه عـلى زوْرِ موعدٍ ... فما إن وجدنا عنـد نارهمُ هُدى

وما غفلتْ أحراسُهـم غـيرَ أنّنـا ... سقطنا عليهم مثلَما سقَط النَّـدى

فلما ٱلتقينا حشَّ قلـبى فراقُهـم ... فلم ينكروا النـارَ التى كان أوقدا

نزحتُ دموعى بعـدَهم من أضالعى ... مخـافةَ أن تطغَى عليها فتجمُدا

وفى العيش مَلهًى لامرئ بات ليلَه ... يشـاور فى الفتك الحسامَ المهـنَّدا

إذا ما ٱشتكت قَرْحَ السهاد جفونُهُ ... أداف لهـا من صِبغة الليل إثمِـدا (٣)

يظـنّ الدجَى فـرعا أثيثًـا نبـاتُهُ ... ويحسَبُ قَرن الشمس خـدًّا موردًّا (٤)

ويرضَى من الحسـناء بالرِّيم إن رنا ... كحيـلا مآقيـه وأتلعَ أجيـدا (٥)

---

(١) يسحر : يخدع ؛ والصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته . (٢) الجلمد : الصخر . (٣) أداف : أذاب وخلط ؛ والإثمد : حجر يكتحل به . (٤) الفرع الأثيث ، الشعر الكثيف . (٥) الريم — ويميز — الغزال ؛ والأتلع الأجيد : الطويل الجيد .

كما "بزعيم الدولة" الأمم ارتضت ... على الدين والدنيا زعيما وسيدا

أقاموا بدار الأمن في عرصاته[1] ... كأنهم شدوا التميم المعقدا

رمى عزمه نحو المكارم والعلا ... مصيبا فكان المجد مما تصيدا

إذا أمّم السارون نور جبينه ... كفى الركب أن يدعو جديا[2] وفرقدا

تلألأ في عرنينه نور هيبة ... تخر له الأذقان في الترب سجدا

أباح حمى أمواله كل طالب ... من الناس حتى قيل : ينوى التزهدا

له روضة في الجود أكثر رودا ... من المنهل الطامي وأوفر ورّدا

تناكص عن ساحاته السحب، إنها ... متى حاكمته في الندى كان أجودا

وهل يستوي من يمطر الماء والذي ... أنامله تهمي لجينا وعسجدا[3]

ومن برقه نار ومن برق وجهه ... تهلل مرتاج الى الجود والندى

قليل هجوع العين تسري همومه ... مع الجاريات الشهب مثنى وموحدا

ومن كان كسب المجد أكبر همه ... طوى بردة الليل التمام[4] مسهدا

متى ثوب الداعي ليوم كريهة ... تأزر بالهيجاء واعتم وارتدى

وقد علمت أشياخ "جوثة"[5] أنه ... أمدهم باعا وأبطشهم يدا

---

(١) عرصات : جمع عرصة وهي ساحة الدار . (٢) جدي وفرقد : نجمان . (٣) العين والعسجد : الذهب والفضة . (٤) الليل التمام — بكسر التاء — هو أطول ما يكون من ليالي الشتاء، ويقال أيضا : ليل التمام — بالاضافة — . (٥) جوثة : قبيلة .

لهم واصَلَ الطعنَ الخلاجَ(١) فأصبحت تَشَكّى الردينيّاتُ(٢) منه تأوُّدا

رأى الودَّ لا يُجدى وليس بنافع سوى نقماتِ السيف والرمح فى العدا

فما يقتنى إلا حساما مهنّدًا وأسمرَ(٣) عسّالا وأقودَ(٤) أجردا

متى يَرمِ قوما بالوعيد وإن نأت ديارهمُ عنه أقام وأقعدا

وما الرمح فى يمنَى يديه مسدَّدا بأنفذَ منه سهمَ رأيٍ مسدّدا

صهيلُ الجياد المقرباتِ(٥) غناؤه فلو شاء سمّاها "الغريضَ"(٦) "ومَعْبَدا"

ويُذكِره بزلَ النجيع(٧) من الطُّلَى(٨) عِشارٌ جلبنَ البابليَّ(٩) المبرَّدا

فلو لم يكن فى الخمر للبأس مشبهٌ وللجود لم يجعلْ له الكأسَ مَوردا

بعثت لسكان "العراق" نصيحةً(١٠) متاركةَ(١١) الرئبال فى غيله سُدَى

ولا تأمنوا إطراقه إنّ كيده ليستخرج الضبَّ الخبيثَ من الكُدَى(١٢)

أرى لك بالعلياء نارا فراشُها ضيوفُك يُقرَوْنَ(١٣) السديفَ(١٤) المسرهدا

فلا تُفنِيَنَّ(١٥) العيسَ بالعقر إنها متى تَفنَ تجزُرْهُم إماءً وأعبُدا

(١) الخلاج : المضطرب المهتز . (٢) الردينيات : الرماح — منسوبة الى امرأة تسمى "رديئة" كانت تقوم الرماح ؛ والتأود : التثنى . (٣) الأسمر العسال : الرمح المهتز .
(٤) الأقود الأجرد : الفرس الذلول المنقاد القصير الشعر . (٥) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٦) الغريض ومعبد : مغنيان معروفان . (٧) النجيع : الدم .
(٨) الطلى : الأعناق ، واحدها طلية . (٩) البابلى المبرد : الخمر . — منسوب الى بابل — .
(١٠) الرئبال : الأسد . (١١) الغيل : مريض الأسد . (١٢) الكدى : جمع كدية وهى الأرض الغليظة ؛ ويقال : ضب الكدية وضباب الكدية لولعها بحفرها . (١٣) السديف : شحم السنام . (١٤) المسرهد : السمين . (١٥) العيس : الإبل .

وكم موقفٍ أســكرتَ من دمِه القنا وأشـبعتَ فيـه السـيفَ حتى تمرَّدا

ولو تجحد الأقرانُ بأسَـك فى الوغى أنتـك النسـورُ بالذى كان شُهَّـدا

إليــك نقلناهـا أخامصَ لم تجـد سوى بيتك الأعلى مُناخا ومَقصِـدا

ولو بُعـدَ المسرَى زجرنا على الوجَى (١) أغـرَّ وجيهًـا (٢) ووجنـاءَ جَلْعَـدا (٣)

ومثلك من يرجـو الأسـيرُ فِكاكَه ولو كان فى جَـور الليـالى مقيَّـدا

لئن كنتَ فى هـذا الزمان وأهـلِه كبيرا لقد أصبحتَ فى الفضل مفردا

* * *

وقال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

حرامٌ عـلىَّ طُـروقُ الديا رِ ما دام فيهـا الغزالُ الربيبُ

أشاهـد فى جانبيهـا هـوايَ لغـيرى ومالىَ فيـه نصيبُ

وقـد كان فوضَى فكان المنى تعـللنى، والتمـنِّى كذوبُ!

فلمَّـا تصـيَّده قانـصٌ ألدُّ على ما حـواه شَـغوبُ،

تداويتُ من مرضٍ فى الفـؤاد بيأسىَ، واليأسُ بئسَ الطبيبُ!

فقد وهبَ الثأرَ ذاك الحريصُ ونام على الحقـدِ ذاك الطلوبُ

ومن عزَّ مطلبُـه مُهـمَلا فكيف به وعليـه رقيبُ؟!

فلا حظَّ فيـه سـوى لمحـةٍ تُنافس فيهـا العيونَ القـلوبُ

(١) الوجى : الحفا . (٢) الوجيه : فرس تنسب اليه جياد الخيل . والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين . (٣) الجلعد : الصلبة الشديدة .

وُجـــود الأمـــير بأمثـاله فكلُّ بعيـدٍ عليـه قـريبُ

وهـوب الجيـادِ وبيض القِيا (١)ن والظبي يرتجُّ منه الكثيبُ

وعَقّـار كُومِ الصَّفايا (٢) إذا (٣) تعـــذَّرَ عند الضُّروع الحليبُ

تَعيثُ الأخـــلّاءُ فى ماله كما عاث فى جانب السِّربِ ذيبُ

وما يسـحَرُ القـولُ أخلاقَـهُ ولكنّـه الكرمُ المستجيبُ

* * *

ظفِرتَ ، وويلُ أمّها حُظوةً، ببـدرٍ تُزرُّ عليـــه الجيوبُ

إذا رُدِّد الطَّـرفُ فى حسـنه أثار البـديعَ وماج الغريبُ

عُبـوسٌ يُولَّد منـــه السرورُ ومن خُلُقِ الخندريسِ (٤) القُطوبُ

وتيـهٌ كأنْ ليس بدرُ السماء يُلمُّ الكسوفُ به والغُـروبُ

ولـــولا حيـاءٌ تقمَّصـــتُهُ لأجلكَ جَّ إليـــه النسيبُ

سأطـــوِى على لَهَبٍ غُلَّـــتى إلى أن يُعطَّـــلَ (٥) ذاك القَليبُ

وأعلمُ أنْ ســيباحُ الحمى إذا أظهـر الشعَراتِ الدبيبُ

طِـرازٌ يَمـنِمُ فى العـارضَيْن يُزيَّنُ (٦) منـــه الرداء القشيبُ

فما ذلك الحسنُ مســتقبَحا بشَـعرٍ ولو لاح فيه المشـيبُ

---

(١) الكثيب : تل الرمل — والمراد به هنا الكفل فى ارتجاجه — . (٢) كوم : جمع كوماء ، وهى الناقة الضخمة السنام . (٣) الصفايا : جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن .

(٤) الخندريس : الخمر . (٥) القليب : البئر — وفيه كناية حسنة — . (٦) القشيب : الجديد .

وكتب إليه وقد بلغه عنه عتبٌ فى تأخُّرِ الزيارة :

قد طال للماطلِ أن يُقتَضَى ... وأن يعافِى الحبُّ من أمرضا

سلُوا الذى حالفنى فى الهوى : ... بما الذى كفَّر إذ أعرضا؟!

ملآن غيظا وفؤادى به ... مقلَّبٌ فى جمراتِ "الغضا"

نادِ على نفسك: هذا القِلَى[1] ... جزاءُ من حَكَّم أو فوَّضا!

صاحِ ترى برقًا على "جاسمٍ" ... كأنّه هِنديّةٌ[2] تُنتَضَى،

أذكرنى عهدَ "عقيقِ الحِمَى" ... ولا يُعيد الذكرُ ما قد مضَى

سرَى مع الطيف، فهذا لمن ... يسهَر، والطيفُ لمن غمَّضا

إن لم يكن شجوِى فقد شاقنى ... سيّانِ مَن قاتَل أو حرَّضا

تالله لو تُضمِرُ أحشاؤه ... ضميرَ أحشائى لَمَا أومضا

حىّ غزالا بين أجفانه ... أسنَّةُ الحينِ وسيفُ القضا

رامٍ وما "القارةُ"[3] آباؤه ... يَستغرق[4] السهمَ وما أنبضا

إياك تلقاه بلا جُنَّةٍ ... خوفَ سلاحَىْ سُخطه والرِّضا

ما تُجمِعُ الأضدادُ، والرأس لِمْ ... قد جمَعَ الأسودَ والأبيضا!!

---

(١) القلى : البغض . (٢) الهندية : السيوف — منسوبة الى الهند — . (٣) القارة : قبيلة مشهورة بالرمى : وفى الأصل : « القادة » وهو تحريف . (٤) استغرق السهم : بلغ به غاية المد . وأنبض : جذب وتر القوس لتصوت .

كأنّ فرعى (١) حلبةٌ (٢) أرسلوا دُهما (٣) وشُهبا (٤) فوقها رُكّضا

طالبةً شأوَ امرئ سابقٍ كلُّ جناح خلفه هُيِّضا (٥)

شيّدتِ الاباء من قبله له البناءَ الأطولَ الأعرضا

مَعاشرٌ كانت مساعيهُمُ أغطيةَ الأرض وحشوَ الفضا

مذ غمسوا فى الماء أطرافَهم ما أجَنَ الماءُ ولا عَرْمَضا (٦)

لو وطِئوا الصخر بأقدامهم أو لمَسته راحُهم رَوَضا

لم تعدَم الدنيا ولا الدينُ من أبنائهم وزارةً أو قَضا

بينا ترى أقلامَهم رُعّفا (٧) حتى ترى أسيافَهم حُيِّضا

ولم يزل واطئُ أعقابهم ينهَض حتى لم يجد مَنهَضا

طاب ثَراه فنما فرعُهُ ويُخرِج الزُّبدةَ من أمخضا

محكَّم فى العلم إن شاء أن يختَلَّ (٨) فى مَرعاه أو يُحمِضا

كِنانةُ (٩) الآداب فى كفّه متى رمَى أسهمَها أغرَضا (١٠)

يَفهم مَغزَى القول من قبل أن يُرفعَ أو يُنصَب أو يُخفَضا

(١) الفرع : الشعر . (٢) الحلبة : الخيل تجرى للسباق على رهان وهى هنا بمعنى ساحة الجرى . (٣) الدهم : السود . (٤) الشهب : البيض . (٥) هيض : كسر . (٦) عرمض : ظهر به العرمض وهو الطحلب . (٧) رعفا : قاطرة ؛ وأصل الرعاف خروج الدم من الأنف . (٨) يختل : يحتبس فى الخلة وهى نبات حلو ، ومنه : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها . والحمض : ما ملح وأمر من النبات تأكله عند سآمتها من الخلة .
(٩) الكنانة : كيس من أدم توضع فيه السهام . (١٠) أغرض : أصاب .

إيهٍ (١) "أبا نصرٍ" وأنت آمرؤٌ لا يستردُّ الدهرُ ما أقرضا

منحتنى الودَّ فخازيتُه بالشكر والمُثنِي كمن عوّضا

خيمَّ فى قلبى نظيرٌ له مذ عقَد الأطنابَ ما قوّضا

مثل خلال فيك أثوابها أبَى لها التطهيرُ أن تُرحضا (٢)

وكلُّ ما يبنيه هذا الهوى بالنأى والتفريقِ لن يُنقضا

لا ينفع القربُ بجسمٍ اذا لم يك قلبٌ مُصْغيا مُنغضا (٣)

كم من بعيدٍ عاشقًا وامقا ومن قريبٍ شانئا مبغضا

ما زُخرُف القول يُجْدٍ وقد غُيِّض فى الأحشاء ما غُيِّضا (٤)

والسيفُ إن كانَ كهاما فهل يُمضيه أن أذهبَ أو فُضِّضا؟! (٥)

أنبئتُ ريبًا فىَّ جمجمتَه (٦) ويبلُغُ التصريحَ من عرَّضا

مرَّ كما مرَّ نسيمُ الصبا مزعزعا بالرِّفقِ ماءَ الأضى (٧)

دُعابةٌ ساءت ظنونى لها ما ألينَ السيفَ وما أجْرضا (٨)

لم أدر : إنسانٌ به ناطقٌ أم حيَّة القُفِّ (٩) الذى نَضنَضا؟! (١٠)

لكنّ سمعى قاء ما قاله كأنه بالصاب قد مُضمِضا

---

(١) إيه : بمعنى زد . (٢) ترحض : تغسل . (٣) المنغض : المتحرك ، والمراد به هنا المتحرك بالمحبة والود لا فتور فيه . (٤) غيض : غار . (٥) الكهام : غير القاطع .
(٦) جمجمته : أخفيته . (٧) الأضاة : الغدير وجمعه أضى . (٨) أجرض : أغص .
(٩) القف : حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة . (١٠) نضنض : حرك لسانه لينفث به .

يروعـــنى عتبُ خليـــلى ولا ... يروعـــنى الليثُ إذا قَضقضا (١)

وتسكُن الأسرارُ منّى حشًى ... ليس بهنّ مُحـــدَجا مُجهَضا (٢)

هيهات ! ما الزورُ حُلَى شيمتى ... ولا لباسُ الغـــدر لى مَعرِضا

ولا لَبـــونى بالأسى حافـــلا ... (٣) ولا عِشـــارى بالمـــنى مُخَّضا (٤)

معترفٌ بالحقّ من قبل أن ... يوجَبَ للصـــاحب أن يُفرَضا

وكيف أجفو من هو الروح إن ... فارقتِ الجسمَ فُـــواقا قضى (٥)

ما الذنبُ إلا للزمان الذى ... إن ألبس الإنســـان ثوبا نَضا

تقلَّبتْ بى كلُّ حالاتـــهِ ... وليس فيهـــا حالةٌ تُرتَضَى

إما عـــلَى رَمضـــائه ماشـــيا ... (٦) أو راكبا شامســـةً (٧) رِيضا (٨)

من يكن الدهر له ماتحـــا ... (٩) لا بدّ أن يشرَب ما خَوَضا

جُلْ فى طِلاب الرزق تَظفَرْ به ... فالسَّجلُ (١٠) ممـــلوءٌ إذا خُضْخِضا (١١)

لطال جوعُ الأُسْدِ لو أصبحت ... وأعتمتْ فى خِيسها رُبَّضا (١٢) (١٣)

أذمُّ أيامى عـــلى أنـــنى ... لأحمـــدُ الله عـــلى ما قضى

---

(١) قضقض الأسد : كسر فريسته بأسنانه . (٢) المخدج : الناقص الخلق وإن كان لوفته .
(٣) اللبون : الغزيرة اللبن . (٤) العشار : النوق التى نتجت أو هى التى ينتظر نتاجها بعد عشرة أشهر .
(٥) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع . (٦) الرمضاء : الأرض الحارة . (٧) الشامسة : الدابة الممتنعة . (٨) الريض : المنقادة الذلول . (٩) الماتح : نازح الماء من البئر . (١٠) السجل : الدلو : (١١) خضخض : حرك فى الماء . (١٢) الخيس : بيت الأسد . (١٣) ربض : جاثمة فى مرابضها .

* * *

وقال يمدحُ الوزيرَ أبا الفرج بن فَسانْجُس الملقَّب بذى السعادات فى النيروز :

هو منزلُ النجوَى بخالى الأعصرِ ... فمتى تجاوزُهُ الركائبُ تُعقَرِ

أشتاقُ دارَهُمُ وليس يشوقنى ... إلا مجاورةُ الغزال الأحورِ

وأفضِّل الطيفَ المُلمَّ لأنهم ... هَجروا ، وأن طُيوفَهم (١) لم تَهجُرِ

أرضَى بوعدٍ منهُمُ لم يُنتظَرْ ... ومن الخيال بزَورةٍ لم تَعبُرِ

لا ماؤهم للمشتكى ظمأً ولا ... نيرانُهم للقابس المتنوِّرِ

أثرَوْا ولم يقضُوا ديونَ غريمهم ... واللُّؤمُ كلُّ اللُّؤْم مطلُ الموسِرِ

هل ترعوون بأنَّةٍ من مدنفٍ ... أو تسمحون لمطلبٍ من مُقترِ؟

أو تتركون من الدموع بقيَّةً ... يلق بها يومَ التفرُّق مَحْجرى؟

ما آجتاز بعضكُمُ بأسراب المها ... إلا آعترفن عليه مقلةَ جُؤذُرِ

يا من تبلَّد بين آثار الحِمَى ... يقفو معالِمها بعينَىْ مُنكِرِ،

أنشدْ قضيبَ البان بين (٢) مُروطِهم ... وآطلب كثيبَ الرمل تحت المئزرِ

وإذا أردتَ البدرَ فآبعث نظرةً ... لمطالع بين "اللِّوى" "فمُحجَّرِ"

أترُدُّ يا روضَ "العقيق" ظُلامةً ... رُفعتْ إليك من القِلاصِ (٣) الضُّمَّرِ

---

(١) فى الأصل "ظنونهم" وهو تحريف .

(٢) المرط : كساء يؤتزر به .

(٣) القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .

إياك أن تطأ اللعاع (١) بمنسم (٢) منها وأن ترعى الجميم (٣) بمشفر (٤)

لولا النجاء (٥) من الرواقص (٦) بالفلا لم يُفجَع "النجدىُّ" "بالمتغوِّر"

فصَمِمْنَ حتى لاوعت أسماعُها تَصهالَ رعدٍ (٧) فى حَبِيٍّ ممطِرِ

وعمين حتى لا رأت أبصارُها بَرقا كخاصية الحِصان الأشقرِ

إن كنتَ تنظرُ ما أرى فانظر الى بانٍ (٨) على أكتادِ نَخلٍ (٩) موقرِ

وكأنما رفعوا قبابَهُمُ على شجرٍ بربّات الهوادج مثمرِ

أمتّعى وحشَ الفلا (١٠) بجمالهم ما ذنب طرف الهائم المستهترِ؟!

خلّفتُمُ خِلَّ الصفاء وراءكم كالميْتِ إلا أنه لم يُقبرِ

بمدامع لمّا تَغِضْ ومكاسرٍ لم تَجبر وجرائحٍ لم تُسبَرِ

وإذا العواذلُ أطفأت صبَواتِه شبّت لظاها زفرةُ المتذكّرِ

احذرْ عذارك والعذارُ مغلّس (١١) فاذا بدا صبحُ المشيبِ فأقصرِ

وضّح (١٢) تجنّبُهُ الغوانى خِيفةَ الـ ـعَدوَى فإن يقربْ إليها تَنفِرِ

ما كنت أحسبُ أنّ سيفَ ذؤابتى ينبو بترديد الصّقال الأزهرِ

---

(١) اللعاع : النبت الناعم الأخضر أول ما يبدو . (٢) المنسم : الخف . (٣) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٤) المشفر — بالكسر ويفتح — للبعير كالشفة للإنسان والجحفلة للفرس . (٥) النجاء : سرعة السير . (٦) الرواقص : النوق ترقص فى مشيها . (٧) الحبي : السحاب المعترض أعتراض الجبل . (٨) أكتاد : جمع كتد وهو الكتف . (٩) موقر : مثقل . (١٠) المستهتر : الذى يتبع هواه . (١١) مغلس : مظلم — كناية عن سواده — . (١٢) الوضح : ضوء الصبح .

صدأُ النُّصول (١) من الشعور (٢) أدلُّ من ... لونِ الجلاء على كريم الجوهرِ

أأسير فى الليـــل البهيم فأهتدى ... وأضِـــلُّ فى إدلاج (٣) ليـــلٍ مقمرِ؟!

ومدحتَ لى صِبْـغَ المشيبِ بأنه ... كافورةٌ ونسـيتَ صِبْـغَ العنبرِ

وإذا الثنـاءُ على الوزير قَرَنتَـــه ... بهما أقـرَّا للذكىِّ الأعطـرِ

"فلذى السعادات ابنِ جعفرَ" شيمةٌ ... من قَرقفٍ (٤) صِرفٍ ومِسك أذفـرِ

فى الأرض سبعةُ أبحرٍ، ويمينُـه ... وشِمـالُه تجـرى بعشرةِ أبحـرِ

وهما سحـائبُ، ماؤهنّ لُجينُه ... وبروقُهن من النضار (٥) الأحمـرِ

قَسمت أناملُه المواهبَ فى الورى ... فكأنهـم زَجَروا قـداحَ الميسرِ

وإذا عِشـارُ المـال عُذنَ بكفّهِ ... فلقـــد عقَلن نفوسَهنّ بمَنحَرِ

ومعـــذَّلٍ، أعيَـا على عُـــذَّاله ... فى الجود قَصُّ جناحِ ريحٍ صرصرِ (٦)

وهو السخىُّ وإنما حسدوا اسمَهُ ... فدعَـــوْه فيما بينهـم : بمبـــذِّرِ

طلبوا الذى أُجرِى إليـه فخُيِّبوا ... ومن العنـاء طِلابُ مالم يُقـدَرِ

والأكرمون حَكَوه فى أفعاله ... فعُـــزُوا الى كرمٍ عليـــه مزوَرِ

مازال يبحث عن سرائر وفده ... حتى أجاب إلى السؤال المضمَرِ

---

(١) النصول : خروج الشعر من خضابه . (٢) فى الأصل : «السعود» : وهو تحريف .

(٣) الإدلاج : السير أول الليل . (٤) القرقف : الخمر . (٥) النضار : الذهب .

(٦) الصرصر : الريح الشديدة الهبوب والبرد .

يغزو إليــه المُقترونَ لعلمهم ... أنَّ النـوالَ لديه غـيرُ مخفَّرِ

فى كلّ يومٍ يُلجِمون لغـارةٍ ... فيسـنُوه غير محرَّماتِ الأشهـرِ

مستنشق عِطـرَ الثناء بسـمعه ... ما كلّ طيِّبـة تُشَـمُّ بمنخِرِ

متيقِّـظٌ فمتى تُصِـبه نَفثـةٌ ... للشكر فى عُقَـدِ المطامع يُسـحَرِ

يسعَى ويكدحُ ثم يُتلفُ ماحوى، ... عاداتُ أروعَ للأنام مسـخَّرِ

بالله نُقسـمُ : أنه لا خـيرَ فى ... حسبٍ ولا نسبٍ لمن لم يُشكَرِ

لو كان مجهـولَ المغارس أخبرت ... عنـه شمائلُه بطِيب العُنـصُرِ

قـد زان مَخبَره بأجمـلِ مَنظرٍ ... وأعانَ مَنظرَه بأحسن مخـبرِ

ما مَن تتوج أو تمنطـقَ عسجداً ... كمطـوَّق بالمكرماتِ مسـوَّرِ

تحـكى أنابيبُ الـيراع بكفّه ... فعلَ الرماح تخاطرت فى "سَمهرِ"(١)

وكأنها الخطباءُ فـوقَ بنـانهِ ... لكن بلاغتُها كلامُ المنـبرِ

لا تبَعـدنْ هِمـمٌ له لو أُودِعت ... عندالكواكب لأدّعاها "المشترى"

وعزائمٌ يَلحُمْن مثـلومَ الظُّبـا ... ويُقِمنَ أصـلابَ القنا المتأطِّـرِ(٢)

إطـراقهُ يُخشَى، ويُرهَبُ صَمتُه، ... والسـيفُ محذورٌ وإن لم يُشهَرِ

لولاك ما آنتبـه الثرَى بمَناسمٍ(٣) ... خُلطتْ بطونُ صـعيده بالأظهرِ

---

(١) سمهر : قرية فى الحبشة تنسب اليها الرماح .

(٢) المتأطر : المثنى .

(٣) المناسم : الأخفاف .

وسواهم "لبنات نعش" لحظُها (١) وخِفافُها تعلى "بنات الأَوْبر"
فأنتك أمثالَ السَّعالِى (٢) زُوجتْ أشباحَ رُكبانٍ بِكِنَّة "عبقرِ" (٣)
غصبوا النجومَ على السُّرَى وتعلَّموا (٤) خوضَ الظلام من المطىِّ الزُّورِ
لا ينظرون وِصابَهم (٥) وشحوبَهم (٦) إلا بمرآة الصباح المُسفرِ
لم يلبسوا الأدراع إلا رِيبةً (٧) لا خيفةً من أبيضٍ أو أسمرِ
إن لم يُنيخوا فى ذَراك فإننى لكفيلُ كلِّ مهنّئٍ ومبشِّرِ
جدِّدْ "بنوروز" الأعاجم رتبةً (٨) سَمْتَ "المجرة" أو فويقَ "الأنسُرِ"
وآسرحْ سَوامَك فى رياضِ سعادةٍ وعميمِ عُشْبٍ بالعلاء منوَّرِ
فاذا وردت فماء أعذبِ مَوْرِد واذا صدرتَ فروْح أفسحِ مَصدَرِ
أهديتُ من كلِمى اليك تحيَّةً (٩) غراءَ تسترعى حنينَ المِزهرِ
ولو آدخرتُ المالَ أو أبقيتُه (١٠) يوما أثبتُ بأبيضٍ وبأصفرِ

---

(١) السواهم : النوق الضامرة ؛ وبنات أوبر : ضرب من الكمأة تشبه القلقاس أو اللفت ولونها كلون التراب . (٢) السعالى : الغيلان . (٣) عبقر : أرض يقال إنها مملوءة بالجن . (٤) فى الأصل : « المط » . (٥) الوصاب : المرضى ، واحدها : وصب — بكسر الصاد — . (٦) الشحوب : تغير اللون من السفر . (٧) الأبيض والأسمر : السيف والرمح . (٨) يشير إلى كوكبين : هما النسر الطائر والنسر الواقع . (٩) المزهر : العود . (١٠) فى الأصل هكذا « أبت » والأبيض والأصفر : الفضة والذهب .

* * *

وقال يمدح عميدَ المُلك أبا نصر [محمد بن](١) منصور بن محمد الكُنْدرىّ وزير طُغْرُلْبك عند وصوله إلى العراق فى محرم سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة] :

أكذا يُجازَى ودُّ كلّ قرينِ ... أم هذه شيمُ الظباءِ العِينِ؟!

قُصُّوا علىَّ حديث من قتَلَ الهوى ... إن التأسِّىَ رَوْحُ كلِّ حزينِ

ولئن كتمتم مشفقين فقُدوتى ... بمصارع "العُذرىِّ"(٢) و"المجنونِ"

فوق الركابِ ولا أطيل مشبِّها ... بَلْ ثَمَّ شهوةُ أنفسٍ وعيونِ،

هُزَّت قدودُهمُ وقالت للصَّبا ... هُزأً : أعند البان مثلُ غصونى؟!

وكأنما نقلتْ مآزرُهم إلى ... جَدَدِ الحمى(٣) "الأنقاءِ"(٤) من "يبرينِ"

ووراء ذياك المقبَّلِ موردٌ ... حصباؤه(٥) من لؤلؤ مكنونِ

إمّا بيوت النحل بين شفاههم ... مضمومةً أو حانةُ الزَّرجونِ(٦)

ترمى بعينيك الفِجاجَ مقلِّبا ... ذاتَ الشِّمال بها وذاتَ يمينِ

---

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان حيث استوعب تاريخ هذا الممدوح . (٢) العذرى والمجنون : عروة بن حزام عاشق عفراء بنت عمه ، المنسوب إلى بنى عذرة ، وقيس بن الملوح عاشق ليلى . (٣) الجدد : ما استرق من الرمل . (٤) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . و يبرين : موضع بأصقاع البحرين معروف بكثرة رماله . (٥) الحصباء : الحصى الصغار . (٦) الزرجون : الخمر — فارسى معرب — .

لو كنتَ "زرقاءَ اليمامة" (١) ما رأت ... من "بارق" (٢) حيًّا على "جَيْرون" (٣)

شكواكَ من ليـل التمام (٤) وإنما ... أرقى بليـل ذوائبٍ وقـرونِ (٥) (٦)

ومعنِّف فى الوجدقلت له : آتئد ... فالدمـعُ دمعى والحنـينُ حنينى

مانافعى — إذ كان ليس بنافعى — ... جاهُ الصبا وشـفاعةُ العشرينِ

لا تُطـرِقن خجلا للومةِ لائم ... ما أنت أوّلُ حازمٍ مفتـونِ

أأسومهم — وهم الأجانب — طاعةً (٧) ... وهواى بين جوانحى يُصـبينى؟

دَيْنى على ظَبَياتهـم ما يُقتضَى ... فبأىّ حُكْمٍ يقتضون رهـونى؟!

وخشيتُ من قلبى الفِـرارَ اليهمُ ... حتى لقـد طالبتُـه بضمينِ

كلّ النّـكال أطـيق إلا ذِلّةً، (٨) ... إنّ العـزيزَ عذابُه بالهونِ

يا عينُ مثلُ قَذاكِ رؤيةُ معشرٍ ... عارٍ عـلى دنيـاهُمُ والدّينِ

لم يُشـبهوا الإنسانَ إلا أنهـم (٩) ... متكوّنون من الحَمـا المسـنونِ

نَجَسُ العيون فإن رأتهـم مقلتى ... طهّرتُهـا فتزحتُ ماءَ جفـونى

(١) زرقاء اليمامـة : امرأة مشهورة بحـدّة بصرها وكانت ترى ما بعـده ثلاثة أيام واسمها حذام — بالبناء على الكسر — . (٢) بارق : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة . (٣) جيرون : اسم دمشق قديما — وفى ذلك أقوال كثيرة يرجع اليها فى مظانها — .

(٤) ليـل التمام : — بالكسر — أطـول الليالى . (٥) الذوائب : شعر النواصى .

(٦) القرون : الضفائر . (٧) كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش : «أصل هـذه القافية لم يكن ظاهرا» . وهذا يدل على أن الناسخ أثبت هذه الكلمة من عنـده ، ونحن نرجح أن تكون «يعصينى» لمطابقتها لكلمة «طاعة» فى الشطر الأول . (٨) فى الأصل «إلا» وهو تحريف .

(٩) الحمأ : الطين ، — وسهلت الهمزة للضرورة — .

أنا إن هُمُ حسبوا الذخائر دونهم ... وهُمُ إذا عدّوا الفضائلَ دونى

لا يُشمِت الحسّادَ أنَّ مطالبى ... عادت إلىَّ بصفقةِ المغبونِ

لا يستديرُ البدرُ إلّا بعد ما ... أبصرتُه فى الضُّمر (١) كالعُرجونِ

هذا الطريقُ اللُّحْبُ (٢) زاجرُ ناقتى ... واليمُّ قاذفُ فُلكىَ المشحونِ

فاذا "عميدُ الملك" حلَّا ربعه ... ظَفِرَا بفال الطائر الميمونِ

مَلِكٌ إذا ما العزمُ حثَّ جيادَه ... مرِحتْ بأزهرَ (٣) شامخِ العِرنينِ

يا عزَّ ما أبصرتُ فوق جبينه ... إلا اقتضانى بالسجودِ جبينى

يجلو النواظرَ فى نواحى دَسْتِه (٤) ... والسرجِ بدرُ دجًى وليثُ عرينِ

عمَّت فواضلُه البريّةَ فالتقَى ... شكرُ الغنىِّ ودعوةُ المسكينِ

قالوا — وقد شنُّوا عليه غارةً — : ... أصِلاتُ جودٍ أم قضاءُ ديونِ؟

أمّا خزائنُ مالِه فمباحةٌ ... فاستوهبوا من علمه المخزونِ

كرمٌ إذا استفتيته بجوابه : ... منعُ اللُّهَى (٥) كالمنع للماعونِ!!

ما الرزق محتاجا بعرصته (٦) إلى ... طلبٍ وليس الأجرُ بالممنونِ

لو كان فى الزمن القديم تظلّمت ... منه الكنوزُ الى يدَىْ "قارونِ"

---

(١) الضمر : الهزال ، والعرجون : أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا . (٢) اللحب : الواضح . (٣) العرنين : الأنف . (٤) الدست : المجلس ، أو هو صدر البيت . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا ، والماعون : الزكاة . (٦) العرصة : ساحة البيت .

وإذا امرؤ قعدت به همّاتُه ... خلّى سبيلَ رجائه المسجونِ

أقسمتُ أن ألقَ المكارمَ عالما ... أنّى برؤيتــه أبَرَّ يمينى

شهدتْ علاه أنّ عنصُرَ ذاته ... مِسكٌ وعنصُرَ غيره من طينِ

ساس الأمورَ فليس تُخلَى رغبةٌ ... من رهبة وبسالةٌ من لينِ

كالسيف رونقُ أثرِه[1] فى متنه ... ومضاؤه فى حدّه المسنونِ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا نصر محمد بن محمد بن جَهير، ويهنّئه بوزارته للخلافة، وأنفذها اليه من واسط فى سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة]، ويعرّض بابن دارست الوزير وابن حُصَين الكاتب :

لحاجةُ قلبٍ ما يُفيق غُرورُها ... وحاجةُ نفسٍ ليس يُقضَى يسيرُها

وعينٌ الى الأطلالِ تُزجِى سحابَها ... إذا لوعةُ الأحشاءِ هبّ زفيرُها

أكلّفها هطلا على كلّ منزلٍ ... فلو أنها أرضٌ لغارت بُحورُها

وما تجمع العينُ التوسّمَ والبكا ... فهل تعرفانِ مقلةً أستعيرُها

وقفنا صفوفا فى الديار كأنها ... صحائفُ ملقاةٌ ونحن سطورُها

يقول خليلى والظّباء سوانحٌ : ... أهذى التى تهوى؟ فقلت : نظيرُها!

لئن أشبهتْ أجيادُها وعيونُها ... لقد خالفت أعجازُها وصدورُها

---

(١) الأثر : جوهر السيف .

فيـا عجبى منهـا يَصُـــدّ أنيسُهـا ... ويدنو على ذُعرٍ الينـا نفـــورُها

وما ذاك إلا أنَّ غِزلانَ "عامرٍ" ... يثقنَ بأن الزائرين صُـقورُها

ألم يكفِها ما قـد جنتهُ شموسُها ... على القلب حتى ساعدتها بدورُها

نكَصنا على الأعقاب خوفَ إناثها ... فمـا بالها تدعـو : نَزالِ، ذُكورُها

ووالله ما أدرى غَـداة نظرننَـا ... أتلك سهام أم كئوسٌ تديرُها؟

فإن كنَّ من نَبـلٍ فأين حَفيفُها (١) ... وإن كنَّ من خمـرٍ فأين سرورُها!؟

أيا صاحبيّ آســتأذنا لىَ خُمّـرَها (٢) ... فقد أذِنتْ لى فى الوصول خدورُها

هبـاها تجافتْ عن خليلٍ يروعُها ... فهـل أنا إلا كالخيـال يزورُها؟

وقد قلتما لى : ليس فى الأرض جَنّةٌ ... أما هـذه فوق الركائب حُورُها!؟

فلا تحسَـبا قلبي طليـقا فإنمـا ... لها الصورُ سجنٌ وهو فيه أسيرُها

يعِـزُّ على الهِـيم (٣) الخوامسِ وِردُها ... إذا كان ما بين الشفاه غديرُها

أراكَ "الحمى" قل لى: بأىّ وسيلةٍ ... وصلتَ الى أن صادفتـك ثغورُها

وما لى بهـا علمٌ، فهل أنت عالم : ... أأفواهها أولى بهـا أم نحـورُها؟!

يطيب النسيمُ الرطبُ فى كلّ منزلٍ ... وما كلُّ أرض يستطابُ هجيرُها

وأنَّ فروعَ البان من أرض "بِيشَةٍ" (٤) ... حبيبٌ إلىّ ظلُّهـا وحَرورُها

(١) الحفيف : دوى صوت السهام . (٢) خمـر : جمع خمار وهو كل ما غطى الرأس .

(٣) الهيم الخوامس : الإبل العطاش ترد فى اليوم الرابع لظمئها . (٤) بيشة : موضع معروف بكثرة الأسود .

أَلَذُّ من الورد الجنيّ عَرارُها ... وأحلَى من الشهدِ المصـفّى بَريرُها (١)

على رِسْلكم فى الحبّ، إنّا عصابةٌ (٢) ... إذا ظفِرتْ فى الحبِّ عفّ ضميرُها

سَواءٌ على المشتاق — والهجر حظُّه — ... أألقت عصاها أم أجدَّ بُكورُها

لعمرُك ما سحـرُ الغوانى بقـادرٍ ... على ذات نفسى والمشيبُ نذيرُها

وما الشعَراتُ البيضُ إلا كواكبٌ ... مطالعُها رأسى وفى القلب نُورُها

ضياءٌ هـدانى فاهتـديتُ لماجدٍ ... سُهولُ المعـانى طُـرقُه ووُعورُها

أجابَ به اللهُ الخـلافةَ إذ دعت ... وزيرا فكان من أجنّ ضميرُها

به غَصّ ناديهـا وأشرقَ سـعدُها ... وأُفعمَ واديهـا وسُـدّت ثُغورُها

تَبـاهَى به يومَ الرحيـل خيامُها ... وتُزهَى له يومَ المقـام قصـورُها

وقد خفيتْ من قبـله معجزاتُها ... فأظهـرها حتى أقرّ كَفورُها

فما رأيه إلا سُمُـوطُ لآلئ ... يرصّـع منها تاجُها وسريرُها

ولا عجبٌ أن تستطيلَ عِمادُها ... وهـذا الهمامُ الأريحيّ وزيرُها

فقـل للّيـالى : كيف شئتِ تقلّبى ... ففى يدِ عبـلِ (٣) الساعدينِ أمورُها

يدٌ عبِقت بالمكرُمات وضُمّخت ... وما الطيبُ إلا مِسكها وعبـيرُها

إذا كان خاتامُ (٤) الخلافةِ حَلْيَها ... فأىّ افتـخار يستزيد نَحَـورُها

---

(١) البريرِ : أوّل ما يظهر من ثمر الأراك .
(٢) الرسل : الرفق والتؤدة .
(٣) العبل : الضخم .
(٤) الخاتام : الخاتم .

وما صيغ لولا معصماهُ سِـــوارُها ... ولا صين لولا مَنكباه حريرُها

أمانيُّ فى صـــدر الوزارةِ بُلِّغتْ ... به كُنهَها حتى آستحقَّتْ نُدُورُها

لوتْ وجهها عن كلّ طالب مُتعـةٍ ... إلى خاطبٍ حِلَّ عليـــه سُفورُها

ومن ذا "كفخر الدولة" آستامها له ... وما كلُّ نجم فى السماء منـــيرُها

الآنَ(١) رأينـا فى مجالس عزِّها ... مجالسَ تُملَا بالعَـــلاء صـدورُها

كأنَّ على تلك الأرائك ضيغما ... له نأمةٌ(٢) لا يحـابُ زئـــيرُها

إذا مَثَـلَ الأقوامُ دون عَرينِه ... تسـاوَى به ذو طيشهـا ووقورُها

تكاد لِمـا قد أُلبست من سكينةٍ ... ترِفُّ على تلك الرءوس طيـورُها

دعوا المجـد للرّاقى إلى كل قُـلَّةٍ(٣) ... يشُـقُّ على العَوْدِ(٤) الذلول حُدورُها

لذى الخَطَراتِ المخبراتِ يقينَـــه ... بمستقبَل الحالاتِ ماذا مصـيرُها!

ألم تعلموا أن النعائمَ فى الثرى ... وأن البُزاةَ فى الشِّعاب وُكورُها

وقد علمت أبنـاءُ "هاشمَ" كلُّها ... بأى آبن هَـــمٍّ قـد أُمِرَّ مَريرُها(٥)

بمكتهِلِ الآراء لـو زاحمـوا به ... جبالَ "شَرَوْرَى" لارتجَّتْ(٦) صُخورُها

مقـــيم بأطرافِ المكارم سـائل ... ركابَ بنى الحاجات : أين مسيرُها؟!

---

(١) يريد « الآن » نخفف للضرورة . (٢) النأمة : صوت الأسد . (٣) القلة : رأس الجبـل . (٤) العود : الجمل المسن ؛ والحدور : الانحدار . (٥) المرير : الحبل المحكم الفتل . (٦) ارجحنت : مالت واهتزت .

جزى اللهُ ربُّ الناس خـيرَ جزائه ركائبَ تخـدى بالمكارم عِـيرُها

وأسقَى جيادا سِرنَ بالبأس والندى من الساريات الغـاديات غزيرُها

تناقلن من علياءِ دارِ "ربيعـةٍ" و"بَكرٍ" بأنواءٍ يفيض نميرُها (١)

تخطّت شُعوبا من ذؤابة "عامرٍ" لها العـزُّ حامٍ والنجاحُ خفـيرُها

وساعدها من آلِ "جُوثَةَ" (٢) عصبةٌ إذا ثوّب الداعى يعـزُّ نصيرُها

حماةُ السـيوف والرماح حِمَامُها وأحشاءُ ذؤبانِ (٣) الفلاة قبورُها

قِبابهـم السـمرُ الطوالُ عِمادُها ومُقرَبَةُ الخيلِ العتاقِ سـتورُها

وأفنيـةٌ مثـلُ الروابى جِفانُها ومثـلُ الجبال الراسيات قدورُها

إذا طَرقَ الأضيافُ غنّت كلابُها وناحت بشـجوٍ شاتُها وبعـيرُها

فماخَطت "الجُودِى" (٤) حتى تراجفتْ اليهنّ آكام "العراقِ" وقُورُها (٥)

وكادت لها "بغدادُ" يوم تطلّعت تسـيرُ مغانيها وتَجـرحُ دُورُها

فلم تك إلا هِجـرةٌ "يثربيّـةٌ" حقيقٌ على رهطِ "النبىّ" شُكورُها

فلله شمسٌ، مغربُ الشمسِ شرقُها وفى حيثما شاءت طُلوعا ذُرورُها (٦)

أعدْتَ الى جسم الوزارة رُوحَـهُ وما كان يُرجَى بعثُها ونُشـورُها

---

(١) النمير : العذب الصافى .
(٢) جوثة : موضع أوحى ؛ وبنو جوثة منسوبون اليهم .
(٣) ذؤبان : جمع ذئب .
(٤) الجودى : جبل فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل .
(٥) قور : جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو هى الصخرة العظيمة .
(٦) الذرور : الطلوع .

أقامت زمانا عنـــد غيرك طامثـا (١) وهـــذا الزمان قُرءُهـا (٢) وطَهورُها

من الحق أن يُحبَى بهـا مستحقُّها ويُنزَعهـا مردودةً مســتعيرُها

إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها أشار عليهـا بالطـلاقِ مُشـيرُها

أظنَّ آبنُ "دارستَ" الوزارةَ تَلعةً (٣) "بفارسَ" قد عُدَّتْ عليه بُدُورُها (٤)

وإن هضاب المجد ليست بمَزلَقٍ؛ لأحنفَ كابى الحافرين عُثـورُها (٥)

ألمَّا يكن فى نسجِ "تُوَّجَ" (٦) شاغلٌ له عن تعاطى رتبـةٍ لا يطورُهـا (٧)

أقول وقـــد واراه عنّـا حِجابُه : رويدَكَ دون الفاحشات سُتورُها

وأعلقه بآبن "الحُصَيْن" سفاهةٌ ألا خابَ مولاها وسـاء عشيرُها

فأعدَى إليـــه رَأيَهُ فأبادَه كما أهلك "الزَّبَّاءَ" (٨) يوما "قَصيرُها"

وهل نجمه الهـاوى سوى دَبَرانهـا (٩) وهـل ريحُـــه الهوجاءُ إلا دَبورُها (١٠)

وأطـــربه تحت الرِّواق نُهـاقُه (١١) وليس يروق الأُتْنَ (١٢) إلا حَميرُها

وما كان ظنّى أن للـذئب وقفـــةً وقـد جرَّ أرسانَ (١٣) الأمور هَصورُها (١٤)

(١) الطامث : الحائض . (٢) القرء : الطهـر من المحيض ، وفى الأصـل « قرها » وهو تحريف . (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٤) بدور : جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم . (٥) الأحنف : الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها بأصابعها . (٦) توج : مدينة بفارس تصنع فيها ثياب من الكتان ذات ألوان حسنة . (٧) لا يطورها : لا يقرب منها . (٨) الزباء : لقب ملكة الجزيرة وقصتها مع قصير بن سعد مشهورة . (٩) الدبران : منزل للقمر . (١٠) الهوجاء : الريح التى لا تستوى فى هبوبها ؛ والدبور : الريح الغربية . (١١) فى الأصل «نهامة» وهو تحريف . (١٢) الأتن : جمع أتان وهى الأنثى من الحمير . (١٣) الأرسان : الحبال ، واحدها رسن . (١٤) الهصور : الأسد .

فأرضُ رُعاءِ البَهْـــمِ إلا تُقِـــرَّه ... يُعقَّرْ بنابٍ لا يُبِـــلُّ عقـــيرُها

ولا تُلقينَّ البأسَ عنـد آحتقارِه ... ألا ربما جرَّ الخطـوبَ صـغيرُها

بودّيَ لو لاقيتُ مجـدَك تاليًـا ... مناقبَ أُســديها (١) له وأُثيرُهـا (٢)

ولكنني أبعدتُ في الأرض مذهبي ... لإعزاز نفسٍ قد جفاها عَذيرُهـا (٣)

وهجهج بي (٤) عن أرض "بغدادَ" ذِلّةٌ ... كوخزسنانِ السـمهريّ (٥) حُصورُها (٦)

لأمثالها تعـلو الجيـادَ سُروجُها ... ويلتقم الحَرْفَ (٧) العَلَنـداةَ كُورُهـا (٨)

فكدت بأن أنسى لذاك فصاحتي ... سوى أنّ طبعا في الحَمام هديرُها

تركنا رُبَى "الزوراء" ينزو (٩) خلالَهـا ... جَنادبُ يعلو في الهجير (١٠) صَريرُهـا (١١)

وقلتُ : بـلادُ الله رحبٌ فسيحةٌ ... فهل معجزي أَخوصة (١٢) أستجيرُها

وقد تترك الأسـدُ البـلادَ تنزُّهًـا ... إذا ما كلابُ الحيّ جَدَّ هريرُهـا

أقامت بمثـواك الليـالي مُنيخةً ... مكرَّرةً أيامُهـا وشُهورُهـا

يؤرِّخُ من ميلاد سعدك عَصْرُهـا ... وتُحصَى بأعمـار النسور دُهورُهـا

فدونكها للتـاج يُبتـاعُ دُرُّهـا ... "فرزدقُها" غوّاصها و"جريرُها"

وقـد زادها حسـنا لعينيك أنهـا ... على مسمعَيْ "داود" يُتلَى "زَبورُها"

---

(١) أسدى الثوب : جعل له سدى . (٢) أثار الثوب : جعل له نيرا وهو ضد أسدى .
(٣) العذير : النصير . (٤) هجهج بي : زجرني . (٥) السمهري : الرمح — منسوب الى سمهر وهي بلدة بالحبشة — . (٦) الحصور : الأسر . (٧) الحرف العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٨) الكور : الرحل . (٩) ينزو : يثب ؛ والجنادب : الجراد . (١٠) الهجير : شدة الحر . (١١) صريرها : صوتها .
(١٢) الأخوصة : مجثم الدجاجة والنعامة .

* * *

وقال يمدحه، ويهنئه بعوده الى الوزارة بعد أن عُزِل عنها :

قـد رجـعَ الحقُّ الى نِصـابِهِ ... وأنت من كلّ الورى أولَى بِهِ

ما كنت إلا السـيفَ سلَّته يدٌ ... (١) ثُمّ أعادتـه إلى قِـرابِهِ

هزَّتهُ حتى أبصـرتْهُ صـارما ... ورونقُـه يُغنيه عن ضِرابِهِ

أَكرِمْ بها وزارةً ما سلَّمت ... ما آستُودِعت إلا الى أربابِهِ

مشـوقة إليـك مذ فارقتَها ... شوقَ أخى الشَّيب إلى شبابِهِ

مثلُك محسـودٌ ولكن معجز ... أن يُدرَكَ البـارقُ فى سحابِهِ

حاولهـا قومٌ ومن هـذا الذى ... يُخْرِجُ ليثا خادرا من غابِهِ

يُدمِى أبو الأشـبال من زاحمَهُ ... فى خِيسـهِ بظُفـره ونابِهِ

وهـل سمعتَ أو رأيت لابسا ... (٢) ما خلَع الأرقمُ (٣) من إهابِهِ

لا تحسَـبا لهوَ الحديث ماحيا ... (٤) حَـتما قضاه الله فى كتابِهِ

مرُّ النسـيم غاديا ورائحـا ... لا يُزلقُ الأعصمَ (٥) عن هِضابِهِ

وليس يُعطى أحـدا قيادَه ... أمرٌ، لسانُ المجد من خُطَّابِهِ

تيقَّنـوا لما رأَوها صـعبةً ... أن ليس للجـوِّ سـوى عُقابِهِ

---

(١) القراب : غمد السيف . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الإهاب : الجلد .
(٤) فى الأصل «حتما» وهو تصحيف . (٥) الأعصم : تيس الجبل يعتصم به .

إن الهـــلالَ يُرتجَى طـــلوعُه بعـــد السِّرارِ[1] ليـــلةَ ٱحتجابِهِ
والشمس لا يُوءَس من طُلوعِها وإن طواها الليـلُ فى جِلبـابِهِ
ما أطيبَ الأوطـانَ إلا أنهـا للمـرء أحـلَى أثرَ ٱغـترابِهِ
كم عَودةٍ دلَّت عـلى دوامها، والخُـلدُ للإنسان فى مآبه
لو قَرُبَ الدُّرُّ عـلى جالبـه ما لجَّجَ الغـائصُ فى طِـلابه
ولـــو أقام لازما أصـــدافَه لم تكن التيجانُ فى حسـابه
من يعشق العلياءَ يلقَ عنـدها ما لقَى المحبُّ من أحبابه
طورا صـــدودا ووصالا مرّةً ولذّةُ الـــوامقِ فى عتـابه
وربّما ٱعتاصَ[2] الذى تأمُلُه وأصبحَ المخوفُ من أسبابِهِ
ما لـــؤلؤ البحـــر ولا مَرجانُه إلا وراءَ الهول من عُبابِهِ
ذلَّ "لفخر الدولة" الصعبُ الذُّرَى وعـــلَّم الأيام من آدابِهِ
وٱســـتخدم الدهرَ فما يأمره إلا أتى الطـاعةَ فى جوابه
يكاد من تهذيبـــه أخلاقَهُ أن يســـترِدَّ الغـدرَ من ذئابِهِ
قـــد طأطأتْ أيامُه أعناقَها خاضـــعةً تسـير فى رِكابِهِ
كأنهـا عصائبٌ من طالبى ثـــوابِهِ أو خائـــفى عِقابِهِ

---

(١) السرار : آخر الشهر .

(٢) اعتاص : صعب وصار عويصا ، وفى الأصل : «اعتاض» وهو تصحيف .

إن أخطأتْ واصلت آعتذارَها وإن أصابت فهو من صـوابهِ

يا ناشـد الجُود وقـد أضـلَّه مالك لا تبغيـــه فى جَنابهِ؟

حيث أقام أبصرَ النـاسُ الندى تُشـير كفاه الى قِبابهِ

ترى وفودَ الشـكر حولَ بيتـه كأنها الأوتادُ فى أطنابه

ما ثوَّروا(١) الآمال عن صـدورهم إلا أناخت بفِنـاء بابهِ

وكيف لا يهـوَى الرجاءُ رَبعَه وليس مَرعاه سـوى أعشابهِ

قَـلَّد أيدى المكرُماتِ إذنُه فرفَعتْ من طَرَقْ حِجابهِ

لا تسئلنَّ عن مدى معروفه أو تسـل الوسميَّ(٢) عن مَصابهِ؟!

يكفيـك ما يبسُـطه من بِشره أن تطلبَ الإذن الى حُجَّابهِ

يطغَى بتكرير السـؤال رفـدُه والدَّرُّ جيَّاشٌ(٣) على آحتـلابهِ

هو الذى أفعـالُه من حسـنِها كأنما آشتُقِقن من ألقابهِ

مَن حسَبُ السـؤددِ فى صميمهِ ونسبُ العليـاء فى لُبـابهِ

كالسمهرىّ عزمُه لو لم يكن ينقُص عنـــه الرمحُ بآضطرابهِ

شـكرا وزير الوزراء تسـترد أضعافَ ما بُلِّغتَ من وَهابهِ

قدِمتَ كالغيث أصاب ظامئا سـوَّفه الخَـدَّاعُ من سَرابهِ

كم ساجدٍ لمّا سموتَ طالعـا كأنه صـلَّى الى محـرابهِ

(١) ثوروا الآمال: هاجوها وجعلوها ثائرة. (٢) الوسمى: أول المطر. (٣) جياش: متدفق.

وصائم رؤياك قـد أغته عن طعـامه طِيبـا وعن شرابهِ
ولو أطاق الدَّستُ سـعيا لسعى مســتقبلا يختـال فى أثوابهِ
كان حشاه قلقا حتى آحتبى فى صــدره من كان من آرابه
أقمت فى نعماءَ مطمئنَّـةٍ تُحكِّم الفــؤادَ فى إطــرابهِ
تساعد الدنيـا عــلى زينتها وتغلب الدهر عــلى أحقـابهِ
ألقت عصاها وآرتمت ركابُهـا فى سُرَرِ الوادى وفى شِــعابهِ
قد أُعفىَ المـارنُ(١) من خَشاشـهِ(٢) ورُوِّحَ الغـاربُ(٣) من أقتـابهِ(٤)
عــلى يديك المرتجَى إنعـامُها تابَ غرابُ البين من نُعابهِ

وقال أيضا فيه ، ويذمُّ آبن دارست، ويذكرُ مصيرَ هذا الى العراقِ من البلاد العُليا، وهذا من السفلَى :

قالوا : وزيرانِ، هوَى نجمُ ذا ونجمُ هـذا قـد علا طالعـا
كذلك الدهرُ يُرَى خافضـا طورا وطورا قد يُرَى رافعـا
قلتُ : قياسٌ ويحكم زِبْرِجٌ(٥) جوهرُه لا يقبــلُ الطابعـا(٦)

(١) المارن : الأنف . (٢) الخشاش : خشبة تعترض أنف البعير . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) أقتاب . جمع قتب وهو الرحل على قدر السنام . (٥) الزبرج : الذهب .
(٦) فى الأصل «الطائعا» وهو تصحيف .

هذا أتى من "آمِدٍ"[1] ساميا وذا أتى من "فارسٍ" خاضعا
كم بين من وُلِّيَ من فوقها فقـــرٌ فى مركزها وادعا،
وبين من رُقِّيَ من تحتها نخـــرٌ من ذِروتها واقعا
نطَّرِحُ الباطنَ ما بيننا ونستفيدُ الظاهرَ الذائعا
ابنُ "جَهيرٍ" وآبنُ "دارسْتِكم" بأىِّ لفظٍ يُعجِبُ السامعا
أليس مطبـــوعا على قلبـــه من ظنَّ تيسا أسـدا رائعا!

وقال يمدحُ ولدَه عميدَ الدولة، ويهنئُه بالخِلَع عليه وآستخلافِه على الوزارة :

قـــد بانَ عذرُك والخليطُ مودِّعُ وهوَى النفوسِ مع الهوادج يُرفَعُ
لك حيثما سمت الركائبُ لفتـــةٌ أترى البـــدورُ بكل وادٍ تَطلعُ!
لله مطـــوىٌّ عـــلى زفَـــراتهِ لم يقضِ من ظمأ ولا هو يَنقَعُ
قرُبت أمانىُّ النفـوس وعنـدَه أمـــلٌ تُحُثُّ[2] به الركابُ وتوضِعُ
ونأتْ مَطارحُ قلبـه عن سمعـه فالعـاذلون بهنّ حَسرَى[3] ظُلَّـــعُ[4]
ما خاف فى ظُـلَمِ الصبابةِ ضلَّةً إلا ودلَّتْـــه الـــبروقُ اللُّمَّـــعُ
فى الظاعنين من الحِمَى ظبيٌ له الـ أحشـاءُ مرعًى والمآقى مَكرَعُ

(١) آمد : بلد قديم حصين يحيط بأكثره نهر الدجلة كالهلال . (٢) الخبب والإيضاع : ضربان من السير . (٣) حسرى : معياة . (٤) الظلع : التى فى مشيها غمز يشبه العرج .

ممنوعُ أطرافِ الجمال، رقيبُـــه حذِرٌ عليـه، والغَيـــورُ البرقُـعُ

عهِـدَ الحبـائلَ صائداتٍ شِبهَهُ وآرتابَ، فهو لكلِّ حبلٍ يقطعُ

لم يـــدرِ حامِي سِربهِ أنّى اذا حُرِمَ الكلامُ له، لسـانى الإصبعُ

وإذا الطُّيوف الى المضاجع أُرسِلت بتحيـــةٍ منه فعيـــنى تسـمعُ

ويح الألى آنتجعوا الغمامَ وعندهم بين المحاجرِ ديمـــةٌ(١) ما تُقلعُ

لجـُوا الى عزِّ الخدور وفى الحشا بيتٌ أعزُّ من الخـــدور وأمنعُ

هـــل فى قِبابهم اللواتى رفَّعـوا مبنيَّـــةٌ أطنابُهُنَّ الأضـــلُعُ؟!

لهمُ مَصيفٌ فى الفؤاد ولو سُقِى ماءَ الوصـال لكان فيـه مَربَعُ

يا كاسرَ النَّجلاءِ تُرسـل نظـرةً خَطفا كلحظ الريمِ(٢) وهو مروَّعُ

لسوى أستّك المِجنُّ مضـاعَفٌ ولغير أسهمك السـوابغُ(٣) تُصنَعُ

لى حيـلةٌ فى كلّ رامٍ مُغرِضٍ(٤) لو أنه فى غـير قوسـك ينزِعُ

أطِيبْ بأطلالِ "الأراك" ونفحةٍ باتت بمسراها الرجالُ تَضَـوَّعُ

ومواقفٍ لم ألقَ مَولًى راحما فيهـا ولم أظفَر بخِـلٍّ يشـفعُ

لولا الذين البيـــدُ من أوطانهم ما كان يملِكنى الفضـاءُ(٥) البلقعُ

آنستُ من أطلالهم ما أوحشوا وحفِظتُ من أيّامهم ما ضـيّعوا

---

(١) الديمة : المطرة الدائمة . (٢) الريم — ويهمز — الغزال . (٣) السوابغ : الدروع . (٤) المغرض : الذى يصيب الغرض وهو الهدف . (٥) البلقع : القفر .

ورضيتُ بالمُهـدى إلىّ نسيمَهم ... إن المحب بما تيسَّر يَقنَعُ

ولقد حللتُ حُبَى الظلام بفتيـةٍ ... أَلِفَتْ وجوهَهُم النجـومُ الطُّلَّعُ

قَرَوُا الهمومَ جسـومَهم ونفوسَهم ... وبطونُها بسـواهُمُ ما تشـبعُ

وسَرَوا بأشباجٍ تجـاوَزها الردى ... إذ لم يكن فيها له مستمتَعُ

لا قتْ بهم خُوصُ(١) المهارَى مثلما ... لاقى بأربَعِها الثرى واليَرْمَعُ(٢)

فى حيثُ لا زَجَلُ(٣) الحُداة مردَّدٌ ... خوفَ الهلاك ولا الحنينُ مرجَّعُ

قِلِفَت بهـم قلقَ اللديغ كأنما ... ظنَّت سياطَهُمُ(٤) أراقمَ(٥) تلسـعُ

فَتَـل الذُّءوبُ(٦) لحومَها بشحومِها ... فتشابهت أثباجُها والأنسُعُ

متباريات بالنَّـجاء(٧) كأنما ... وضَعت رهونا سُـوقُها والأذرعُ

وإلى "عميد الدولة" اعتسفت بنا ... أنضاؤها(٨) حتى هناها المرتَعُ

من عندَه الظلُّ الظليلُ ومنهلُ الـ ... ـعذب المصفَّق والجنـابُ المُمرِعُ

والغـادياتُ الساريـاتُ بريقُهـا ... ولِبانُهَـا يسقى الرجاءَ ويُرضَـعُ

ما زال يُفهمنـا العـلاءُ صنيعَه ... حتى علمنـا ما الأغرُّ الأروعُ

---

(١) خوص : جمع أخوص وخوصاء وهى التى غارت عينها . والمهارى : جمع مهرية وهى الإبل المنسوبة الى مهرة بن حيدان وهى نجائب تسبق الخيل . (٢) اليرمع : حصى بيض تلمع وهى رخوة إذا فتت اتفتت . (٣) الزجل : الصوت . (٤) فى الأصل "فتشابهن" . (٥) أثباج : جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر . (٦) أنسع : جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد ، والساق والقدم (٧) النجاء : السير السريع . (٨) أنضاء : جمع نضو وهو المعيا المهزول من السير .

يخشى سهامَ الذمّ فهو مسالما ومحاربا بنواله يتدرَّعُ

غرسَ الصنائعَ فاجتنى ثمراتِها شكرا، وكلُّ حاصدٌ ما يزرعُ

عيدانُ مجدٍ لا تلين لغامزٍ وجبالُ عزٍّ مَرْوُها(١) ما يُقرَعُ

ومناقبٌ يقضِى لها متعنِّتٌ فى حكمه ويجيزها(٢) متتبِّعُ

كم أزمةٍ خرِستْ رواعدُ سُحبِها وسحابةٍ فيها خطيبٌ مِصقَعُ

وإذا المطالبُ باللئام تعثَّرت ظلّت مواهبُه بهنّ تُدَعدِعُ(٣)

تبِعوا مساعيَهُ فلمّا أبصروا بُعدَ المسافة أفردوه وودَّعوا

إنّ المعالىَ صعبةٌ لا تُمتطَى والمأثُراتُ ثنيّةٌ(٤) ما تُطلَعُ

يقِف الثناءُ عليه وقفةَ حائرٍ ممّا تسُنُّ له يداه وتشرَعُ

إن قصّرت مُدّاحه عن وصفه فعجائب البحرين ما لا تُجمعُ

قلِقُ اللواحظ أو تقرّ بزائرٍ كالمضرحىّ(٥) لصيده يتوقَّعُ

فهناك أبلجُ ما وراء لثامِه ملأنُ من ماء البشاشةِ مُترَعُ

هو قِبلةُ المجد التى ما مِلّةٌ إلا وتسجُدُ نحوها أو تركَعُ

تتناسب الأهواءُ فى تفضيله والقولُ فى أديانها يتنوّعُ

---

(١) المرو: حجارة براقة صلبة، واحدها مروة. (٢) فى الأصل «ويجيرها» وهو تصحيف.

(٣) تدعدع: تقول لها: دع دع وهى كلمة — ساكنة الآخر — تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش، كما يقال: لعا.

(٤) الثنية: طريق العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبال. (٥) المضرحى: الصقر، أو النسر الطويل الجناح، وكلاهما مشهور بحدّة البصر.

عِلمًا بأنّ الشمس ما فى عينها ... رمَدٌ ولا ثوبُ السـماء مرقّعُ

يا دهرُ لا تعرِضْ لمن آراؤه ... فى مَفصِـل الجُـلَّى تَحُزُّ وتقطـعُ

لُطِـفَت وجلَّ فعالها ولطالما ... نزحَ النجيعَ (١) من العروق المِبْضَـعُ (٢)

وله عزائمُ ضـاق عنهـا ذَرعهُ ... كالسيل غصَّ به الطريقُ المَهيعُ (٣)

شوسٌ (٤) إذا آستدعتْ أنابيبَ القنا ... أبصرتَها من سُرعة تـتزعزعُ

إياك تحتُ فى جوانبِ كُدْيةٍ (٥) ... بالحارشينَ (٦) ضِبابُها لا تُخـدعُ

أنسيتَ إذ قارعتَـه عن مجـده ... فرجعتَ مفـلولا وأنفُك أجدعُ (٧)

أيّامَ جاهـدَ فى أبيـه بهمّـةٍ ... هجـعَ الظلام وعينُها ماتهجَـع

حتى آطمأنَّ من الوزارة نافـرٌ ... وثُنى إليـه لِيتُها (٨) والأَخـدعُ (٩)

وآستُرجِعتْ عذراءَ لم يَنعَمْ بها ... بعـلٌ كما آرتجع الوديعـةَ مودِعُ

ومشى أمام جيـادهِ مسـتقبِلا ... من كان أمسِ وراءَهنّ يُشيّعُ

بالرفق تحـطُّ الوعولُ (١٠) من الذُّرى ... ويصاد يَربوعُ (١١) الفـلا المتقصّعُ (١٢)

هـذا أمـيرُ المؤمنين وظنّـه ... بالغيب مِرآةٌ تضيء وتلمـعُ

---

(١) النجيع : الدم . (٢) المبضع : المشرط . (٣) المهيع : الواسع .
(٤) شوس : جمع أشوس وشوساء وهو الجرئ على القتال الشديد . (٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب . (٦) الحارش : صائد الضب من كديته التى حفرها . (٧) أجدع : مقطوع . (٨) الليت : صفحة العنق . (٩) الأخدع : عرق فى الرقبة .
(١٠) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (١١) اليربوع : حيوان أشبه بالفأر إلا أنه كبير عنه قصير اليدين . (١٢) المتقصع : الداخل فى القاصعاء وهى جحر اليربوع .

لما تنسّم من شمائلِ عِطْفِـــهِ ارجَ الكفاية فائحا يتضـــوّعُ،
ناجاه بالوادى المقـــدّس نابذا كَلِمًا تلين لها القلوبُ وتخشعُ
وكساه من حُلل الدِّمَقْسِ(١) جلابيا كالروض بل منه أغضُّ وأنصعُ
فكأنها نُسجَت بجنّـــةِ عبقـرٍ(٢) أو ظلّ يرقُمها الربيعُ ويطبَعُ
لو أنها دِمَنٌ أقامت بينها وُرْقُ الحمائم تستهِلُّ وتسجَعُ
إن أُكملتْ حسنا فقد زُرِّرت على جسـدٍ يكلّل بالعـلا ويرصّعُ
وأعاضه من تاج "فارسَ" عِمّةً إذ عنـــده تاجُ الأعارب أرفعُ
كالليـل إلا أنها قد طُـرِّزت شـــفَقا على آفاقها يتشعشعُ
ما أشرقُ الألوان إلا سُـــودُها ولأجل ذا لونُ الشبيبة أســـفعُ(٣)
أمثالُها فـــوق الرءوس وهـذه فوق الرزانةِ والحصانة(٤) توضـــعُ
وحباه من قُبّ(٥) العتاقِ بضـامرٍ كالذئب زعزعَ منكبيْهِ مَطمَعُ
لا تُثبِت العينـانِ أين مقـــرُّهُ فى الأرض لولا نقعُـــه(٦) المترفّـعُ
يقظانُ تحسَب سَرجَه ولجامَـــه فى لُجّـــة أمواجُها تتدفّـــعُ
يخطو فيختصر البعيدَ من المَـدى بقـوائم مثـلِ البليـــغ تُوقّـــعُ
بالسـبق منفـــردٌ بلَى فى متنه منـه الى طُـرُق المعـالى أسرعُ

(١) الدمقس : الحرير . (٢) عبقر : موضع تنسب اليه الجن . (٣) الأسفع : الأسود . (٤) كذا فى الأصل ويحتمل أن تكون «الحصانة» . (٥) قب العتاق : الخيل الضامرة البطن، واحدها : أقب وقباء . (٦) النقع : الغبار .

إن الخليفـــةَ للزمان وأهـــلِهِ ... طَودٌ من الحَدَثانِ لا يتضعضَعُ

هو فى الدجى بدرٌ يُنير وفى الضحى ... شمسٌ لها فى كل أفـقٍ مطلعُ

و"بنو جَهـير" دَوحةٌ فى ملكه ... أفنانُها وغصونُها تتفـرّعُ

بوزيرها وعميـدِها وزعيمِها ... و"جهـيرها" أبدا يُضَرُّ ويُنفَعُ

القـارحُ(١) المـوفى عليها سابقٌ ... ورَباعُها(٢) وثَنِيُّها(٣) والمُجـذَعُ(٤)

كلٌّ له يـومَ الفخار مناقبٌ ... ثمَّ الأكابرُ فضلُها لا يُدفَـعُ

لله أربعـةٌ بهـم هـذا الورى ... وكذا حكَوْا أن الطبائع أربعُ

"أحمـدُ بن محمـدِ بنِ محمـدٍ" ... وعُلاكَ منصِتةٌ تجيبُ وتسمَعُ،

لا كان هـذا الدهرُ إن عطاءَهُ ... بالله يسمُجُ فى العقول ويفظُعُ

ما بال أقـوامٍ به لو أُنصِـفوا ... رُدّوا على باب النجاح ودُفِّعـوا

ما كان قطُّ لهم على دَرَج العـلا ... مرقًى ولا عند الصنيعة موضعُ

وأرى المعـايشَ بينهم مقسـومةً ... كالغُـنم يُجمَسُ(٥) تارةً(٦) أو يُربَعُ

وأعابهم نفـرٌ(٧) بلا سببٍ سـوى ... أن المعـايبَ بين قومٍ تجمَعُ

---

(١) القـارح : من الخيـل بمنزلة البازل من الإبل . (٢) الرباع : — من الخيل — ما استتم السـنة الرابعة . (٣) الثنى : — من الخيـل — ما استتم السـنة الثالثة .

(٤) المجذع : الذى صار جذعا وهو ما قبل الثنى . (٥) فى الأصل « كالغنم » وهو تصحيف .

(٦) يربع ويجمس : يؤخذ ربعه وخمسه . (٧) كذا بالأصل ، والوارد فى المعاجم « عاب » بغير التعدية بالهمزة ، ولعلها « قد عابهم نفر ... الخ » .

أأذادُ عن بَرْدِ الحياض ومثلُهم ... يُدعَى إلى العَذبِ الزلالِ فيكرَعُ

فآبذُرْ عـوارفَك الجسامَ بتُربةٍ ... يزكو بها ثمرُ الجميـلِ ويونعُ

هـذا مقالى إن هززت فعنـده ... ما يَحسُنُ المطبوعُ والمتطبِّعُ

ويدى إذا آستخدمتَها وبسطتَها ... حسدتْ أناملَهـا الرياحُ الشُّرَّعُ

ما بى إلى الشفعاء عندك حاجةٌ ... ولسان فضلك شافعٌ ومشفَّعُ

* * *

وقال يودِّعه عند توجُّهِه فى الرسالة إلى خراسان :

من رأى المجـدَ يُثير القِـلاصا (١) ... والعُـلا تُزجى العِتاقَ (٢) الخِماصا؟! (٣)!

والقِبـابَ البيضَ قد وعَدُوهـا ... بالمعالى فآستطالتْ خِراصا (٤)

"بعميد الدولةِ" الأرضُ تُطوَى ... حين (٥) لا ترجو النجومُ خَلاصا

ويخِـاجُ السـعى بين يديه ... تشترى الآمالَ منـه رِخاصا

مـذ رأيناهُ سحابا عجِبنا ... كيف يحتـلُّ ويأوى العِراصا (٦)

كرمٌ فاضَ فما آختصَّ أرضا ... دون أرضٍ بنـداه آختصاصا

من يحبّ العزّ يَدأبْ اليـه ... وكذا من طلب الدُّرَّ غاصا

قـرّت الأعينُ بالقـربِ منـه ... فأراد البعـدُ منها القِصاصا

---

(١) القلاص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل . (٢) العتاق : الخيل النجيبة .
(٣) الخماص : الضامرة البطن . (٤) خراص : جمع خريص وهو السحاب . (٥) فى الأصل «حيث» .
(٦) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار .

لو ملكنا الأرضَ أو لو أطقنا ... لسَـــددنا بربُاهـا الخَصَـاصا (١)

وعقَلنـا النـاجيـاتِ (٢) خـــلاءً ... وربَطنا المُقْـرَبات (٣) آرتهاصا (٤)

فهِـمتْ ما حمَلتْ فى ذُراها ... من جمالٍ فآرتقصنَ آرتقاصا

ماجدٌ إن خاف أسهمَ ذمٍّ ... لبس الجـودَ عليـه دِلاصا (٥)

أدواتُ الفخـرِ ألفَنَ فيـه ... حسَـبا عِـدًّا (٦) وعِرقا مُصَـاصا (٧)

رُبَّ عزمٍ إن يُحَكِّمْ (٨) [به] لم ... تجد الأقـدارُ عنـه مَناصا

ساهرِ القلب اذا رامَ عُظمَى ... إن كرَى النـومِ للأعينِ حاصا (٩)

قذفتْ منـه الليـالى بقـرنٍ ... تنكُص الأبطالُ عنـه آنتكاصا (١٠)

محسـنٌ بالرأى ضربا وطعنـا ... يُخجل البيضَ ويُخزِى الخِراصا (١١)

ساحر الألفـاظ لوشاء ظبيـا ... أسر الوحش بهنَّ آقتناصا (١٢)

كلمـا أبصـرَه حاسـدوه ... كُلَّتْ تلك العيـونُ حُصَاصا (١٣)

كشـعاع الشمسِ ترجع عنـه ... مَضْرحِيّاتُ العيـون (١٤) عِماصا

(١) الخصاص : كل خرق أو خلل فى باب أو غيره ، — والمراد : كل ما انفـرج من الأرض ، وفى الأصل : «الخضاص» وهو تصحيف . (٢) الناجيات : الإبل تنجو بصاحبها . (٣) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٤) الآرتهاص : الرص وذلك بأن يكون بعضها بجانب بعض . (٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة وجمعها دلاص أيضا وقيل : دلص — بضم الدال واللام — . (٦) العد : القديم . (٧) المصاص : الخالص من كل شىء . (٨) ليست بالأصل . (٩) حاص : خاط . (١٠) القرن : الشجاع ؛ والانتكاص : الرجوع . (١١) الخراص : الرماح . (١٢) كذا فى الأصل ولو خيرنا لقلنا « صيدا » ليكون المعنى أعم . (١٣) الحصاص : داء يتناثر منه الشعر — والمراد به هنا تناثر شعر أهداب العيون لشدة ما يبهرها من الضوء — . (١٤) المضرحى : الصقر أو النسر — وكلاهما يوصف بحدة البصر — .

ففـداه كلُّ جَهـمِ[1] المُحيَّـا مانعٌ عـجدَه[2] والرِّصـاصا

كالشَّموسِ[3] الصَّعبِ إن ذلَّلوه زادهـم ذُعرا ولجَّ قِـاصا

مسـتهامٌ بالغـوانى اذا ما صقَلتْ خـدًّا وأرختْ عِقاصا[4]

أين تبغى؟ قد زحَمتَ الثريّا فى مَـداها وآنتعلتَ النَّشاصا[5]

غايةٌ لـو ذو جَناحٍ اليهـا طار لآعتاصت عليـه آعتياصا[6]

أنتمُ آلُ "جَهـيرٍ" عـديدٌ لا رأتْ فيـه البنـانُ آنتقاصا

كلّما قيـل: الرحيـلُ قريبٌ غَصَّ بالبـارد حَلْقى آغتصـاصا

وأرى قلـبي سيقتصُّ، إمّا سـرتَ، آثارَ المطىِّ آقتصاصا

اِقْضِ فى أمرى بمـا أنتَ قاضٍ فبإنعامك أرجـو الخَـلاصا

ردَّك الله إلينـا سـليما بـك أيامُ الزمان تَواصَى[7]

* * *

وقال يمدحُه عندَ عودِه من هذهِ السَّفرة، وقد صاهرَ نظامَ المُلك فى شـعبان سنة آثنتين وستين [بعد الأربعمائة]:

اذا نثرَ النـاسُ "الهِرَقْليَّةَ"[8] الصُّـفْرا نثرتُ على عليـائك الحمـدَ والشُّـكرا

---

(١) الجهم: العابس غير الطلق. (٢) العسجد: الذهب. (٣) الشموس: الأبى الممتنع. (٤) عقاص: جمع عقصة — بكسر العين — وهى الضفيرة. (٥) النشاص: السحاب. (٦) اعتاص: صعب واشتد. (٧) يريد: تتواصى أى يوصى بعضها بعضا، ويقال: تواصى النبت أى آتصل بعضه ببعض. (٨) الهرقلية: دنانير منسوبة الى هرقل ملك الروم.

وصغتُ[1] من الذهن المصفّى بدائعا ... أقرّط أسماعَ الرُّواةِ بها شَذْرا[2]

فلا تحسبَنَّ الدُّرَّ فى البحرِ وحدَه ... فقد تُخرِج الأفواهُ من لفظها دُرّا

ومن كان جسمَ المكرمات وروحَها ... تحلَّى ثناءً لا بلُجينا[3] ولا تِبرا

يُحيّا بريحان المحامدِ سمعُه ... ويكفيهِ أن كانت مناقبه عِطرا

ولست براضٍ غيرَ وصفك تحفةً ... ولا قاضيا إلا بمدحتك النَّذرا

بلغتَ "عميدَ الدولة" الغايةَ التى ... ركائبُ أبناءِ المنى دونَها حَسرى[4]

وما زلتَ تُغلى[5] المجدَ حتى جعلتَهُ ... عليك حبيسا لا يباعُ ولا يُشرى

وكم طالبٍ فيه نصيبا وإنه ... ليَقبِضُ كفَّيه إذا عَرف السِّعرا

تطيعك فى المعروف نفسٌ حبيبةٌ ... إذا سُئلتْ جدواك تستقبحُ العُذرا

أظنُّك فى الدنيا تُريد زهادةً ... فلستَ بمستبقٍ لعاقبةٍ ذُخرا

وقد كانت النَّعماءُ جادت بنفسها ... فأنشأتَها فى عصرك النشأةَ الأخرى

مواهبُ يُعطين الغنىَّ على الغِنَى ... مَزيدا ويتركن الفقيرَ كمن أثرى

يوافين[6] سرًّا والسحابُ برعدها ... تبوح بما توليه إن أرسلتْ قَطرا

فدًى لك صيفىُّ الغمامة فى الندى ... يَظُنّ سؤالَ السائلين به مكرا

اذا حامت الآمالُ حول حِياضه ... سمعنَ بها من كلِّ ناحيةٍ زَجرا

(١) فى الأصل «وضعت» وهو تصحيف . (٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير وهو أيضا الذهب .
(٣) اللجين : الفضة . (٤) حسرى : كليلة معياة . (٥) فى الأصل « تعلى » .
(٦) فى الأصل « توافيك » وهو تحريف .

ألستَ من القـــوم الذين نداهُـــمُ حبائلُهم ، والراغبون بهـا أسرى
يبيتون فى المشتى نِماصًا(١) وعنـدهم من الزاد فضلاتٌ تُصان لمن يُقرى(٢)
خشَوا أن يضِلَّ الضيفُ عنهم فرفَّعوا من النـار فى الظلماء ألويةً حُمـــرا
أفادوا الذى شاءوا وأفنَوه عاجـــلا فقـــد جمعتْ أيديهم العُسرَ واليُسرا
تواليـــك حبَّاتُ القـــلوب كأنمـا خُلقتَ سرورا فى الضمائِر أو سِرّا
فإن كانت العينان داعيـــةَ الهوى فقد أبصرتْ من شخصك الشمسَ والبدرا
وإن كان للنفس الطروبِ تتيُّمٌ فأجدرُ أن تهـــوَى خلائقَك الزُّهرا
فقـــد جنَح الأعداءُ للسّـلم رغبـةً إليك، وأىّ الناس لا يعشـــق البِرّا؟
فأما سَـــقام الحاسدين فما له شـفاءٌ وقـــد كادتهُـــمُ نِعَمٌ تترَى
تساوت يداك بســـطةً وسماحةً فلم تفخر اليمنى بفضـل على اليسرى
ومعترَكٍ للقـــوم مزَّقتَ جمعَـــه بحـــدِّ لسانٍ يُحسن الكرّ والفرّا
وفحشاء أدّتها إليـــك جهالةٌ جعلتَ رتاجَ(٣) الحلم من دونها سِترا
سما بك فوق العـــزّ قلبٌ مشيّعٌ(٤) اذا ركب الأهوالَ لم يستشر فكرا
وهمّـــةُ وثّابٍ على كلّ ذِروةٍ يَنال على أكتادها(٥) النَّهىَ والأمرا
ألا ربَّ ساعٍ فى مَـــداك كَبَتْ به مطاياه أو قالت له رِجـــلُه : عَثْرا

(١) النماص : الجياع . (٢) يقرى : يضاف . (٣) الرتاج : الباب العظيم المغلق ، وفى الأصل «رياح» وهو تصحيف . (٤) المشيع : الشجاع . (٥) الأكتاد : الأكتاف .

وملتمِسٍ فى عـــدِّ فضـــلك غايةً ... ومن يَشبُرُ(١) الخضراءَ أو يترِف البحرا؟!

خذوا عن غُبار الأعوجيّات(٢) جانبا ... وإلا فقـــد ضيعتمُ خَلفها الخُضرا

وخلُّوا لهـــذا البـــازلِ القَرمِ(٣) شَـــولَه(٤) ... فإنكُمُ لم تَحذِقوا الهَـــدْر والخَطْـــرا

فتًى سالَبَ الأعداء حِرصا على العـــلا ... فأَجلَوا له عنهـــا وما عَقَـــد الأُزْرا(٥)

وهـــل يُعجب الروضُ المنوّرُ أعينا ... رعَتْ فى محيّاه الطـــلاقةَ والبِشرا

كأنَّ الحيـــاءَ أنهلَّ فى وجَنـــاته ... فكانَ لهـــا ماءً وكانت له غُـــدْرا(٦)

تحـــدّثه الغيبَ الخـــفىَّ ظنـــونُه ... فتحســـبُها قد أودِعتْ صُحُفا تُقرَا

وقالوا : هو الغيث الذى يغمُر الربَى(٧) ... فقلت لهـــم : ما زدتمونى به خُبرا

فقالوا : هـــو الليثُ المعفَّر قِـــرنَهُ ... فقلت : بحـــقّ الله أيُّهـــما أجرا؟(٨)

حلفت بهـــا تهـــوِى عـــلى ثَفِناتها(٩) ... من الأين(١٠) مرخاةً أزمَّتُهـــا صُعرا،(١١)

تجـــرِّر أذيالَ الرياح وراءَها ... إذا كتبتْ سطرا محتْ قبـــلَه سطرا،

تنزّهُ عن حَمل الأوانسِ كالدُّمى(١٢) ... وتحمِل فى كِيرانهـــا الشَّـــعثَ والغُـــبْرا،

إلى حيث لا تُجزَى بحسن صنيعهـــا ... إذا ما قضَوا نُسكا جزَوها به نَحـــرا،

---

(١) يشبر : يقيس بالشبر . (٢) الأعوجيات : النجائب من الإبل المنسوبة الى أعوج وهو فحل ، والحضر : العدو . (٣) البازل القرم : الفحل الكريم . (٤) الشول : جمع شائلة — وهى من الإبل — : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . (٥) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٦) غدر : جمع غدير وهو النهر . (٧) فى الأصل : «يعمر» وهو تصحيف . (٨) يريد أجراً . (٩) ثفنات : جمع ثفنة وهى مايقع على الأرض من البعير اذا استناخ . (١٠) الأين . الجهد . (١١) صعرا . مائلة . (١٢) كيران : جمع كور وهو الرحل .

وبالبيت محفوفا بمن طاف حوله إطافةَ سِمطيْ لؤلؤ قلّدا نحرا،
تُفاضُ سجوفُ(١) الرَّقم فى جنباته على ماثلٍ تَعرَى السيوفُ ولا يعرى،
حمًى لا يخاف الطيرُ فى شجراتهِ قنيصا ولا تخشى الظباءُ به ذُعرا،
وبالمجرِ الملثومِ سمعا وطاعة ونعلم أنْ ما يملك النفع والضرا:
لأنت إذا صَكُّوا القِداح على العلا أحظُّهمُ سهما وأسرعُهم قَمرا(٢)
وأعلاهُمُ كعبا وأحلاهُمُ جَنًى وأوفاهُمُ عهدا وأرفعُهم ذِكرا
كفاك نجاحُ السعى فى كلّ مطلب همتَ به أن تزجُرَ الأُدْمَ(٣) والعُفرا
بعزمٍ كما أطلقت أُنشوطةَ الحُبَى وجِدًّ كما نفّرتَ عن مَربإ صَقرا
رأيتك طودا للخليفة شامخا وسيفا على شانيه يختصر العمرا
إذا عرَضتْ حَوجاءُ كنتَ قضاءَها وإن طرَقتْ غَمّاءُ سَدّ بك الثغرا
دعاك لأمرٍ ليس يُحكِم فتلَه سواك وهِجّيراك(٤) أن تُبرِمَ الأمرا
فأرسلتَها من « بابلٍ » وكأنما تُقلقِلُ من تحت السروج قَطًا كُدْرا
صدمَت بها الأجبالَ والقُرُّ(٥) كالحٌ تجلّلها ثلجا وتُنعلها صخرا
تَذكّرُ مَرعىً « بالعراقِ » وموردا وهل ينفع المشتاقَ ترديدُه الذكرا

---

(١) سجوف الرقم . ستائر الخز . (٢) قمرا : مصدر قمره — بفتح الميم — لاعبه فى القمار فغلبه .
(٣) الأدم والعفر : — من الخيل والنوق والظباء — البيض والتى لونها كلون العفر وهو التراب .
(٤) هجيراك : بمعنى دأبك وشأنك . (٥) القر . البرد .

إذا رَبأتْ (١) فى قُنّـــةٍ (٢) خِلت أنها خُدارِيّةُ (٣) العِقبانِ طالبـــةً وَكرا

فزاحمن فيها الشُّهب حتى طمعن أن يحلّين منهنّ القلائدَ والعُـــذْرا (٤)

بكلّ منيفٍ يقصُـــر الطـــيرُ دونه ولا تجـد النكباءُ من فوقه مَجرى

وطـودٍ بحـولىّ الجليـــدِ معمَّمٍ كما زار لونُ الشيب فى هامةٍ شَـعرا

كأنا كشـــطنا عنـــه جِـلدةَ بازلٍ (٥) كسا شحمُه جنبيـــه والمتنَ والظهرا

أقامت به الأنواءُ تُهـدى لك القِرى ولم تقتنـــع بالمـاء فاحتلبت دَرّا

فرشنَ بِكافورِ السماء لك الربَى فشابهنَـــه لونا وخالفنَـــه قِشرا

اذا خلَصت منها الجيـادُ رأيتها وما خالطت لونا محجَّلةً غُـرّا

وقاسمها بُعـــدُ المدى فى جسومها فأفنى بها (٦) شـطرا وأبقى لهـا شـطرا

ولمـا دَحَت قُود الهضاب وراءَها (٧) ورنّحها طـــولُ القيادِ لهـا سُكرا،

رمتْ صحصحانَ (٨) "الرَّىّ" (٩) منها بأعين تردّد فى أعطافه نظـــرا شَزرا (١٠)

هناك دعا داعٍ من الله مسمِعٌ فلبّاك من ضمّتْ معالمُها طُـــرّا

يحيُّون ميمـونَ النقيبـــةِ ماجدا ويَلقون بالتعظيم أعظمَهم قـدرا

---

(١) ربأت : اتخذت مربأ . (٢) القنة : رأس الجبل . (٣) الخدارية : العقاب السوداء . (٤) العذر : جمع عذار وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . (٥) البازل : الجمل المسن . (٦) فى الأصل «به» وهو غير واضح . (٧) قود . جمع قائد ؛ وهو المستطيل من الجبل على وجه الأرض . (٨) الصحصحان . ما استوى من الأرض . (٩) الرى : بلدة بفارس ، — والنسبة اليها : رازى . (١٠) النظر الشزر : أن يكون بجانب العين كنظر الغضبان .

ولاقيتَ ربَّ التـاج يرفـعُ حُجْبَـهُ ويطرُد ، ما ناجيتـه ، التيهَ والكِبرا

وحاورتَه حـتى شغفتَ فـؤادَه ألا ربّمـا كان البيانُ هـو السحرا

رأى فيـك ما يهواه مجـدا وسؤددا فما كنت إلا فى مجالسه صـدرا

وحسبُك فخرا ان تجهّزتَ غاديا فقضّيتَ أوطار النبوّة من "كِسرى"

مليـكٌ حمَى الرحمنُ بيضـةَ مُلكه فما فى الورى من يستطيع لها كَسرا

كتائبُـه فى كلّ شرق ومغرب مدرَّعـةٌ فتـحا ، مؤيّدةٌ نصـرا

كفاه "نظامُ الملك" أكبرَ همّه وأتعبَ فى آرائه السرَّ والجهـرا

همامٌ إذا ما هزَّ فى الخطب رأيَهُ فلا عجبٌ أن يُخجل البيضَ والسُّمرا (١)

إذا هو أمضَى نعمةً قـد تعنّست (٢) تخيَّر أُخرى من مواهبه بِكرا

ومن رأيه الميمونِ عقدُ حبالِه بحبلك حتى قد شـددتَ به أزْرا

لئن كنتَ أنت "المشترِى" فى سمائه علوًّا لقد قارنتَ فى أفقه "الشِّعْرَى"

فأصـبحتُما "كالفرقدَيْن" تناسُـبًا فأكرِمْ بذا حَمْوًا وأكرم بذا صِهرا

وقضّيتَ ما قضّيتَ ثم عطفتَهـا تبارَى كما ينسابُ فى الشَّعَر المِدرى (٣)

وأُبت كما آبَ الربيـعُ الى الثرى يَخيـط على أعطافـه حُلَلا خُضرا

ففى كلّ يوم ما أغبَّ مبشّر يؤدّى إلى "بغدادَ" من قربك البُشرى

---

(١) البيض والسمر : السيوف والرماح . (٢) تعنست : طال مكثها بلا زواج حتى خرجت من عداد الأبكار . (٣) المدرى : المشط .

ولما اطمأنّت فى "جَلُولاءَ"(١) عالجتْ ... بذاك النسيم الرطبِ أكبادَها الحرّى

فأقسمتَ لا تنفكّ تحت لُبُودِها(٢) ... إلى أن توافى حَلبةَ(٣) القصْرِ والقصرا

وعُجتَ بها تطوى منازلَ أربعا ... إلى منزلٍ، يا بعدَ ذلك من مَسرَى!

ولله فينا نِعمةٌ إثرَ نعمةٍ ... وعَوْدك محروسا هو النعمة الكبرى

فلا كان يومٌ لستَ فى صدره ضُحًى ... ولا كان ليلٌ لستَ فى عَجْزه فجرا

* * *

وقال يمدحُه ويهنئه بالنيروز الفارسىّ، وأهدَى إليه كُتُبًا عِوض الدرهم والدينار:

ودِدتُ التصابى فيك إذ كان عاذرى ... وعاديتُ حلمى إذ غدا عنك زاجرى

ومالى سوى قلبٍ يضلّ ويهتدى ... فإما الهوى فيه وإما بَصائرى

وإنى لأدرى أنما الغُنْجُ(٤) واللَّمَى(٥) ... وبيضُ الطُّلَى(٦) هنّ(٧) القذى فى المحاجرِ(٨)

ولكنّها نفسٌ تروضُ طباعَها ... بما حملته من عذاب الجآذرِ(٩)

عدِمتُ فؤادى يبتغى الآنَ رشدَه ... فهلّا قُبيل الحبّ كان مشاورى!

---

(١) جلولاء: قرية بفارس على بعد سبعة فراسخ من بغداد. (٢) لبود: جمع لبد، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج. (٣) الحلبة: محلة واسعة فى شرقى بغداد؛ والقصر: اسم لجملة مواضع؛ فمنها: قصر الأحرية فى نواحى بغداد؛ وقصر أم حبيب بنت الرشيد من الجانب الشرقى من بغداد.
(٤) الغنج: الدلال. (٥) اللمى: سمرة فى باطن الشفة — وهى مستحسنة عند العرب —.
(٦) الطلى: الأعناق. واحدها: طلية. (٧) القذى: ما يقع فى العين فيوجعها.
(٨) محاجر: جمع محجر وهو ما دار بالعين. (٩) الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية.

فما بالنا نُعطَى الدنيَّة فى الهوى ... وفى الروع لا نعطَى ظُلامةَ ثائرِ

كأنا جميمُ (١) الروض يقطُف نَوْرَه الـ ... ـظباءُ ولا يحلو لأُسْدٍ خوادرِ (٢)

وإنّ انقيادى طوعَ ما أنا كارهٌ ... يدلُّك أنَّ المرءَ ليس بقادرِ

لواحظُنا تجنى ولا علمَ عندَها ... وأنفسُنا مأخوذةٌ بالجرائرِ

ولم أرَ أغبَى من نفوسٍ عفائفٍ ... تصدّق أخبارَ العيون الفواجرِ

ومن كانت الأجفانُ حُجّابَ قلبِهِ ... أَذِنَّ (٣) على أحشائه للفواقرِ

اذا لم أفز منكم بوعدٍ فنظرةٍ ... اليكم، فما نفعى بسمعى وناظرى؟!

وما زال لى عند الظباء ظُلامةٌ ... تُرَدُّ الى قاضٍ من الحبّ جائرِ

لعمرُك مابى فى الصبابة حَيرةٌ ... تقسّم فكرى بين ناهٍ وآمرِ

تصامتُ عن عذل العذول لأنه آحـ ... ـتجاجٌ لسالٍ وآعتذارٌ لعاذرِ

وكيف بنسيانى الذى حفظ الصِّبا ... وبات به طيفُ الخيال مسامرى

بلى إنّ بَردَ اليأس يطفئُ حُرقةً ... ولو سُقيت منه قلوبُ الهواجرِ

وإنّا اذا ضلّت من "الحَزْنِ" نفحةٌ ... فزِعنا الى نِشدانها بالمناخرِ

أصعّد أنفاسى اذا ما تمزغت ... على تُربه هوجُ (٤) الرياح الخواطرِ

---

(١) الجميم : النبت الناهض المنتشر .

(٢) الخادر : اللازم لعرينه والمقيم به .

(٣) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تقصم الظهر .

(٤) هوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت .

وأذكرُ يوما قصّر الوصلُ عمرَهُ كأنا ٱلتقينا منـــه فى ظلِّ طائرِ

متى غنّت الورقاءُ كانت مدامتى دموعى،وزفراتى حنينَ مَزاهِرِ (١)

خليلىَّ هذا الحُلمُ قد أطلق الأسَى وبثَّ حُبولَ (٢) الشوق بين الضمائر

ولم يبق فى الأحشـاء إلا صُبابة (٣) من الصبر تجرى فى الدموع البوادرِ

فَليًّا بأعناقِ المطىِّ فربّما أصبنا الأمانى فى صدور الأباعرِ

وإن لم يكن فى ربّة الخدر مَطمعٌ قنَعنا بآثار الرســـوم الدوائرِ (٤)

مَرابط أفـراس ومَبرك هَجمةٍ (٥) وملعب ولدان ومجلس سامرِ

وسُـــفعٍ (٦) أثافىٍّ (٧) كانّ رمادَها حمـائمُ لكن هنَّ غيرُ طوائرِ

ويا حبّـــذا تلك النُّـــئىّ (٨) وليتها تروح خلاخيلى وتغدو أساورى

اذا أنتَ لم تحفَظ عهـــودَ منازلٍ فلستَ لعهـد النازلين بذاكرِ

سقاها الذى أضحت ينابيعُ فضلهِ تَمُـــدُّ شآبيبَ الغيوثِ البواكرِ

بجودُ"عميدالدولة""العُشبُ والحيا ومقـتَرَحُ الراجى وزادُ المسـافرِ

كُفيتَ به أن تطلبَ الرزقَ جاهدا على زعمهم بالسـعى أو بالمقـادرِ

---

(١) مزاهر : جمع مزهر وهو العود . (٢) حبول : جمع حبل وهو معروف والمراد الحبائل . (٣) الصبابة : البقية . (٤) الدوائر : البوالى . (٥) الهجمة : قطيع من الإبل ما بين السبعين والمائة . (٦) سفع : جمع أسـفع وسفعاء وهى السـوداء . (٧) الأثافى : جمع أثفية وهى ثلاثة أحجار توضع عليها القـدر . (٨) النؤى : جمع نؤى وهو الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل .

تظَلُّ قَلوص(١) الجُود ترقُص تحتَـهُ اذا حُديتْ يوما بنغمة شاكرِ

تحدَّثْ ولا تحرَجْ(٢) بكلّ عجيبـــةٍ من البحر أو تلك الخلال الزواهرِ

فما ذاق طعمَ الريِّ من لم تُسَـقِّه أناملُه من صـــوبها المتواترِ

وكم من كســـير للّيالى قد ٱلتقت عليـــه أياديه ٱلتقاءَ الجبائرِ(٣)

ومنتَهب الجـدوى يُريك سحابُه زمانَ الربيع السكبِ فى شهر "ناجرِ"(٤)

يسـابقُ بالفـــعلِ المقـالَ كأنه يرى الوعدَ فنًّا من مِطال الضمائرِ

فأنت تراه ماطـــرا غـــيرَ بارقٍ ولست تراه بارقا غيرَ ماطـــرِ

مواهبُ سمّاها العفاةُ صنائعـا وهنّ نجومٌ فى سمـاء المآثرِ

ملوم على بذل البضائع فى النـدى وما تاجرٌ فى المكرُمات بخاسرِ

قَطوبٌ وأطرافُ القيانِ عوابثٌ ضحوك وأطرافُ القنا فى الحناجرِ

به ٱزدانت الدنيـا لنـا وتلفّتت الينا الليـالى بالخـدود النواضرِ

تعلّمت الأيامُ منـــه بشاشـــةً أعادت إلىّ الدهرَ هَشَّ المكاسرِ(٥)

يذيبُ السؤالُ شَحمةَ الرفدِ عنده وهل يجمُد العنقودُ فى كفِّ عاصرِ

أبَى أن تهُـــزَّ العُنجُهيَّـــةُ(٦) عِطفَهُ يقينًا بأنّ الكبرَ إحـدى الكبائرِ

ولا عيبَ فى أخلاقه غيرَ أنهـا فـــرائد دُرّ مالهـا من نظـائرِ

(١) القلوص : الفتية من الإبل . (٢) تحـرج : تأثم . (٣) الجبائر : جمع جبيرة وهى عيدان تجبر بها العظام . (٤) ناجر : الشهر الواقع فى صميم الحر . (٥) المكاسر : غضون الوجه . (٦) العنجهية : الجفاء والكبر والعظمة .

وما النـاسُ إلا كالبحور فبعضُها ... عقـيمٌ و بعضٌ معـدنٌ للجواهرِ

فتعسًا لأقـدام السُّعاةِ و راءه ... ألم ينتهـوا عنـه بأوّل عاثرِ!

يُقـرُّ له بالفضـل كلُّ منازع ... اذا قيل يومَ الجَمع: هل من مُفاخرِ؟

أخو الحزم ليست فى نواحيه فرصةٌ ... لنُهـزةِ مغتالٍ ونَفثـةِ ساحر

اذا ركَضتْ آراؤه خلفَ فائتٍ ... تدارك منـه غائبـا مثـل حاضرِ

متى تأتِه مستشـفعا بصنيعهِ ... اليـك نقـد لاقيتـه بأواصرِ

تتبَّع أوساطَ الأمور مجانبـا ... تورُّطَ عجـلان ووَنيـةَ قاصرِ

وقـد علم النُّزَّاعُ أن ديارَه ... اذا آنتجعـوها نِعم دارُ المُهاجرِ

تسلَّوا عن الأوطان بالأبطح الذى ... يلائم مَرعاه لبـادٍ وحاضرِ

يطاول بالأقـلام ما تبلغ القنـا ... و يفضُل أفعـالَ الظُّبَا بالمخـاصرِ (١)

من العصبةِ الغُرِّ الذين سـعودُهم ... بآرائهـم لا بالنجوم السـوائرِ

فوارسُ هيجاءٍ وقولٍ، ركوبُهـم ... ظهورُ الجيـادِ أو ظهورُ المنـابرِ

يظن الضيوفُ أن دارهمُ "مِنًى" ... ودهرَهُمُ عيـدٌ لعُظم المنـاحرِ

وما أوقدوا النيرانَ إلا ليفضَحوا ... بها الليلَ إن أخفى مسالكَ زائرِ

وقد علمتْ تلك (٢) المكارم والعـلا ... وقـد ولدتهـم أنهـا غـيرُ عاقرِ

---

(١) مخاصر: جمع مخصرة وهى عصا صغيرة يشير بها الملك.

(٢) فى الأصل: «أن»، وفى مختارات البارودى «تلك» فرجحناها لوضوح المعنى بها.

أيا "شرفَ الدين" المشرَّف عصرِه ومن حلَّ فيه ، بالعطايا البواهرِ (١)

تناولْ "بنيروز" الأكاسرِ غبطةً تضاحك أفواهَ الأمانى الفواغرِ

هو اليومُ لا فى حُلَّةِ الصيف رافلٌ ولا فى سرابيل الشتاء بخاطرِ

يكاد لسانَا طِيبِه واعتداله يُبينان أنّ الدهرَ ليس بجائرِ

ولما رأيتُ المال عندك هيِّنا جعلتُ هداياه رياضَ الدفاترِ

فإنك من حمد الرجال وشكرِهم (٢) كثيرُ (٣) الكنوزِ واللُّهَى (٤) والذخائرِ

* * *

وقال يمدحُه، ويشكرُه على تعهّدِه بالعيادةِ من ألمٍ نالَه :

أبَى اللهُ إلا أن تجودَ وتُنعِما خلائقُك اللائى تَفيضُ تكرُّما

لك المَثَلُ الأعلى بكلِّ فضيلةٍ إذا ملأ الراوى بها النَّجدَ أتهما

لآلئُ من بحر الفضائلِ إن بدت لغائصها صلَّى عليها وسلَّما

ولو ملكتْها الغانياتُ بحيلةٍ لزنَّ بها جِيدا وحَلَّين معصما

وكم لك فى غُمّاتِها من عزيمةٍ تُسابق بالنصر الخميسَ العَرَمرَما (٥)

يُفلِّل حدَّاها الحسامَ مصمِّما ويُخجِل عِطفاها الوشيجَ (٦) مقوَّما

وما الجودُ إلا ما قتلتَ به اللُّهَى (٤) فلم تُبقِ دينارا ولم تُبقِ درهما

---

(١) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل : «الطواهر» ولعلها "الفواهر". (٢) فى الأصل : «فان يك» وبها لايستقيم المعنى فرجحنا ماوضعناه . (٣) فى الأصل هكذا «كير» (٤) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٥) العرمرم : الكثير . (٦) الوشيج : شجر الرماح .

فما يتعاطاك السحابُ اذا همى ... ولا البحرُ يحكى ضَفَّتيك و إن طما

وهل يقدِر الأقوامُ أن يتكلَّفوا ... مكارمَ قد أعيتْ "سِماكا"(١) و"مرزَما"

نهضتَ بأثقالِ المعالى ولو دُعِى ... إلى حملها العَودُ(٢) الدِّيافىُّ(٣) أرزما(٤)

فسيّان من يبغى عُلاك وطالبٌ ... ليبلغَ أسبابَ السمواتِ سُلَّما

وما المدحُ مستوفٍ علاك و إنما ... حقيقٌ على المنطيق أن يتكلَّما

ألم ترَ أنّ الأرضَ رحبٌ فسيحةٌ ... ونحن نولِّيها قلائصَ(٥) سُهَّما(٦)

أتتنى "عميدَ الدولة" المِنَّةُ التى ... نفختَ بها رُوحا وأحييتَ أعظما

كأنّ الرسولَ المُسمِعى نَغماتِها ... رسولٌ تلا وحْيًا من الله مُحكما

فأُلبستُ منها صِحّةً هى جُنَّتى ... إذا ما قِسِىُّ الدهرِ فوَّقنَ أسهُما

ودارتْ [بها](٨) كأسُ الشفاء وعُلِّقتْ ... علىَّ رُقًى منها تُداوِى المتيّما

فقد كدتُ فى عَجزى عن الشكرِ أن أرى ... لسانىَ مجروما(٩) وقلبى مُفحَما

ولكنّها ريحُ الثناءِ إذا جرت ... بذكرِك لم أملِكْ لسانا ولا فما

وأفضالُك الروضُ الربيعىُّ إن دعا ... بزَهرته وُرقَ الحمام ترنَّما

---

(١) السماك والمرزم : كوكبان من أنواء المطر .
(٢) العود : الجمل الشديد .
(٣) الديافى : منسوب إلى ضرب من إبل قرية بالشام يقال لها دياف ، وأهلها نبط الشام .
(٤) أرزم : صات من ثقل ما يحمله .
(٥) القلائص : الفتيات من النوق .
(٦) السهم : الهزيلة المتغيرة اللون .
(٧) فى الأصل : « أسنى » .
(٨) ليست بالأصل .
(٩) المجروم : المقطوع .

فلا ضحِـك الإصـــباحُ إلا تحلّتَـــهُ ببهجتِـــك الغـــرّاءِ ثغـــرا ومبسِما

ولا دجتِ الظلمـاءُ إلا أعرتَهـا شمـائلَك الغُـــرَّ اللوامـــعَ أنجُما

تطيعـك أيام الزمان مصـــيخةً[1] بأسماعِهـا حـــتى تقـــول وترسُما

سـتأتيك من مدحى قوافٍ بديعـــةٌ ينـافس فيهـا الجـاهليُّ المُخَضرَما[2]

وإنى بمنثـــورِ الكلام لعـالِمٌ ولكنَّ حســنَ الدرّ فى أن يُنظَّـــما

* * *

وقال يمدحُه :

أبَيْنـا أن نطيعَكُمُ أبَيْنـا فلا تُهـــدوا نصيحتَكُم إلينـا

ركِبنا فى الهـوى خطَـرا فإما لنـا ما قـد كسَبنا أو علينـا

فـا تسألكم عن كلِّ صبٍّ كأنَّ لكم على العشاق دَينـا!

ولـو لم يَرضَ ربُّك ما رضينا لَمـا أنشَا لنـا قلبـا وعينـا

بنفسى رامياتٍ ليس تفـنَى نُصـولُ سِهامهنّ اذا رمينـا

كأنّهـمُ أعـدوا للـــرزايا بكلِّ كحيـلةٍ زِيرا[3] وقَينـا[4]

تعوَّضنَ الخيامَ من المطايا وحسبُك بالخيـام قِلًى[5] وبَينـا

ولوّينَ البنانَ فقلتُ زجرا بميعـادى وآمالى لـوَينـا

عجـائبُ فى الصـبابة لو عقلنـا نحبُّ محاسنا فتصـير حَيْنَا

---

(١) مصيخة : مصغية . (٢) المخضرم : الذى عاش فى الجاهلية والإسلام . (٣) الزير : الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٤) القين : العبد . (٥) القلى : البغض .

نسائلُ عن ثُمامات "بُحزَوى" (١) وبانُ "الرمل" يعلم مَن عَنَينا

وقد كُشِفَ الغِطاءُ فما نبالى أصرَّحنا بذكرِك أم كَنَينا

ولو أنى أنادى : يا "سُليمَى" لقالوا : ما أردتَ سوى "لُبَينَى"

ألا لله طيفٌ منكِ يسقى بكاسات الردى زُورا ومَينا

مطيَّته طَوالَ الدهرِ جفنى (٢) فكيف شكا اليكِ وَجًى (٣) وأينا

فأمسينا كأنا ما آفترقنا وأصبحنا كأنا ما آلتقينا

ولولا نُورُ أزهرَ شمَّرِىٍّ (٤) تبلَّج (٥) فى الظلام لما آهتدينا

"عميد الدولة" المعطِى القوافى رُهونَ سِباقهنَّ اذا جرَينا

فتًى يبنى على الغُلَواء (٦) بيتا اذا نزل المقصِّر بينَ بينا

يقول لإبله : مُوتى هُزالاً ولا ترعَىْ بأكناف الهوَينَى

إذا ما السُّحبُ بالأمواهِ سَحَّتْ تهلَّل (٧) عسجدا وهمَى (٨) لُجينا

بكلِّ قرارةٍ وبكلِّ ربعٍ رياضٌ من نداه قد آنتشينا

غصونُ مكارم قَيظا وقُرًّا (٩) نُصيب بها ثِمارا يُجتَنَينا

وما سلبَ الشتاءُ الأرضَ إلا تسربلنَ المحامدَ فآكتسَينا

جرَى والسابقُون إلى المعالى بجاء فُوَيقها وأتَوا دُوَينا

(١) الثام : نبت ضعيف له خوص . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الأين : التعب والنصب . (٤) الشمرى : الماضى فى الأمور المجرب . (٥) تبلج : أضاء . (٦) الغلواء : الغلو فى الشىء . (٧) العسجد : الذهب . (٨) اللجين : الفضة . (٩) القر : البرد .

* * *

وكتب إليه وقد عَرَض عليه تقليدَ عملٍ من أعمالِ العراقِ لم يُرضِـه، ويَزرِى على جماعةٍ من العمال :

قـد حصَلنا من المعـاش كما قيـ ـل قديما : لا عطرَ بعد عَروسِ (١)

ذهبَ القـومُ بالأطايبِ منـــه ودُعينـا الى الدَنيّ الخســيسِ

لا جميـلٌ بمثله يحسُن الذكـ ـرُ ولا عامرٌ خرابُ الكيسِ

واذا ما عدِمتُ فى الأمر هـذيـ ـن فسـيّانِ نهضـتى وجلوسى

عُرِضَت قبلَنـا "تَبـالةُ" "للحـ ـجّاج" فاعتافها بوجهٍ عَبـوسِ (٢)

وتولّى أمر "العـراقين" صالٍ نارَحربٍ تُزْرى بحربِ "البسوسِ" (٣)

جلسـةٌ فى الجحيم أحرَى وأولى من رحيـل يُفضِى إلى تدنيسِ

ففـرارا من المـذلّة فى "آ دَمَ" كان الفـرارُ من "إبليسِ"

أتـرانى مزاحمًا لأناسٍ قُلّدوهـا بالسـيف والدبّوسِ

بين ذى عُجـمة وآخرَ منقـو ـصٍ وذى جِنّـةٍ وذى تنميسِ (٤)

وبطينٍ وأبرصٍ وهمـا دا ءانِ غضًا من قـدرِ كلّ رئيسِ

---

(١) مثل يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس .

(٢) يشير الشاعر الى تولية الحجاج بن يوسف الثقفىّ على تبالة وهى أول عمل وليه فسار اليها، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ فقال : تسترها هذه الأكمة، فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنى أكمة ؛ أهون بها، وكر راجعا، فقيل فى ذلك : أهون من تبالة على الحجاج .

(٣) أنظر صفحة ٣ شرح ١

(٤) التنميس : التلبيس .

معشر ليس يبـــلغ الذمُّ فيهـــم ... حدَّه إن وصـــفتهم بتيـــوسِ

غايةُ العـلمِ عنـــدهم وتمـامُ الـ ... ـفضل حسنُ المركوب والملبوسِ

ما آفتخار الفتى بثـــوبٍ جديدٍ ... وهو من تحته بعِـرضٍ لبيسِ؟ (١)!

والغـــنَى ليس بالمُجَبَّنِ (٢) والتبـ ... ـر ولكن بعـــزّةٍ فى النفـوسِ

عادة للزمان يَجـــرِى عليهـا ... أن تصـير الأذنابُ فوق الرءوسِ

قد حويتُ الذى به ينجح السـعـ ... ـىُ فمن لى بحظىَ المنحـــوسِ

وإذا صحَّ لى هوى "شرف الديـ ... ـن" تولَّى النعيمُ قتـــلَ البـوسِ

قـد توثَّقْتُ يا صروفَ الليـالى ... من أياديه فآحمُقى أو كِيسِي (٣)

لىَ ما شـئتُ روضـــةٌ وغديرٌ ... ومِراحٌ من ربعـــهِ المأنوسِ

* * *

وقال يمدحُه ويهنئه بعيد الأضحى والمهرجان :

يا صِحـابى وأينَ منّىَ صَحـــبى ... صرَعتهـــم عيونُ ذاك السَّربِ

يومَ أبدَوا تلك الوجوهَ علمنـا ... أنمـا يُشهَر السـلاحُ لحَـــربِ

لحظـاتٌ أسماؤهنّ آســـتعارا ... تُ وما هنّ غـير طعنٍ وضربِ

إن أُجبْ داعىَ الهوى غيرَ راضٍ ... فالصـدَى (٤) بالنـداءِ كُرْهًا يلبِّى

---

(١) اللبيس : الخلق الممزق . (٢) المجبن : الفضة . (٣) كيسى : أى كونى كيسة ذات عقل . (٤) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت فيه بمثل صوته .

هل أرى فى السهادِ صُبحًا بعينى ... من أرى فى الرقاد ليـــلا بقلبى

أمـلٌ كاذبٌ : قِطافُ ثمـارٍ ... من غصونٍ ملتفّـــةٍ بالعصْبِ (١)

كلّمـا رنّح النسـيمُ فـروعَ الـ ... ـبان هزّت أعطـافَها بالعُجبِ

إنّ روضَ الخـدودِ ليس لرعيٍ ... ونمـــورَ الثغور ليست لشُربِ

أرِنى مِيتَـــةً تطيبُ بهـا النفـ ... ـسُ وقتـــلًا يلَذُّ غـــيرَ الحبِّ

لاتَزُلْ بى عن "العقيقِ" ففيهِ ... وطـرِى إن قضَـــيتُه أو نحبى

أجميـــلٌ ألّا أزورَ ديارا ... يوم بانوا دفنتُ فيهـا لـــبّى!

لا رعيتُ السوامَ إن قلتُ للصُّحـ ... ـبةِ : خِفّى عنه، وللعيس : هُبّى

وقفـــةٌ بالركابِ تُجمـعُ فيهـا ... فرحـــةٌ لى وراحةٌ للرِّكْبِ

فى كِناس "الأَرْطَى" (٢) (٣) شبيهةُ لعسا ... ءَ حَماهـا العفافُ مثـلَ الحُجْبِ (٤)

يُتمـارَى أهـذه من نِتـاج الـ ... ـوحش أم تلك من بناتِ العُربِ؟!

قبلما آستضحكَتْ لنا ما طمعنا ... أن نرى الدُّرَّ فى الزلال العذبِ

طلعتْ وِجهـةً وقابلهـا البـــد ... رُ فسوّت ما بين شرقٍ وغربِ

كلُّ شىء حسبتُه من تجنّيـ ... ـها سـوى عدّها الصبابةَ ذنبى

وسـدادٌ رأىُ العـذول ولكن ... ليس يُعفِى الغرامُ من قال: حَسبى!

(١) العصب : ضرب من الثياب يصبغ ثم ينسج . (٢) الكناس : بيت الظبى .

(٣) الأرطى : شجر ثمره كالعناب . (٤) اللعساء : التى فى شفتها سواد — وهو مستحسن عند العرب — .

ربّما أقلع المتيّمُ بالعذ ... ـرِ وزاد آستهامةً بالعتبِ

مثلما آزداد فى الندَى "شرفُ الـ ... ـدين" لجاجًا على الملام الصعبِ

مشرق الوجه باذل الفم بالنيـ ... ـل، وحسنُ الغديرِ زهرُ العُشبِ

كاد أن يرفع الموازينَ إعلا ... مًا لنا أنّ ماله للنهبِ

واهب الخُرّد العطابيلِ والكو (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) ... ـومِ المطافيلِ والعتاقِ القُبِّ

وبُدورِ (٧) النُّضار أعجلها الطا ... لبَ تبرا عن سبكها والضربِ

شرفٌ صغّر الذى عظّموه ... من كرامٍ أخبارُهم فى الكُتُبِ

غمَس الشكر فى سلاف أياديـ ... ـه فحيّاه باللسان الرَّطْبِ

لا سقَى الله معشرا وهو فيهم ... لم يَرَجُونَ بارقاتِ السُّحبِ!!

عرفَت فضلَه الرجالُ فألقت (٨) (٩) ... بالمقاليدِ للخُشاشِ النَّدبِ

طبعوا (١٠) بَهرَجَ المعالى ليحكو ... هُ وليس النبيُّ كالمتنبّى

من له رِحلتا "قريشٍ" الى المجـ ... ـد تؤوبان من علاءٍ بكسبِ

كيف لا يملأ الحقائبَ شكرا ... وهو فى متجَر المكارم يُربى

---

(١) خرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية . (٢) عطابيل جمع عطبول : وهى المرأة الجميلة الطويلة . (٣) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٤) مطافيل : جمع مطفل وهى ذات الطفل . (٥) العتاق : الخيل النجيبة . (٦) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٧) بدور : جمع بدرة وهى كيس توضع فيه النقود . (٨) الخشاش : الشجاع، وفى الأصل «الحشاش» وهو تصحيف . (٩) الندب : الماضى السريع الى الفضائل . (١٠) البهرج : الزائف .

شنّ غاراتِه على عازبِ (١) السـؤ ددِ ما يقـترِحْ يحـوز ويَسبى

همـمٌ لا تَرى العـلوَّ علوّا أو تُدلَّى على النجـوم الشُّهبِ

طاعنـاتٌ فروعُها فى الدَّرارِى (٢) ضـارباتٌ عروقُهـا فى التُّربِ

سابقاتٌ وفـدَ الرياح اذا يو مُ رِهانٍ أجراهما من مَهَبّ

شرفٌ دلّ حاسـدُوه عليـه ودليـلُ القِـرَى نُباحُ الكلبِ

إنّ هـذا الهمامَ قـد عطّل الرم حَ وأبدَى كَهامـةً (٣) فى العضبِ (٤)

صـقَل الرأىَ بالتجاربِ حـتى هو أنقى مَتنٍ (٥) وأذلقُ غربِ (٦) (٧)

وحمَى فى رِباعـه غابةَ الليـ ـث بتـدبيره وبيتَ الضبّ

ذو هبـاتٍ يُدنى لمحتلبِ (٨) الخيـ ـرِ لَبـونًا (٩) تدرُّ من غـير عَصبِ (١٠)

من صريح يعطيك زبدًا بلا مخـ ـضٍ ويُغنيك عن تعنّى الوَطبِ (١١)

ومتى يعـترضه محتطبُ الشـ ـرّ يجـدْ عنـده وَقـودَ الحـربِ

أسمرا كالرشاءِ (١٢) يُرسـله الرا مُ (١٣) فى كلّ طعنـةٍ (١٤) كالجُبّ

وغَموضَ الحدين من جوهرِ الـ ـموت مُوَلًّى على النفوس لغصبِ

---

(١) العازب : الشارد . (٢) الدرارى : النجوم . (٣) الكهامة : الكل ، يقال : سيف كهام أى كليل غير قاطع . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) المتن : الظهر . (٦) أذلق : أحدّ . (٧) الغرب : الحد . (٨) فى الأصل : «لمجتلب» ، وهو تصحيف . (٩) اللبون : الغزيرة اللبن . (١٠) العصب : شدّ فخذى الناقة لتدر . (١١) الوطب : إناء يحلب فيه . (١٢) الأسمر : الرمح . (١٣) الرشاء : الحبل . (١٤) الرامح : حامل الرمح .

وسَبوحا (١) قَـوداءَ (٢) تحتلب الجـر يةَ فى حافرٍ (٣) كمثلِ القعبِ

لوذعىٌّ تهيـج منـــه الأعادى قانئَ (٤) الظُّفـر من فـؤادٍ وخَلْبِ

عنـــدَه للأمور أشـفَى دواءٍ وعلاجُ الشـئون خـــيرُ الطِّبِّ

أبدا حزمُـــهُ برغـــم الليـالى غُدَّةٌ (٥) أمسكتْ لَهـاةَ الخَطْبِ

هو إما الذُّعافُ (٦) رقـــرقه الصِّـ ـلُّ (٧) لحـاويه أو هِنـاءُ (٨) النُّقْبِ (٩)

تقتضِى المشكلاتُ منـه مقالا يتولَّى حـــكَّ القلوب الجُرِبِ

حِـكَمٌ لو أصابهـا حىُّ "عَدوا (١٠) نَ" آدَعوها "لعامرِ بنِ الظَّرِبِ"

إنمـا أنت يا "محمدُ" للنـا س شبيهُ المبعوثِ من "آل كعبِ"

ذاك كان الربيـعَ إذ قَحَط الـ ـدِّ ينُ وأنت الربيعُ عامَ الجـدبِ

أطلـــعَ الله للخـــلافةِ نجمـا منك عن سعدك المخلَّد يُنبِى

دولةٌ مذ دُعيتَ فيها "عميدا" غَنِيتْ عن عَمودِهـا والطُّنُبِ (١١)

فلهـا السَّـــرحَ بالبسالةِ يحمِى ولهـا الفئَ بالأمانةِ يَحـــمِى

وإذا رايـــةٌ أُمدّتْ بإقبـا لك سارت منصـــورةً (١٢) بالرُّعبِ

---

(١) السبوح : الفـرس . (٢) القوداء : المنقـادة الذلول . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ ، و يقال : حافر مقعب أى مدوّر كالقعب . (٤) الخلب : حجاب الكبد أو هو غلاف البطن . (٥) اللهاة : لحمة معترضة فى أعلى سقف الحلق . (٦) الذعاف : السم . (٧) الصل : الثعبان . (٨) الهناء : القطران . (٩) النقب : الجرب .

(١٠) عدوان : قبيـلة من العرب منها عامر بن الظرب — بكسر الراء وسكنت هنا للضرورة — وهو من حكماء العرب المشهورين و يقال : إنه أول من قرعت له العصا . (١١) الطنب : حبل يشدّ به سرادق البيت . (١٢) كذا فى الأصل ، وفى مختارات البارودى : « صارت » .

كيفَ لم تَلبَس السِّوارَ حُلِيًّا ... فى يدٍ أُولعت بكشفِ الكربِ

قَرَّ عينا بمهرجانٍ وعيـــدٍ ... أتحفا بالحبيبِ نفسَ المحبِّ

لم يُطِقْ واحدٌ قضاءَ أيادِيـ ... ـك فوافاك مستغيثا بِتِرْبِ (١)

حَوْلُ هذا مستوفِزٌ لرحيـــلٍ ... وشتاءٍ، وطَوْلُ هـذا لقُربِ

جُمعا فى غِـــلالةٍ نسجِ "أيلو" (٢) ... لَ"، لها رقّةُ الفؤاد الصبِّ (٣)

فتلقَّ السرورَ من كلّ وادٍ ... وتملَّ النعـــيمَ من كلّ شِعْبِ (٤)

كلّما جادت الليـالى بفنٍّ ... منه صابت أيامُهنّ بضربِ

لستُ فيـه أُهدِى هديّةَ مثلى ... بل هداياىَ شكرُ عبـــدٍ لربِّ

أنا لولاك لم أحُكْ بُردةَ الشِّعـ ... ـر ولا كان لؤلئى للثّقبِ

غـــيرَ أنى إذا زجرتُ القوافى ... فيك خبَّت على طريقِ لَحَبِ (٥)

والمديحُ العتيقُ (٦) للعِـــرض واقٍ ... والمديحُ الهجينُ (٧) بعضُ الثّلبِ

قلّ نفعى بما حويتُ فيا ليـ ... ـتَ ذوى الجهلِ يستبيحونَ سَلْبِى

أنظُر المنهـــلَ المصفَّقَ مَورو ... دًا فأطويهِ (٨) جازئا بالرَّطْبِ (٩)

لِمَ يستنزلُ الزمانُ جدودى ... وهى من عزِّك المنيع بهَضْبِ (١٠)

---

(١) التِّرب : من يولد معك فى سنك . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .
(٣) أيلول : اسم شهر من شهور السنة الرومية . (٤) الشعب : الطريق فى الجبل . (٥) اللحب : الواسع الواضح . (٦) العتيق : الكريم . (٧) الهجين : غير الأصيل .
(٨) جازئا : مكتفيا . (٩) الرطب : العشب الأخضر . (١٠) الهضب : الجبل .

أتُرانى مثلَ الكواكب، أبطا ... هُنَّ سيرا مادار حولَ القُطبِ!

إنها عَقْبةٌ لضيقٍ تجلَّى ... ثم تُفضِى الى مجالٍ رَحبِ

* * *

وقال يمدحه :

ما فاز بالحمدِ ولا نالَهْ ... من عشقتْ راحتُه مالَهْ

لا والذى يرضَى لمعروفِه ... أن يفتح السائلُ أقفالَهْ

تِرْبُ المعالى من له فى النَّدَى ... بادرةٌ تُخرِسُ سُؤَّالَهْ

بفاجئ الراجى بأوطارِه ... كأنّه وسوَس آمالَهْ

مُنْيتُهُ للطارق المجتدى ... أن يدرُجَ الأرضَ فتُطوَى لَهْ

مثل "عميدِ الدولةِ" المرتقِى ... بحيثُ أرسَى المجدُ أجبالَهْ

ذو الرأى قد شدَّ حيازيمَهُ (١) ... يصارع الدهرَ وأهوالَهْ

اذا عَرا خطبٌ تصدَّى له ... يوقدُ فى جِنحيْه أجذالَهْ (٢)

مُصيبُ سهم الظنِّ لا ينطوى ... غيبُ غدٍ عنه اذا خالَهْ

كأنَّ فى جنبيه ماويَّةً (٣) ... تريه مما غاب أشكالَهْ

بازلُ عامين ارتضَى وخدَه (٤) ... فى طَرْقه العزَّ وإقبالَهْ (٥)

---

(١) حيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر، أو ما يشد عليه الحزام . (٢) أجذال : جمع جذل وهو أصل الشجرة وغيرها . (٣) الماوية : المرآة . (٤) البازل : الجمل المسن . (٥) كذا بالأصل ، ويحتمل أن تكون « وإرقاله » معطوفة على قوله : وخده ، والوخد والإرقال : ضربان من السير السريع .

لا يشهـدُ المغـنمَ إلا لكى (١) يقسِمَ فى الغازين أنفالَهْ

إذا زعيمُ الجيش حامَى على (٢) مِرباعه أنهبَ أمـوالَهْ

فعادةُ الجـود وإسرافُه قد كثَّرا بالشكر إقـلالَهْ

سامٍ اذا تِهتَ عليه وإن (٣) وادعتَـه طاطا شِمـلالَهْ

كأنما أقسمَ حبُّ العـلا عليـه : أن يُتعِب عُـذّالَهْ

فلا ينُـوا عنـه عتـابا ولا (٤) أقوالهُـم تزجُـر أفعـالَهْ

كم قد عرَتْه من يدٍ أتلفتْ درهمَـه فيـه ومثقـالَهْ

خرَّفَ حتى حقـروا عنـده (٥) مَنْ وزَن المالَ ومَن كالَهْ

مشتبهُ الأطرافِ ، أعمـامُهُ (٦) يظنُّها القـائفُ أخـوالَهْ

إن جذَب الفخرُ بأبرادِهـم (٧) فكلُّهـم يسحبُ سِربالَهْ

فى كلِّ جمعٍ صالحٍ هـاتفٌ ما يأتـلِى يضربُ أمثالَهْ

أما ترى الرقشاءَ فى كفِّه (٨) كأنها (٩) سمـراءُ (١٠) ذبَّالَهْ!

اذا تثنَّتْ فـوق قِرطاسِها رأيتَها بالفضـلِ مختـالَهْ

---

(١) الأنفال : الغنائم . (٢) المرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

(٣) الشملال : الناقة السريعة الخفيفة ، والمعنى أنه يثنيها كناية عن تواضعه لمن يوادعه . (٤) ينوا : يفتروا . (٥) كذا بالأصل ولعلها « خرق » بمعنى توسع فى العطاء . (٦) القائف : الذى يعرف النسب بفراسته . (٧) أبراد : جمع برد وهو الثوب . (٨) الرقشاء : الحية — والمراد بها القلم على التشبيه — . (٩) يريد بالسمراء قناة الرمح . (١٠) ذبالة : دقيقة .

فتـارةً تشـفى بدرياقِهـا وتارةً بالسُّـمِّ قتّـالَهْ

ينفُثُ فى أطرافِهـا رُقيـةً تعـالجُ الـسِّعىَّ وأغـلالَهْ

قد صيَّرت "سحبانَ" فى "وائلٍ" (١) كأنّـه عَجـماءُ صلصالَهْ

لا رجعتْ نُعماه حَسرَى كما راجعَ هـذا القلبُ بلبالَهْ

عاودَه من دائه نَكسُهُ من بعد أن شارف إبلالَهْ

ولو صحا طـورا لعنَّفتُـه فى حبّـه بيضاءَ مِكسالَهْ،

أو رشأً قـد لثَّمـوا وجهَـه بخـاء مثلَ البـدر فى الهـالَهْ

أبعْـدَ ما عمَّم كافورُهُ رأسى وأعفَى الرأسُ صقّالَهْ؟،

أجيبُ طيفا زار، عن زورةٍ وأسأل الربـعَ وأطـلالَهْ

ويطرُدُ التحصيلَ من خاطرى صهباءُ أو صـفراءُ سلسالَهْ

وليس خِدْنى بالهِـدانِ (٢) الذى هجوعُـه يألفُ آصالَهْ

لا يترجَّى الضيفُ إمراعَـهُ ولا يخـاف الجـارُ إمحالَهْ

لكنّه الأشعثُ (٣) فى سربِهِ يحـدو إلى العلياء أجمالَهْ (٤)

يبيت ضبُّ القاع من خوفِهِ مستثفرا (٥) دهماءَ شـوّالَهْ

---

(١) العجماء : البهيمة ، والصلصالة : المصوتة .

(٢) الهدان : الوخم الثقيل .

(٣) الأشعث : المغبر شعر الرأس .

(٤) أجمال : جمع جمل وهو معروف .

(٥) مستثفرا : أى واضعا تحت ذنبه ، والدهماء الشوالة : العقرب ، لأنها تشول بذنبها أى ترفعه . وتزعم العرب أن الضب يستثفر العقرب فاذا أدخل الحارش يده فى جحره لصيده لسعته .

أشهَى له من قَينـــةٍ مطربٍ (١) عناقُـــهُ جرداءَ (٢) صَـــهَّالَهْ
قـــد عاشر الوحشَ بأخلاقه وباين الحيَّ وجُهَّـالَهْ
كلٌّ له فى ســـعيهِ مَذهبٌ وكلُّ عيشٍ فـــله آلَهْ
وهذه الأيامُ إن حُقِّقت شرّابَـــةٌ للخـــلقِ أكّالَهْ

* * *

وقال فيه ولم يتمها :

أكرِمْ بوجه الراكبِ المُعنِقِ (٣) يخـــبرُنا : أنّا غدًا نلتـــقِ
حجـابُ قلبى فُـزْ بهِ خلعـــةً فتحفـــةُ البشرَى على الشـــيِّقِ
تُراهُمُ زمُّوا بحمـــلِ الصَّـــدَى رسالةَ العـــانى الى المطـــلَقِ؟
وٱستفهموا الطيف وقالوا له : تعـــلَمَ (٤) من عشَّاقِنا مَـــن بقِ؟
أنا الذى ضمَّتْ غداةَ "النقا" حبـــائلُ الأسرِ ولم أُعتـــقِ
وكلَّما أثبتَ راميهـــمُ أسهمَـــه قلتُ له : فَـــوِّقِ (٥)
ما أحذقَ الطاهى الذى عندكم أنضـــجَ بالنـــار ولم يُحـــرِقِ
ليس الحَمَى إلا بُســـكَّانِه والشـــمسُ منها بهجةُ المَشرِقِ

---

(١) القينة : المغنية . (٢) الجرداء : الفرس قصيرة الشعر . (٣) المعنق : الذى يسير العنق وهو ضرب من السير السريع .
(٤) يريد : أتعلم فحذف حرف الاستفهام .
(٥) فوق السهم : سدّده .

علىّ عَقْرُ البُدْن[1] إن أصبحت خيامُهم وهى رُبَى "الأبرقِ"
مثـــل الأداحىّ[2] وبيضاتُها تُحضنُ[3] بالأبيضِ والأزرقِ
يا ماتحَ الماءِ[4] عدِمتَ الرَّوَى من جَفْرِ[5] هذا القَلبِ كم تستقِى!!
من شيمة الماءِ انحدارٌ فلِمْ ماءُ فـؤادى أبدا يرتـقِ
تحسبُ فى أجفانىَ السُّحبَ أو جودَ "عميدِ الدولة" المغـدقِ

وقال فيه أيضا :

لستُ أقضِى إذا رأيتُـك نَذرا غيرَ نثرى عليـك حمـدا وشكرا
وثناءٌ إذا تلقَّطـه السمـ ـعُ تحـلَّى فى موضع القُـرط[6] دُرّا
مالىءٌ قلبَ من يواليـك إطـرا با وأُذنَ الذى يعـاديك وَقْـرا[7]
ليس لى من فضيلةٍ فيـه إلا أننى أُلبِس القـلائدَ نحـرا
أتلـقَّ بحسن أخلاقـك الغُـ ـرِّ شـبيهاتهنّ وجهًا أغرّا
فكأنى إذا تمضمضَ بالمـد ـح لسانى أديرُ فى الفمِ خمـرا
كلُّ هـذا جَهـدُ المقلِّ وما قـ ـصَّر من يبتنى لمجـدك ذِكرا

(١) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدّم للنحر . (٢) أداحى : جمع أدحى وهو مجثم النعامة تبيض فيه . (٣) الأبيض والأزرق : يراد بهما ريش جناحى النعامة . (٤) الماتح : مستخرج الماء من البئر . (٥) الجفر : البئر الواسعة . (٦) القرط : الحلق . (٧) الوقر : الصمم .

لا يزور الرقادُ عينا إذا سِـــر ... تَ ولا يسكن الفؤادُ الصـــدرا

كيف لا تقشعِرُّ أرضٌ إذا أعـ ... ـرضتَ عنها وآستأنستْ بك أخرى

تستطيل الأوقاتَ حتى ترى السا ... عةَ حَوْلا وتحسَب اليـــومَ شهرا

لو أطاقت سعيا إذا زُلتَ عنها ... لغدت فى أوائل الركب حسرى (١)

أنت روحٌ لها ولا يعـمُر الجسـ ... ـمانُ إلا ما دام للروح وَكرا

إنما تعـــدَم البِـــلادُ متى غبـ ... ـتَ ضياءَ الآفاق شمسًا وبدرا

وسحابا للجـود يرعُـــد وعـــدا ... ثم يَندَى كفًّا ويَبرُقُ بِشرا (٢)

فاذا ما أقمتَ أصـــبحنَ خُضرا ... واذا ما ظعنتَ أمسين غُبْرا

نغفِرُ الصـــدَّ للحبيب ولا نقـ ... ـبلُ منـــه عـــلى التباعُد عُذرا

يتمنَّى المحبُّ قـــربا ووصـــلا ... فاذا فاتَه فقـــربا وهجـــرا

لا ترُعنا بغُـــربةٍ بعـــدُ ؛ إنّا ... ليس نُعطَى على التفرّق صـــبرا (٣)

إن ســـقانا إيابُك اليـــومَ حُلوا ... فبما أسقت النـــوى أمسِ مُرّا

غـــيرَ أنّا إذا الســـلامةُ حاطتـ ... ـك وسِعنا الزمانَ عفـــوا وغَفرا

---

(١) حسرى : معيية .

(٢) فى الأصـل : « نشرا » .

(٣) فى الأصل « لا شرعنا بعزمة » والسياق بها غير ملتئم .

وقال يمدحُهُ، ويهنئه بعَوده من خراسان، وهى آخرُ شعرٍ قاله رحمه اللهُ :

ما ذا يَعيبُ رجالُ الحىِّ فى النادى ... سوى جنونى على أُدمانةِ(١) الوادى؟!

نَعَمْ هى الزادُ مشغوفٌ بهِ سَغِبٌ(٢) ... والماءُ حامت عليه غُلَّة الصادى

يا صاحبى أنتَ يومَ الرَّوع تُنجدنى ... فكيف يوم النوى حرَّمتَ إنجادى

وما سلكتُ لِفاج الحبِّ معتزما ... حتى ضمِنتُ ولو بالنفس إسعادى

من أين تعلَمُ أنّ البينَ وخزتُه ... فى القلبِ أسلمُ منها ضربةُ الهادى(٣)!

لادَرَّ دَرُّك إن ورَّيتَ عن خبرى ... إذا وصلتَ وإن أشمتَّ حُسّادى

قُلْ للمقيمين "بالبطحاءِ" إنَّ لكم ... "بالرقمتين" أسيرا ماله فادى

بين العواذل تطويه وتنشُره ... مثلَ المريضِ طريحا بين عُوَّادِ

ليتَ الملامةَ سدَّت كلَّ سامعةٍ ... فلم تجد مسلَكا أُرجوزةُ الحادى

أكلِّف القلبَ أن يهوَى وألزمه ... صبرا، وذلك جمعٌ بين أضدادِ

وأكتُم الركبَ أسرارى وأسألهم ... حاجاتِ نفسى، لقد أتعبتُ رُوّادى

هل مدلجٌ(٤) عنده من مُبكرٍ خبرٌ ... وكيف يعلم حالَ الرائح الغادى؟

وإن رويتُ أحاديثَ الذين نأَوا ... فعَنْ نسيم الصَّبا والبرقِ إسنادى

---

(١) الأدمانة : الظبية التى أشرب لونها بياضا . (٢) السغب : الجائع .

(٣) الهادى : العنق . (٤) المدلج : السائر بالليل ، والمبكر السائر فى بكرة النهار .

قالوا: تعوّض بغزلان "النقا" بدلا ... أمقنعى شِبْهُ أجيادٍ لأجياد؟

إن الظباءَ التى هام الفؤادُ بها ... يَرعَينَ ما بين أحشاءٍ وأكبادِ

سَكَنَّ من أنفس العُشّاق فى حَرَمٍ ... فليس يطمع فيها حبلُ صيّادِ

هيهات لا ذقتُ حُلوا من كلامكمُ ... قد بان غدركُمُ فى وجه ميعادى

ولا جعلتُ اللّمى وِرْدى وقد ضمنتْ ... غمامةُ الجود إصدارى و إيرادى

فى "شرف الدين" عن معروفكم عِوَضٌ ... كرامةُ الجارِ والإيثارُ بالزادِ

للطارقِ الحكمُ فى أعناقِ هَجمتِه (١) ... ولو تقرّاه (٢) ذئبُ الرَّدهةِ (٣) العادى

نادتْ: هلمَّ الى الشّيزَى (٤) مكارمُهُ ... فُنُبَن فى الليلِ عن نارٍ ووقّادِ

يَشفين من قَرِمِ (٥) الضّيفانِ عند فتًى ... لا يزجُرُ السيفَ عن عُرقوبِ (٦) مِقحادِ

مباحُ أفنيةِ المعروفِ ليس له ... بابٌ (٧) يعالجه العافى بمِقلادِ

فلا وكاء (٨) على عينٍ ولا ورقٍ (٩) ... ولا رِعاء (١٠) لأزرابٍ (١١) وأذوادِ (١٢)

أجدَى فلم يرَ ذُخرا فى خزائنه ... إلا قناطيرَ من شكرٍ وإحمادِ

فى كلّ يومٍ يُرينا من مواهبه ... بِرًّا غريبا وفضلا غيرَ مُعتادِ

---

(١) الهجمة: من الإبل ما بين الأربعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى "هنيدة".
(٢) تقراه: طلب قراه. (٣) الردهة: القرة فى الصخرة. (٤) الشيزى: القصعة. (٥) القرم: شدّة النهم الى أكل اللحم. (٦) المقحاد: الناقة العظيمة السنام. (٧) المقلاد: المفتاح. (٨) الوكاء: حبل تربط به القربة.
(٩) العين والورق: الذهب والفضة. (١٠) رعاء: جمع راع. (١١) أزراب: جمع زرب وهو موضع الماشية. (١٢) أذواد: جمع ذود وهى الإبل.

شريعةٌ فى النّدى ضلوا فدلّهُمُ ... على مناهجها خِرّيتُها(١) الهادى

قاضى اللُّبانةِ لم يفطن لها أملٌ ... كأنّه لهوى العافى بمرصادِ

له قِبابٌ بطيب الذكرِ شيّدها ... فما دُعِمنَ بأطنابٍ وأوتادِ

يا بحرُ إن شئتَ أن تحكى مواهبَهُ ... فدع مُخوفَيْكَ من هَيْج وإزبادِ

قد ساجمَ(٢) العارضَ(٣) الهامى وزايدَه ... حتى استغاث بإبراق وإرعادِ

لله أىّ زلالٍ فى مزادتِهِ(٤) ... والظّمءُ يَخلِطُ فُرّاطا(٥) بُوُرّادِ

أُنظر اليه ترى من شأنِهِ عجبا ... زِىَّ الملوك على أخلاقِ زُهّادِ

إن قال قومٌ : له مِثلٌ، يقلْ لهُمُ ... من ماثلوه به : جئتم بإلحادِ

لا تكذُبنَّ فهذا الشخصُ من نفرٍ ... لم يخلُقِ اللهُ منهم غيرَ آحادِ

شرائطُ المجد كلٌّ فيه قد جُمعتْ ... جمعَ حروفِ النهجّى فى "أبى جادِ"

أرِحْ بنانَك من حُسبانِ سؤدده ... إن الكواكبَ لا تُحصَى بأعدادِ

وهل يفوت المعالى من أحاط بها ... بنفسه وبآباءٍ وأجدادِ؟

اذا الفخارُ رمَى الفُتيَا الى حَكَمٍ ... وافَى ينافر أمجادا بأمجادِ

على المهابةِ قد زُرّت بَنائقُه(٦) ... كأنّه لابسٌ لِبداتِ آسادِ

---

(١) الخريت : الدليل . (٢) ساجمه : عارضه فى انسجامه . (٣) العارض : السحاب المعترض . (٤) المزادة : وعاء يحمل فيه الماء . (٥) فراط : جمع فارط وهو الذى يتقدم القوم الى الورد لإصلاح الحوض . (٦) البنيقة : زيق القميص الذى يفتح على النحر .

لذاك صُـــعِّر خـــدٌّ غيرُ منعفرٍ ... له وخرَّ جبينٌ غـــيرُ سجّادِ

تطأطأ المجـــدُ حتى صار فارسَـــه ... ثم (١) آشمخرّ فـــلم يلطأ لصـــعّادِ

فكيف لا ترهبُ الأعداء نقمتَه ... و بطشُها كصنيع الريح فى "عادِ"

صوارمٌ من صواب الرأى يطبعها ... وصانعُ المكرِ يكسوها بأغمـادِ

اذا آنتُضينَ وما يَظهرنَ من لَطَفٍ ... فرّقن ما بين أرواح وأجسادِ

وللكايد ســـيفٌ غـــيرُ منثلمٍ ... وللخـــدائع (٢) رمحٌ غـــيرُ منآدِ

فى أيِّما جانبٍ من حزمِه نظـروا ... لم يجـــدوا مطلعا فيـــه لأفنـادِ (٣)

تخافُ عزمتَه الإبلُ التى خُلقتْ ... أخفافُهنَّ (٤) لتهجـــيرٍ وإسآدِ

وتتقيـــه العِتـاق القُبُّ (٥) سـائمةً ... تطويحَها بين أتهـامٍ وأنجادِ

أليس ناظمها عِقـــدا له طَرَفٌ ... "بالرىّ" والطرفُ الأقصى "ببغدادِ"

مكلّفات بسـاطَ الدوّ (٦) تمسحه ... بأســـؤقٍ و بأعنـاقٍ وأعضـادِ

كأنَّ آثارَ ماداست حوافرُها ... دراهمٌ (٧) بددٌ فى كفِّ نقّـادِ

طورا تَسـامَى على يافوخِ شاهقةٍ (٨) ... بها السمواتُ ظُنَّتْ ذاتَ أعمادِ

---

(١) يلطأ : يلصق بالأرض . (٢) المنآد : المثنى . (٣) أفناد : جمع فنـد وهو الكذب . (٤) التهجير : السـير فى وقت الهجيرة ، والإسآد : السـير بالليـل . (٥) القب : الخيل الضامرة البطون ، واحدها أقب وقباء . (٦) الدوّ : المفـازة . (٧) بدد : متفرقة . (٨) اليافوخ : الموضـع الذى يتحرك من الطفل فى أعلى الرأس .

وتارةً ترتمى فى صفصفٍ (١) قُـذُفٍ (٢) ... للآلِ (٣) يُكذَب فيـــه كلُّ مُرتادِ

حتّى شَـتَيْنَ "بنيسابورَ" باليـــةً ... إلا عِظـاما مُواراةً بأجـــلادِ

فى شَـتوةٍ شَمِطَ الليـلُ البهيمُ بها ... تُضاحِك الريحَ ماهبَّتْ بصَـــرَّادِ (٤)

كأنَّ فى أرضها أنْسَـاجَ قِبْطِيَـــةٍ (٥) ... أو السماءَ آســتعارت بَرْسَ نَجَّادِ (٦)

يا من يشاوِرُ فى قُرب وفى بُعُـدٍ ... ومن يُعَـــدُّ لإصلاحٍ وإفسـادِ،

إن الامامَ مذ آسترعاك دولتَـهُ ... غَنِى برأيك عن تجهيزِ أجنـادِ

إن مرِضَتْ ليـلةً عُمىٌ كواكبُها ... قـدحتَ فيها بزَنْدٍ غيرِ صَـلَّادِ (٧)

فهذه الأرضُ قد عَجَّت بدعوتِه، ... فى كلِّ قُطرٍ خطيبٌ فوق أعوادِ

عـونٌ من الله لم يَشهد وقيعتَـه ... إلا كتائبُ توفيـقٍ وإرشادِ

وحسنُ تدبـيرك المُردِى أعاديَهُ ... مقـرَّنين (٨) بأغـلالٍ وأصـفادِ

فأىُّ فـظٍّ عليهـا غيرُ منعطفٍ ... وأى صعبٍ حرونٍ غيرُ منقادِ

وفى "خراسانَ" قد شِيدتْ مآثره ... أرَّخَهـا صيتُها تاريخَ ميـلادِ

بين الخليفـةِ والمَلْكِ المطيعِ له ... أبـرمتَ وصـلةَ أولادٍ لأولادِ

---

(١) الصفصف : المطمئن من الأرض . (٢) قذف : بعيد يتقاذف بمن يسلكه .

(٣) الآل : السراب ، وفى الأصـل « الأهل » وهو تحريف ؛ و يكذب : يسوء سيره .

(٤) الصراد : الريح الباردة . (٥) القبطية : ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس . (٦) البرس : القطن . (٧) الصلاد : — من الزناد — غير الموري . (٨) مقرنين : مشدودين بالقرن وهو الحبل .

شمسٌ وبدرٌ لويتَ العَقـدَ بينهما ... لولا الشريعـةُ لم يـوثَق بإشهادِ

فليس كالصِّهر فى سهلٍ ولا جبل ... وليس كالحمـو فى حَضْرٍ ولا بادِ

فياله شـــرفا أحرزتَ غايتَـــه ... فلم تدع فضـــلةً فيـــه لمرتادِ

وما بلوغُـــك فى العليـاء آخرها ... بمـانعٍ كَرَّةَ المســـتأنِف البادى

تسومنى أن أُنـير(١) القولَ فيك وما ... يُغنى المرقَّشُ(٢) من تفـويف أبرادِ(٣)

بل كلُّ مدحِك أمرٌ ليس من حِيلى ... وكنْهُ وصفك ثِقلٌ ليس فى آدى(٤)

إنَّ القوافى و إن جاشت غواربُها(٥) ... لا يُستطاع بها تحـويلُ أطوادِ

فإن رضيتَ بميسـورى فهاءِ حُلًى ... مَصُوغة بين أفكارى و إنشادى

فلن تعوزَ يدَ الغوَّاص من صدفى ... فـريدةٌ وُسِّطتْ فى سِلك عقَّادِ

أُعابُ بالشـعر لا أبغى به عِوضا ... ولا يُعـاب أناسٌ غيرُ أجـــوادِ

لكنّنى فى أناسٍ إن سألتُهُـمُ ... لم يعرفوا الفرق بين الظاء والضادِ

ما دمتَ سمعا وعينا فى الزمان لنا ... فكلُّ أيامِـــه أيامُ أعيـاد

* * *

وقال يمدحُ زعيمَ الرؤساء أخاه وهو يتولَّى الديوان :

صـبَّحها الدمـعُ ومسَّاها الأرقْ ... هل بين هـذين بقاءٌ للحَـدَقْ؟!

لا متعـةً بالظـبى عَنَّ غاديا ... ولا خِداعا بالخيـال إن طَـرَقْ

---

(١) أنير : أجعل له نيرا وهو هدب الثوب ولحمته ، فاذا نسج من نيرين كان أصفق . (٢) المرقش : المزخرف . (٣) التفويف : تخطيط الثوب . (٤) الآد : القوة . (٥) الغارب : معظم الماء .

إن ضحِك البرقُ من "الحَزْنِ" رنا ... أو فاحت الريحُ من "الغَور" نشِقْ

كم ذا على التعليـــل تحيا مهجةٌ ... بمُـــديتَيْ بينٍ وهجـــرٍ تُعـــتَرَقْ (١)

ليت الذى عَذّبَ إذ لم يُعفِـــه ... من مسّـــه بالضُّـــرِّ وانَى ورَفَقْ

ميّـالةَ الأعطافِ، ما فاتكِ من ... غصونِ بانات "الحمى" إلا الورَقْ

لو ثبتَ السهمُ الذى أرســـلتِه ... فى القلبِ وافقتُكِ لكن قد مرَقْ

جمعتم الســـرَّاءَ والضـــرّاءَ لى ... فأنتمُ كالمـاءِ رِىٌّ وشَـــرَقْ

كان ٱتفاقا ولَعى بســـربكم ... وشـــرُّ أحداثِ الليـالى ما ٱتفقْ

لم أدرِ أنّ من حُداة ظُعْنِكم (٢) ... أو سـائقيهنّ غـــرابا قـــد نغقْ

هبْ أنّ طَرفى أسرَته بينـكم ... حبـائلٌ، فٱنظر عُيَيْناتِ الخَرِقْ (٣)

وخُذْ لمن عَنَيْتُ منّى سِمـــةً ... لألأةَ البـــدر إذا البدرُ ٱتســـقْ (٤)

ولا تَعَـــرَّضْ لعـــلاجى إنمـا ... يَشفِى من الحبِّ الذى يَشفِى الوَلَقْ (٥)

علَّ الغـــرامَ نازلٌ عن صهـوتى ... إن لِمّتى الدهمـاءُ شِـيبت بالبَلَقْ (٦) (٧) (٨)

يصنَعُ لونُ الشَّـيبِ بالشباب ما ... يصنع بالجـــلدةِ توليعُ البَهَـــقْ (٩) (١٠)

---

(١) تعترق : يؤخذ ما عليها من اللحم نهشا . (٢) ظعن : جمع ظعينة وهى الإبل التى يحمل عليها . (٣) الخرق : ولد الظبية . (٤) اتسق : انتظم واستوى . (٥) الولق : الجنون . (٦) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٧) الدهماء : السوداء . (٨) البلق : سواد وبياض . (٩) التوليع : البرص . (١٠) البهق : بياض يظهر على بشرة الجسد .

قلتُ : ظـلامٌ طلعتْ أنجُـمُـهُ (١) فما آعتذارى إن بدا ضوءُ الفَلَقْ

أليس بَردُ اليأسِ لو وَسـعتُه (٢) أطفأَ من تسـويف آمالى حُرَقْ

مهلا فما دون الأمانى هَضبـةٌ تزداد بالحِرص آرتفـاعا وزَلَقْ

لو جُلتَ حولَ الفـلَك الدّوار لم (٣) يزددْ نقـيرا فوق ما اللهُ رزَقْ

عش بطفيف القوتِ سَدّ جَوعةً (٤) والقطرةِ الكدراء والثـوبِ المِزَقْ

وساوِ ربَّ التـاج فى سـلطانِه من يُعتِـق الأطماعَ منهنّ عَتَـقْ

وعاشر النـاسَ بلا تصـنُّع لا جفوة الهَجرِ ولا زُور المَـلَقْ

وآدعُ "زعيمَ الرؤساء"، يستجبْ أروعُ نهّـاضٌ بما جلَّ ودقّْ

لا تطمع الأنفـالُ أن (٥) تؤودَه (٦) والدرُّ فى اللُّجـة لا يخشَى الغـرَقْ

أضحت صروفُ الدهر فى سطوتِه (٧) ملزوزةً (٨) لـزَّ البِطان (٩) بالحِـلَقْ

معتـدل الشيمة حتى إنّـه (١٠) سِيرتُها بين الرسـيم والعَنَـقْ

لا شَـيبة الحـلم كسته وَنيـةً (١١) ولا شبابُ السنّ أعطاه التَّرَقْ

---

(١) الفلق : الصباح — والمراد من كل ما تقدّم وصف آشتعال الرأس بالشيب .

(٢) وسعته : أطاقته . (٣) النقير : النكتة فى ظهر النواة . (٤) المزق : جمع مزقة وهى القطعة من الثوب ، و يقال : ثوب مزق باعتبار أجزاءٍ . (٥) كذا فى الأصل ، و يحتمل أن تكون " الأثقال " ؛ والأنفال : جمع نفل وهو ما يفعل مما لا يجب فعله من العطاء .

(٦) تؤوده : تثقله . (٧) ملزوزة : ملاصقة . (٨) البطان : حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة . (٩) حلق : جمع حلقة وهى كل ما استدار . (١٠) الرسيم والعنق : ضربان من السير . (١١) الونية : الفتور والضعف .

قُضِى لـــه بالســـبق فى وِلاده ... والمهرُ بالعِـتق يُرى فيـه السبَقْ

رقّى المعـالى رتبـــةً فرتبـــةً ... كالعِقـد يعلو نظمه على نســـقْ

يبسم بِشـــرا مازجتْه هيبـــةٌ ... تطلُّعَ النَّصلِ (١) من الغِمد الخَـــلَقْ

لم تُمطر السحبُ ولكن خجِلتْ ... من جوده حتى نضحن بالعَـــرَقْ

وأينَ منها راحـــةٌ مَصيفُها ... مثـلُ الشتاء يهمُر الماءَ الغـدِقْ

كالخمـر للشارب كيف شاءها ... تصـــرَّفت مصطَبَحا ومغتبَـق

ما زال يُفنى الحمـــدَ بآبتياعه ... حتى غلا فى كلّ ســـوقٍ ونفَقْ

وكلّما أســـرف فى صِفاته ... مادحُه ، قالت معاليه : صـدَقْ

شـــمائلٌ وبهجـــةٌ مموقـــةٌ (٢) ... والحسنُ بالأخلاقِ ثم بالخِـــلَقْ

نصرا " أبا القاسم " قد تبرَّجَتْ ... أمُّ اللُّهيْم (٣) حـاملا بنتَ طَبَـــقْ (٤)

فى مثلها رأيُك أذكَى زَنَدُه (٥) ... أو تجلى عنها دُجُنّات (٦) الغَسَـــقْ

ســـهلٌ على رأيك وهو ســاحرٌ ... تقويمُ ما آعوجّ ورتقُ ما آنفتقْ

قد أمكنتك فآنتهزها فرصـــةً ... بالشكر، والشكرُ لذيذُ المعتنَقْ

" بنى جَـــهيرٍ " أنتمُ دِرعى ، إذا ... رمَى الزمانُ بدواهيـه رشَـقْ

رميتُ من دون الأنام مِقودى ... إليكمُ طوعا وقطَّعتُ العُـلَقْ

(١) النصل : حد السيف . (٢) مموقة : محبوبة . (٣) أم اللهيم : الداهية .
(٤) بنت طبق : الداهية أيضا — والمعنى أن الداهية تستتبع الداهية . (٥) أذكى : أثار .
(٦) دجنات الغسق : ظلمات الليل .

فلا أكون بينكم "عُطاردا" لقربه من كُرة "الشمس" آحترقْ
لا رعَت الأحداثُ فى حِماكُمُ ولا رأت نجومُها ذاك الأُفُقْ
إن حزتم العليـاء عن آخرها بسعيكم فهو دُونَ المستحقّ

وقال يمدحُه أيضا، ويهنئه بالنيروز :

وعيشكم لا وردَ الحُـوَّمُ مناهلا غُدرانُها تبسِـمُ
ولا رعت هُمَّـلُ[1] أبصارِهم فى روضـةٍ نُوارُها أسـهمُ
رويدكم إن الهوى مَعرَكٌ يُعـدَم فيـه الأجرُ والمغنمُ
وإنما تأويلُنا أنّـه يحِـلُّ للمضـطر ما يحـرُمُ
إنّ أبيّاتِ النفوس، التى أحلَى مناها الحادثُ الأعظمُ
نخوضُها فى غَمـراتِ الهـوى لأنّـه ينـدُرُ فيها الدَّمُ
من ذا الذى أفتَى عيونَ المها بأنّ ما تُتلِف لا يُغـرَمُ!
ساروا بقلبى دون جسمى فما تنفعنى الجـلدةُ والأعظُـمُ
وآستعذبوا ظلمى فمن أجلهم أسـتغفر اللهَ لمن يظـلِمُ
ما ضرّهم لو سـفَروا ريثما يَقْبَـل عُذرى فيهـم اللـوَمُ
قال لىَ الأحـورُ من بينهـم وما بـه الأجـرُ ولا المـأثمُ: ،

(١) الهمل : جمع هامل وهو المتروك فى المرعى ليلا ونهارا .

داؤك هذا مَن جناه ومَن ... يُـبرئه؟ قلتُ : الذى تعـلَمُ!

كم فى خيام البَـدوِ من ظبيةٍ ... سِـوارها يُشـبعه المِعصمُ

حاذرت العَينَ فما إن تُرَى ... وخافت السـمعَ فما تَبغِمُ (١)

لو فاخرتْ فى الليل بدرَ الدجى ... لكان بالفضل لها يُحكَمُ

لأنها قـد فتنَتْ قومَها ... والبـدرُ لم تُفتَن به الأنجمُ

ما أصعبَ الإذنَ على منزلٍ ... بوّابُه الخَطّـىّ (٢) واللّهْـذَمُ (٣)

لا بِرِح الوسمىّ (٤) عن أرضهم ... ولا نأَى عن جوّها المِـرزَمُ، (٥)

أو أُبصرَ الكُثبانَ (٦) قد ظُلِّلَتْ (٧) ... رَقْـمًا (٨) كما يصـطنع المُحـرِمُ

وبلّـغ اللهُ المـنَى فتيـةً ... نديمُهم فى الصـبح لا ينـدمُ

عاطيتهـم صهباءَ (٩) داريّةً (١٠) ... قالوا : وأين الصابُ والعلقمُ

عزُّوا فلو تفقِـد أذوادُهم (١١) ... حاميَهـا خفَّرها (١٢) المِيسـمُ (١٣)

---

(١) بغمت الظبية : صاتت . (٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح لأنه مبيعها لا منبتها ، يقال رماح خطية على الوصـف ، و رماح الخط على الإضافة — . (٣) اللهذم : القاطع من السيوف . (٤) الوسمى : أول المطر .

(٥) المرزم : كوكب من أنواء المطر . (٦) كثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل .

(٧) فى الأصل « ظلت » وهو تحريف . (٨) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز .

(٩) الصهباء : الخمر . (١٠) الدارية : منسوبة الى دارين وهى فرضه بالبحرين يحمل اليها المسك من الهند . (١١) الأذاود : الإبل . (١٢) خفرها : آمنها وحماها . (١٣) الميسم : العلامة يعلم بها الحيوان .

وهى على عزّتها بينهـــم ... يُبغَثُ(١) فيها الفـــذُّ(٢) والتوأمُ

ما تبرح الأكوارُ(٣) معمورةً ... بهم ونيرانُ الوغى تُضرَمُ

سـقيًا لهم لو أنّ أُمّاتِهـم ... لا تُطعَم الثُّكلَ ولا تُعقَمُ

تودُّ ذاتُ الحمـــل لو أنها ... يـــوما بأمثالهم تُتـــئِمُ(٤)

فلست أدرى أنجبوا شيمـــةً ... أم شِنشِنٌ(٥) ورّثهم "أخزمُ"؟!

بل من "زعيم الرؤساء" آقتنوا ... مكارمَ الأخلاق لا منهـــمُ

إن تُسئل العلياءُ عن نفسهـا ... تقلْ : "أبو القاسم" بى أعلمُ!!

قـد أنزلتْ فيه العلا سُـورةً ... دقّت معانيهـا فما تُفهـــمُ

كأنّما فى صـــدر ديـــوانه ... "داودُ" فى محرابه يحكُمُ

بلاغةٌ من حسن إيضاحهـا ... لا تُشكل الخطَّ ولا تُعجِمُ

والفصـلُ أن يُنشَرَ قرطاسُـه ... وتَنبَـــهَ المُـــرّيّةُ(٦) النُّـــوَّمُ

إذا تحـــدّى الغيبَ أفكارُه ... فليس بابٌ دونها مُبهَـــمُ

كُفيتِ يا سُحْبُ(٧) فلا تنصَبى ... حسْبُ الثرى تيّارُه الخضرمُ(٨)

---

(١) فى الأصل "يعيث" والمعنى بها غير واضح . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) الفذ : الفرد ، والتوأم : ما ولد مع آخر . (٣) أكوار : جمع كور وهو الرحل . (٤) تتئم : تأتى بتوأمين فى بطن . (٥) الشنشن : العادة ، والمثل « شنشنة أعرفها من أخزم » .

(٦) المرية : منسوبة الى مرة بن ذهل أحد أجداد الممدوح لقوله فى موضع آخر :

يابنى مرة بن ذهل أبوكم ... ما أبوكم وجدكم أى جد

— والمراد بهذه النسبة الأقلام — . (٧) تنصبى : تجهدى . (٨) الخضرم : العظيم .

قد علِمَ العُشبُ وضيفُ القِرَى ... أيُّكما فى الأزمةِ الأكرمُ

تطاولى يا هضباتِ المُنَى ... فهـو الى ذِروتك السُّلَّمُ

محمَّـدٌ يغبِـط أقـلامَه ... عـلى يديه الرمحُ والمِخذَمُ (١)

وما الذى بينَهـما جامعٌ ... هذان بؤسَى ، وهما أنعمُ

ليس بمحتـاجٍ إلى شِكَّةٍ (٢) ... سـلاحُه من ذاته الضيغمُ (٣)

إنّ قِداح النَّبـع مبريّةً (٤) ... لغـير مَن وقَّصتُه شيهَمُ (٥) (٦)

وهو إذا هزَّ قنـا كيدِهِ ... شاطَ عليها البطلُ المعـلَّمُ (٧) (٨)

وقالت الدرعُ لمُجتابِها (٩) : ... ما هُزَّ إلا القـدرُ المـبرَمُ

وما كُلوم الدهر محـذورة (١٠) ... ورأيُه الأعـلى لها مِرهَمُ

ولو تشاءُ اصطنعت خيـلُه ... وليمـةً يَشهـدُها القَشعَمُ (١١)

قـد صُبغتْ بالنقع ألوانُها (١٢) ... فاشتبـه الأشهبُ والأدهمُ (١٣) (١٤)

من أُسرةٍ بيت معاليهـمُ ... يزوره الكافـرُ والمسـلمُ

مستَلَمُ الأركان ، طُوّافُهُ ... بحمدهم لبَّـوا كما أنعـموا

---

(١) المخذم : السيف القاطع . (٢) الشكة : السلاح . (٣) الضيغم : الأسد .

(٤) النبع : شجر تتخذ منه السهام . (٥) الوقصة : دق العنق وكسره . (٦) الشيهم : القنفذ الذى عظم شوكه . (٧) شاط : هلك . (٨) المعلم : المميز بعلامة تبينه .

(٩) المجتاب : اللابس ، وفى الأصل : « لمحتابها » وهو تصحيف . (١٠) كلوم : جمع كلم وهو الجرح . (١١) القشعم : النسر الكبير . (١٢) النقع : غبار الحرب .

(١٣) الأشهب : الجواد الأبيض . (١٤) الأدهم : الجواد الأسود .

شُـيِّد بالإحسان بنيانُهُ فكلُّ بيتٍ غيرَه يُهـدَمُ
يزدحِم الوفـدُ بأرجائه فعامُهـم أجمعـه مَوسِمُ
لـو نحتَتْ صخـرتَه آلةٌ لاستُنبِطتْ فى تُربِه "زمزمُ"
يا خاتم الأجواد قولى الذى به الكلامُ المصطفَى يُختَمُ
بـدُرِّ أوصافِك أمددتَنى فيـه فما بالِى لا أنظِـمُ؟!
تحيّـة "النيروز" مفروضة بقـدرِ ما يملِكه المعـدِمُ
تُهدَى إلى مثلك فى مثله الـ ـأشـعارُ لا الدينارُ والدرهمُ

* * *

وقال يمدحُه فى العيدِ والمِهرَجان :

نظرتُ ولم أبغ إلا شـفائى فداويتُ سُـقما بداءٍ عَيـاءِ
تراءت وبرقُعها كفُّها لعينٍ مبرقَعـةٍ بالبكاءِ
فكانت لنـا فتنـةً ضوعفت بحسن المغطَّى وحسنِ الغِطاءِ
تقـول وقـد لُمتُهـا فى البعا دِ: هل تسكن الشمسُ غيرَ السماءِ؟
وما زال تَسبى - وما إن ترا كَ - قلوبَ الرجال جسومُ النساءِ
وما زلتُ أجزَع من بينهـم فعلّمنى الصـبرَ طولُ الجفاءِ
وإنّى من لاعجـاتِ الهـوى (١) على مثل صدرِ القناة انثنائى

(١) اللاعجة : الحرقة .

أصـــومُ وما ماؤكم للـــورودِ وأعشـو وما نارُكم للصَّـلاءِ

ومن يَصْدَ(١) يخدعْه لمعُ السرابِ ويَغْـرُرْهُ خُلَّبُ برقٍ خَـواءِ(٢)

ولله موقفُنـا ، والعتـا بُ يُنبتُ فى الخدِّ وردَ الحياءِ!

وقد أترع الحسنُ فيـه غديرا إليـه ورود العيـون الظِّماءِ

وطَـرفٍ يتبعُ هُوجَ(٣) الرياحِ عساهنَّ يرفعن سِجْفَ(٤) الخباءِ(٥)

أتنجو بجسـمك فوق الركاب وتنبِـذُ قلبَك بين الظِّباءِ؟

وعهـدى بحلمك لا يُستطار برسمٍ مُحيـلٍ وربعٍ قَـواءِ(٦)

تَلَفَّتُّ عن لَعَسٍ "بالحمى" وتُعرِضُ عن كَحَلٍ "بالحواءِ"

ولولا خيـانة لونِ العـذارِ لبعتُ عُلوقَ(٧) الهوى بالغـلاءِ

وربَّ ليـالٍ سحبتُ الشبابَ بأعطافهنَّ كسَحْبى ردائى

فلو كنتُ أملِك أمرى اشتريـ ـتُ ذاك الظلامَ بهذا الضياءِ

وقالوا : أصبتَ بعصرِ الصِّبا ومن لم يشِـبْ لم يفُز بالبقاءِ

وما منبِتُ العـزِّ إلا ظهـورُ نواعجَ(٨) منعَـلةٍ بالنَّـجاءِ

يخلِّفن خلفىَ دارَ الهوان مُناخا ومضْـطَرَبا للبِطـاءِ

---

(١) يصدى : يعطش . (٢) الخواء : الخالى من المطر . (٣) هوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٤) السجف : الستر . (٥) الخباء : البيت من وبر وصوف . (٦) المحيل والقواء : العافى . (٧) علوق : جمع علق وهو الشىء النفيس . (٨) نواعج : جمع ناعجة وهى الناقة البيضاء ، والنجاء : السرعة فى السير .

أفـــرُّ بعرضِيَ عمّن ترى (١) من النافقاءِ إلى القاصعاءِ

ولستُ وإن كنتُ ربَّ القريض كمن يستجيب القِرى بالعُواءِ

عدمتُ معاشرَ لا يفرقو (٢) ن بين الصّهيلِ وبين الرُّغاءِ

إذا صافحتنى أكفُّ اللئامِ لطمتُ بهن خدودَ الرجاءِ

وقِدما عصرتُ وجوهَ الرجالِ فلم أر فيهنَّ وجها بماءِ

ولولا الجنابُ "الزعيميُّ" ما مشَى الوعدُ فى طُرُقاتِ الوفاءِ

ولكن بجود "أبى قاسمٍ" عُمرنَ المكارمَ بعد العفاءِ

له فى المعالى انتساب الصريحِ إذا غيرُه عُدّ فى الأدعياءِ

أغرّ تضىء به المكرماتُ وتفترُّ عنه ثغورُ العلاءِ

وترعَى العيونُ إذا لاحظتْ هُ فى روضِ رونقِهِ والرُّواءِ

إذا شِمتَ بارقَه فالتّلا (٣) عُ تشرق مثلَ حلوق الإضاءِ

من القومِ قد طُبعوا فى الندى على سِكّة الغادياتِ (٤) الرِّواءِ

يَعُدُّ ابتياعَ بسيرِ الثناء بجزل العطاء من الكيمياءِ

تدِرّ يداه بلا حالبٍ إذا التمس الزُّبدَ مخضُ السِّقاءِ

---

(١) النافقاء : آخر جحر اليربوع الذى يحفره ولا ينفذه ولكنه يرققه حتى اذا أحس بصيده مرق منه والقاصعاء : أول جحره الذى يحفره ، وكان الأحق أن يقول الشاعر : من القاصعاء الى النافقاء .

(٢) الصهيل : صوت الخيل ، والرغاء : صوت الإبل . (٣) الإضاء : الغدران واحدها : أضاة .

(٤) الغاديات : السحب التى تنشأ غدوة .

ويهتزُّ عند هبوبِ السؤال آهـ (١) ـتزازَ الأراكةِ بالجربياءِ

فتُضحي مكارمُه كالمطيّ ونغمةُ سائله كالحُداءِ

خلائقُ من منـدلٍ مُثِّلتْ وزِيدَ عليها بخورُ الثناءِ

يكاد المدامُ وصفوُ الغما مِ يُعصَر من طِيبها والصفاءِ

كأنّ الحُبَى يومَ تَعقادِها (٢) عليه، على "يذبُلٍ" أو "حِراءِ"

يلاقى الخطوبَ اذا مارستْه بباعٍ رحيبٍ وصدرٍ فضاءِ

وعزمٍ كما صفَّقت بالجَنا (٣) ح شَغواءُ مصبوبةٌ فى الهواءِ

تراه فتنظرُ عزما وحزما وحلما قد ائتلفتْ فى وِعاءِ

وما أسرَ الطَّرفَ مثلُ امرئٍ يبارزُ لامحَه بالبهاءِ

عليه شواهدُ منه اغتدتْ عن الشاهدين له فى غَناءِ

وفى رونق السيف للناظرين دليلٌ على حدّه والمَضاءِ

وقد يُعرفُ العِتقُ قبلَ الفرار (٤) ويُحكَم بالسَّبق قبلَ الجراءِ

وما رغبة الركب يهديهمُ ضياؤك فى رايةٍ أو لواءِ

لك الخيرُ من قائلٍ فاعلٍ بنَى بالمكارمِ أعلَى بناءِ

نذرتَ اذا نلتَ هامَ الأمو ر أن لا تُوشِّح بالكبرياءِ

(١) الجربياء: ريح الشمال الباردة. (٢) يذبل وحراء: جبلان. (٣) الشغواء: العقاب.

(٤) الفرار: — مثلثة — الكشف عن أسنان الدابة ليعرف كم سنها، وفى الأمثال «إن الجواد عيه فراره» يعنى تعرف الجودة فى عيه كما تعرف سن الدابة اذا فرت أسنانها.

فلو رِزقُ نفسِك أمسى اليك ... لما زدتَها فوق هذا السَّناءِ

ففى كلّ شىء وجدنا مِراءً ... ولم نرفيك لهم من مِراءِ

لذلك حنّت قَلوصى (١) إليـ ... ـك حتّى أناخت بهذا الفِناءِ

ولولاك كانت كأُرجوحةٍ ... تَقلقَلُ بين الضّحَى والمَساءِ

إذا زمّها نجمُ ذا بالشُّعا ... ع تخطّمها شمسُ ذا بالهَباءِ

وكم لى "ببغدادَ" من كاشح ... يسائل فى ربعكم : ما ثَوائى؟!

فقلت : مقيمٌ يجيبُ المنَى ... ويجمع بين الغِنى والغَناءِ

لدى ماجدٍ دلوُه فى السما ... ح تتْبعُها يدُه فى الرِّشاءِ (٢)

إذا خاضت النِّقسَ (٣) أقلامهُ ... كَفَيْن الذوابلَ (٤) خوضَ الدّماءِ

دعا الرؤساءُ زعيمًا به ... فكان لشدّتهم والرَّخاءِ

وبعدَ التجارب قد أحمَدوا ... سجاياه، والحمدُ بعد البلاءِ

سقَى اللهُ دارَك ماءَ النعيـ ... ـم وطرَّزها برياض البهاءِ

ودارت عليك كئوسُ السرو ... ر يَغرِفنَ من مُترَعاتٍ مِلاءِ

وهُنئتَ بالعيدِ والمِهرجانِ، ... وسعدُهما سائقٌ بالهناءِ

وجَدناهما فَعَلا ما تحبُّ ... وما تبتغى بخُلوصِ الدُّعاءِ

---

(١) القلوص : الشابة من الإبل . (٢) الرشاء : حبل الدلو . (٣) النقس : الحبر .
(٤) الذوابل : الرماح .

وقال وقد سأله بعضُ رؤساء العصرِ نظمَ قصيدةٍ تتضمَّن مدحَ نظامِ المُلك أبي عليّ الحسن بن إسحاق، وأغراضا له :

ليتَ الهـــوى يصرِفه الراقي (١) إما بحَيْنٍ أو بإفـــراقِ (٢)
رشـفُ الثنايا وٱلتزام الطُّـلَى (٣) — إن أمكنا — أخلاطُ درياقِ (٤)
يا قارعا بالعـــذل سمعي ومِن ورائهِ قلـــبٌ بأغـــلاقِ
من أوجب التـوبةَ من خمرةٍ يعصِرها من لحظِـه الساقي؟
كم "بالكثيب الفَرْدِ" من نابلٍ (٥) أسهمهُ ليســت بأفـــواقِ (٦)
وقامـةٍ تحسبُهـا غصنَهـا الـ ـوَرقاءُ لو كانت بأوراقِ
وظبيـــةٍ تنطـــح قَنَّاصها (٧) من فاحمٍ جَعـدٍ بأرواقِ (٨)
من كُنْسها صدري ومن روضها (٩) قلبي ومن غُدرانها ماقي (١٠)
مأسورةٍ بالصـون في خِدرها تَحكُّمُ في أسـرٍ وإطلاقِ
منّاعةٍ بالحسن أجفانَنا أن يتقاربن لإطـــراقِ

(١) الحين : الهلاك والموت . (٢) الإفراق : الإفاقة من المرض . (٣) الطلى : الأعناق، واحدها : طلية . (٤) الدرياق : الدواء . (٥) النابل : الرامي بالنبل . (٦) أفواق : جمع فوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . (٧) الفاحم الجعد : الشعر الأسود المتقبض الملتوي . (٨) أرواق : جمع روق وهو القرن . (٩) كنس : جمع كناس وهو بيت الظبية . (١٠) الماق : طرف العين مما يلي الأنف .

كأنما الأعين إذ أُبرزت ... من خِدرها ليست بأطباقِ

أغفلتُ ماحازته من مهجتى ... مخافةً أن تذكُرَ الباقى

وليلةٍ بالهجرِ مُدّتْ فما ... يُفنِى مداها سعىُ مشتاقِ

كان شرابى وقِيانى بها (١) ... دمعى ووُرقا ذات أطواقِ

حتّى محا الصبحُ سوادَ الدُّجَى ... كلمّةٍ (٢) فى يدِ حلّاقِ

قلتُ وأطرافُ القنا شُخّصٌ ... ترمقنى عن زُرق أحداقِ:،

لا أطلبُ الهدنةَ فيها ولو ... قامت بها الحربُ على ساقِ

ومِن "نِظام المُلك" لى جُنّةٌ (٣) ... حصينةٌ ما مثلُها واقِ

نِعْم الحِمَى إن عَرضَت خُطّةٌ (٤) ... قد لفّها الليلُ بسوّاقِ

يعتصم الخائفُ من أمنِه ... فى قُلّتَىْ (٥) عهدٍ وميثاقِ

لا يهجُم السخطُ على حِلمِه ... إن عثَرَ الأخمَصُ (٦) بالساقِ

ولا يهُزُّ الكبرُ أعطافَهَ ... وهو على طودِ العلا راقِ

فى لفظه والخطِّ مندوحةٌ ... عن صارم الحدَّين ذَلّاقِ (٧)

مثلُ سلاح الليث مستودَعٌ ... فى الكفّ أو ما بين أشداقِ

---

(١) قيان : جمع قينة وهى المغنية . (٢) الكمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٣) الجنة : كل ما وقى من السلاح . (٤) الخطة : الأمر المشكل العظيم الذى لا يهتدى له .

(٥) القلة : أعلى الجبل . (٦) الأخمص : باطن القدم . (٧) الذلاق : الماضى .

أبلـــجُ فضّاحُ ســـنا نورِه ... لسُـــنّة(١) البـــدر بإشراقِ

ذو بهجـــةٍ غرّاءَ ميمـــونةٍ ... زيّنها ديباجُ أخـــلاقِ

يَحُلُّ ما يبـديه من بِشره ... عَقْـــدَ لسان الهائب اللاقي

أبوابهُ للوفـــد مفتوحـــةٌ ... كأنها أجفانُ عُشّـاقِ

تســـتغلق الرهنَ أفاويقُـــهُ(٢) ... إن جُعـــلَ القَمْرُ(٣) لســـبّاقِ

مسافةُ العليـاء إن أُقصيتْ ... فهو بها "عَمْـرُو بن برّاقِ"(٤)

والعيس عيسٌ(٥) فاذا زرنه ... فإنها أســـبابُ أرزاقِ

كم عنده للحمـــد والشكر من ... مواســـمٍ قُمْنَ وأســـواقِ

يأنَفُ أن يُمطـر شـــؤبُوبُه(٦) ... إلا بأذهاب وأوراقِ

تهـــلُّ وَسْمِيُّـــه(٧) موعـــدٌ ... يُولِي بهامى الجودِ غَيّـداقِ(٨)

والسُّحبُ لا تعطيك معروفَها ... إلا بإرعادٍ وإبـــراقِ

ليس يخيبُ الظنَّ فيـــه ولا ... يعـــودُ راجيـــه بإخفـاقِ

أضحت صروفُ الدهر مأسورةً ... "للحَسَن القَـرْمِ(٩) آبن إسحاقِ"

---

(١) السنة : الوجه ، وقيل : دائرته ، وقيل : صورته ، وقبل : الجبهة والجبينان . (٢) الأفاويق : السحاب يمطر ساعة بعد ساعة . (٣) القمر : الغلبة فى لعب القمار . (٤) عمرو بن براق . من العدائين المشهورين بالعدو والسبق . (٥) فى الأصل : « والعيش عيش » وهو تصحيف . (٦) أذهاب : جمع ذهب . وأوراق : جمع ورق وهى الفضة . (٧) الوسمى : أول المطر ، ويليه الولى . (٨) الغيداق : الكثير المتدفق . (٩) القرم : السيد العظيم .

قد صـــيَّر المـالَ على حبِّـه طُعمـــةَ إتلافٍ وإنفـاقِ

إذا صروفُ الدهر زعزعنه صـادفنَ قلبـا غيرَ خفَّـاقِ

أوامرٌ تمـــلؤها طـاعـــةٌ أهـــلُ أقالـيم وآفاقِ

مابين "جَيْحونَ" "فقالي قَلا" وبين إشـآم و إعراقِ

وعزمةٌ عنها صدورُ القنـا تهـتزُّ من خوفٍ وإشـــفاقِ

تُضحى قسيُّ "التُّرك" من ثِقلها (١) تئنُّ في نزعٍ وإغراقِ (٢)

والسـيفُ ممّـا كلَّفتْ حدَّه يكُنُّ في أغمـادِ أعنـاقِ

قـــد حصَّن الملكَ بآرائه في شـاهقِ الأقطـارِ مِزلاقِ

في كلّ يومٍ بأراضي العـــدا سَجْـــلُ (٣) دمٍ بالطعن مُهـراقِ (٤)

مثل "بني الأصفر" (٥) أودى بهم أروعُ يُردي كلَّ مرَّاقِ

من تُلَّ (٦) منهـــم فلذئبِ الفلا ومن نجـا فـــرَّ بأرماقِ

بوقعـــةٍ أُطعِمَ فيهـا الردى أرواحَ كُفّارٍ وفُسّاقِ

كم من يدٍ بالقـاعِ (٧) مبريَّةٍ وهامةٍ بالشِّـــعبِ (٨) أفـــلاقِ (٩)

---

(١) النزع : جذب وتر القـوس . (٢) الإغراق : استيفاء حد القـوس .

(٣) السجل : الدلو . (٤) مهراق : مصبوب . (٥) بنو الأصفر : الروم .

(٦) تل : صرع . (٧) القاع : المطمئن من الأرض . (٨) الشعب : الطـريق في الجبـل ، أو هو ما انفرج بين الجبلين . (٩) أفلاق : جمع فلق وهو الجزء من الشيء المشقوق .

ذاق مليكُ "الروم" من صابها (١) ما لم يكن قبـــلُ بذوّاقِ

إن لم تكن لاقيتَ أبطالَهـا كنتَ بإقبالك كاللاقى

والشمسُ لا يمنعها بُعـــدُها من فعـــل إنماء وإحراقِ

أيا "قِوامَ الدّين" دعوى امرئ لســـانُه ليس بمـــذّاقِ (٢)

اللهَ فى غرســـك لا تُذوِه من بعـــد إثمارٍ وإيراقِ

بك آســـتقامت عُوجُ أفنانه (٣) ومَـــدَّ فى النُّعمَى بأعـــراقِ

وعبد قِنٍّ (٤) لك لم يلتمس من رقّهِ (٥) راحـــةَ إعتـــاقِ

مذ سار عن رَبعكَ، أحشاؤه والقلبُ أُنْفِيّـــةُ (٦) أشـــواقِ

ما آعتاض من عزّك إلا كما يُعتاضُ عن سيفٍ بمِخـــراقِ (٧)

تلطّف الحسّـــادُ فى سِحـــرهم حتى رأوا بالنأى إقـــلاقى

إن سرّهم فَرْى فِمن بعدِه يسوءهم كرّى وإعنـــاقى (٨)

ما كنتُ من قبلهمُ خائفا بينَ غرابٍ غـــيرِ نغّاقِ (٩)

---

(١) الصاب : نبات مر الطعم ، أو هو عصير شجر مر . (٢) المذاق : الكذاب .

(٣) الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن . (٤) القن : الخالص العبودة ، وهو الذى ملك هو وأبوه ، أو هو الذى ولد عنـــدك ولا تستطيع إخراجه عنك ، و يقال : عبد قن — بالنعت — ، وعبد قن — بالإضافة — . (٥) فى الأصل : «رقة» وهو تصحيف . (٦) الأنفية : أحد الثلاثة الأحجار التى توضع عليها القدر ، وفى الأصل هكذا : « أنمة » . (٧) المخراق : منديل يلف و يضرب به . (٨) الإعناق : السير السريع الفسيح . (٩) النغاق : النعاب الصائح ؛ مثل النعاق — بالمهملة — .

مَن فيهـــمُ يبلغُ شأوى ومَن يحمِـل إن حُمِّـلَ أوساقى؟ (١)

أشـعتُ إحسـانك لى أوّلا فآجعل بثانى الطَّولِ تَصداق (٢)

حاشـا أياديك وما خَوّلتْ أن أكتسى أثوابَ إملاقِ

وقال يمدحُ أبا القاسم بن رضوان :

تفيض نفـوسٌ بأوصابهـا وتكتم عوّادُها ما بِهـا

وما آنصفتْ مهجةٌ تشتكى هواها إلى غـير أحبابهـا

ألا أرِنى لوعـةً فى الحشا وليس الهوى بعضَ أسبابها

ومن شرفِ الحبِّ أن الرجا لَ تشرى أذاه بألبـابها

وفى السِّرب مُثْرِيةٌ بالجمـالِ تُقسِّـمه بين أترابهـا (٣)

فللبـدر ما فوق أزرارهـا وللغصن ما تحت جِلبابهـا

كأنّى ذَعرتُ بهـا فى الخِبا (٤) ءِ وحشيّةً عنـد محرابهـا (٥)

أتبّعـها نظـرا معجَلا يعـثّر عينـى بهُدّابهـا (٦)

متى شاء يقطِف وردَ الخدود وقتْـهُ الأكفُّ بعُنّابهـا

---

(١) فى الأصل « أوناق » وهو تحريف .

(٢) فى الأصـل هكذا "ثناى" .

(٣) أتراب : جمع ترب وهو من ولد معك فى سنك .

(٤) الخباء : بيت يتخذ من صوف أو وبر .

(٥) الوحشية : الظبية .

(٦) الهداب : الخيوط التى تبقى فى طرفى الثوب من عرضه دون حاشيته ، أو هو طرف الثوب مما يلى طرته .

كفانىَ من وصـــلها ذكرةٌ تمـــرُّ على بَرْد أنيابهـا

وأن تتلالا بروقُ "الحمى" وإن أضرمتنى بإلهابها

وكم ناحلٍ بين تلك الخيا م تحسَـــبه بعضَ أطنابهـا (١)

فمن مخبرٌ حاســدى أننى وهبتُ الأمانى لطُلّابهـا؟

فإن عرَضتْ نفسَها لم تجد فؤادىَ من بعض خُطّابهـا

يُسُـــرُّ الغطارفةَ الأكرمي ـن قَرعُ مديحى لأبوابهـا

فهاهى من قبل رفع الحجاب يضاحكنى بشـــرُ مُجّابهـا

أنزّه (٢) قَعْبِىَ عن خَلّهـا وآنَفُ من مخض أوطابهـا (٣)

وأعلم أن ثيابَ العفا ف أجمـــلُ زِىٍّ لمُجتابهـا (٤)

عدلتُ السرابَ بأوراقهـا (٥) ولمـــعَ البروق بأذهابهـا (٦)

ولو شئتُ أرسلتُها غارةً تعـــود الىَّ بأســـلابها

ولكننى عائفٌ شهدَها فكيف أنافسُ فى صابهـا (٧)

تذِلُّ الرجالُ لأطماعهـا كذلِّ العبيـد لأربابهـا

فلا تقطفنّ ثمارَ المُـــنى فبئسَ عُصارةُ أعنابهـا (٨)

---

(١) أطناب: جمع طنب وهو حبل الخيمة . (٢) القعب: إناء يحلب فيه . (٣) أوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن . (٤) المجتاب: اللابس . (٥) أوراق: جمع ورق وهو الفضة . (٦) أذهاب: جمع ذهب . (٧) الصاب: شجر مر، أو هو عصير شجر مر . (٨) فى الأصل: «فيأس» وهو تحريف .

وعُجْ بالأجلِّ "أبي قاسيم" لتأتى المكارمَ من بابها

فنعـــمَ الرياضُ لمرتادِهـا ونعـــمَ الديارُ لمنتابها

وأوديةً من يَرِدْ ماءَهـا يرَ السُّحبَ من بعض شُرّابها

الى كعبة الجود من راحتيـه (١) تُشـــدّ الرحالُ بأقتابها

مناقبُ مثـــلُ عِدادِ الرمالِ تكُدُّ أناملَ حُسّابها

وتُتعبُ ألسنَ دُرّاسِهـا (٢) وتُفنِي قراطيسَ كُتّابها

تجاوزتَ حدّ صفاتِ البليغ فمادحُها مثـــلُ مُغتابها

يـــذُمُّ البضـائعَ ما لم يُعِـدَّ من الشكر أوفرَ أكسابها

تظُنُّ بأفـــواه مُدّاحِهِ (٣) عُقـارا تدارُ بأكوابها

تُصافَحُ منـه أكُفُّ الرجاء برطبِ الأنامل وَهّابها

كأنّ السؤالَ على رِفده قِـــداحٌ تفـــوز بأنصابها

إذا آشتكت الأرضُ داءَ المحو (٤) لِ داوَى رُباها بإخصابها

من العصبة المدركين العُـلا بأحسابها وبأنسابها

أجاروا على الدهر من صَرفِهِ وجاروا على الأُسْد فى غابها

وساسوا ولاءَ قلوبِ الرجال بإرغابها ثم إرهابها

(١) أقتاب : جمع قتب وهو إكاف (برذعة) على قدر سنام البعير (٢) القرطاس : الصحيفة .

(٣) أكواب : جمع كوب وهو قدح لا عروة له . (٤) فى الأصـل : « باحصابها » وهو تصحيف .

كنوزُ محامِدها والثنـاءِ عليها ذخائرُ أعقابها

ولم تَلبَس الرَّيْطَ(١) إلا رأيتَ محاسـنَها نقشَ أثوابها

تعجَّبُ من حُسن بهجاتها الى أن ترى حسنَ آدابها

وإنَّ مكارمَ أخلاقها تقـوم مقاماتِ ألقابها

تمَـلَّ بأيّام هـذا الزمان تجـرُّ ذلاذلَ(٢) جِلبابها

مقـامَ السواد لأبصـارها ومثـلَ النُّخاع لأصـلابها

إذا أنت أفنيتَ أيّامَهـا توالت عليـك بأحقابها

* * *

وقال يمدحه أيضا :

النجاءَ النجاءَ من أرضِ "نجدِ" قبـلَ أن يعـلَق الفؤادُ بوجدِ

إنّ ذاك الثرى لَيُنبتُ شوقا فى حشَا ميِّت اللُّباناتِ(٣) صَـلدِ(٤)

كم خلىٍّ غـدا إليـه وأمسَى وهو يَهذِى "بعَلوةٍ" أو "بهندِ"

وظبـاءٍ فيـه تُلاقِى المُـوالى والمُعادى من الجَمال بجُنـدِ

بشتيتٍ من المباسم يُغـرى وسَـقامٍ من المحاجر يُعـدى

وبنانٍ لولا اللطافـةُ ظُنَّتْ لِحنـاياتها براثنَ(٥) أُسْـدِ

---

(١) الريط : جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين . (٢) الذلاذل : جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل . (٣) اللبانة : الحاجة والمأرب . (٤) الصلد : الصلب .

(٥) براثن : جمع برثن وهو من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان .

وحـــديثٍ إذا سمعناه لم ند ـرِ بخمرٍ نضَحتنَا أم بشهـــدِ ؟
أنِفتْ من براقـع الخـــزِّ والقـ ـزِّ خدودٌ قـــد برقعوهـا بوَردِ
وغَنُـوا عن خدورهم مذ تغطَّـوا عن محبّيهم ببعـــدٍ وصـــدّ
أمُقـاما "بعـاجٍ"، والمطـايا عَرضَ "يبرينَ" بالظعائن تَخدِى ؟ (١) !
لا "الحمَى" بَعـدكم مُناخٌ ولا ما ءُ "اللوى" إذا هجرتمـوه بوِرْدِ
والفـــؤادُ الذى عهـدتم جَموحا راضـه طولُ جَـوْركم والتعـدّى
ما تُريدون من دلائـلِ شـــوقٍ غيرَ هـــذا الذى أُجِنُّ وأُبدِى
كبِدٌ كلّمـا وضعتُ عليهـا راحتى، قيلَ : أنت قادحُ زَندِ
وجفونٌ جرينَ مدًّا، وماءُ ال ـبحـــر يرتاحُ بين جزرٍ ومدّ
يا بنى "مُرّةَ بن ذُهـــلٍ" أبوكم ما أبوكم وجَدُّكم أىّ جَدّ
غُرَرٌ فى وجوهِ "بكرٍ"، و"بكرٌ" شامةٌ عمّمت رءوسَ "مَعَـدّ"
من شـبابٍ فى الحِلم مثلِ كُهول وكُهـــولٍ نزّاقـــةٍ مثـــلِ مُردِ
أنا منـكم إذا انتهينا إلى العـــر ق انتفضنا انتفـافَ بانٍ برَندِ
نسبٌ ليس بيننا فيـــه فـــرقٌ غـــيرُ عيشَىْ حضارةٍ وتبـــدّى
لكم الرمحُ والسِّـــنانُ وعنـــدى ما تحبُّـــون من بيانٍ ومجدِ
خلِّصـونى من ظَبيـكم أو أنادى بالذى يُنقـذ الأسارَى ويفـدى

(١) الظعائن : الهوادج فيها النساء . وتخدى : تسرع .

"بأبى القاسم" الذى غرس الأفـ ـضال فى ربوتَىْ ثناءٍ وحمـدِ
كلّما هبّ للسـؤال نسـيمٌ فـوق أغصانه آنتثرنَ برِفـدِ
فى يديه غمامتان لظـلٍّ ولقَطرٍ من غير برقٍ ورعـدِ
أَذِنَ البشـرُ للعُفـاة عليـه حين ناداهم القُطـوبُ بردِّ
وآصطفى المكرُماتِ حتى لقلنـا: أبِـرِقٌّ إنتاجُها أم بعَقـدِ؟!
فَـرْقُ ما بينَـه وبين سـواه فَـرْقُ ما بين لُجِّ بحـرٍ وثَمْـدِ(١)
أىُّ عُشبٍ فى ذلك الأبطحِ السهـ ـلِ وماءٍ لمَـرتَـعٍ ولـوِردِ؟
لا تـراه إلّا على كاهل العـز مِ يسـوق العُـلا بجَـدٍّ(٢) وجِدِّ
كم عـدوٍّ أماتـه بوعيـدٍ ووَلِىٍّ أحياه منـه بوعـدِ
لستَ تدرى أمن زخارف روضٍ صاغـه اللهُ أم لآلئِ عِقـدِ؟!
وبحسن الفعـال ينتسب القـو مُ إلى المجـد لا بقَبْـلٍ وبَعدِ
مُطلِـعٌ، فى دُجى الخطوبِ إذا أظـ ـلمنَ، من رأيـه كواكبَ سَـعدِ
عـزماتٌ لا تستجيب لراقٍ وحـلومٌ لا تُستثار بحِقـدِ
ومَضاءٌ لو أنه كان للسـيـ ـف لما هوَّمَتْ(٣) ظُباه بغِمـدِ
قـد رأينا فيـه عجائبَ منهـ ـنّ ثمارٌ يُجنَيْن من عُودِ "هِنـدِ"

---

(١) الثمد: الماء القليل. (٢) الجد — بالفتح —: الحظ، — وبالكسر —: الاجتهاد فى الأمر. (٣) هومت: نامت.

أســـرَ الناس بالعوارف، والنُّعـ ـمَى على الحرِّ مثـــلُ رِبقةِ قِـدِّ (١) (٢)

ليس يَرضَى من الملابس إلّا ما يُنيرِ الثناءُ فيـــه ويُســـدى (٣)

أبدا تســـأل النواظرُ عنـــه أبشـــكرٍ قد اكتسى أم بـــبُردِ!!

أحصِ ما شئتَ من حصًى وقُطارِ فمعاليـــه ليس تُحصَى بعَـــدِّ

وعيونُ الحسّادِ إن نظـــرَته فبصُـــورٍ من المساءة رُمْـــدِ (٤)

يا أعاديه لو عُدِدتم "كيأجو جَ" رماكم من كيدِه خَلفَ ســدِّ

وســـواء إذا جرى فى مَـــداه أبأخلاقـــه جرى أم بُجُـــردِ (٥)

قَصَـــبٌ للســـباق ليس يُصَلِّيـ ـها خوافى النســـور إلا بكَدِّ (٦)

زادك الله ما تشـاءُ مَزيدا ســـيلُه غيرُ واقفٍ عنـــد حدِّ

فى ربيـعٍ نظيرِ جنّاتِ "عَدنٍ" وديارٍ جميعُها دارُ خُـــلدِ

إن أغِبْ عنك فاللسانُ بشـكرى غـــيرُ ناءٍ ولا الفـؤادُ بجـــدِى

وهما الأصغران لولاهمـــا كا ن البرايا أمثالَ صُحْـــرٍ ورُبْدِ (٧) (٨)

أُخبُرُ النـاسَ تَقْلِيهُم (٩) أو تصِلْهـم هـــل يحاز الدينـار إلا بنقـــدِ؟!

(١) الربقة : العروة . (٢) القد : قيد يقد من جلد يشدّ به الأسير . (٣) أنار الثوب : جعل له نيرا ، وهو ما اجتمع من خيوطه ، وأســـداه : جعل له سدى وهو ما مد من خيوطه .

(٤) الصـــور : المائلة . (٥) الجرد : الخيل قصيرة الشعر ، واحدها : أجرد وجرداء .

(٦) يصليها : تأتى ثانية لها . (٧) الصحر : ما اغبر لونها فى حمرة ، واحدها أصحر وصحراء . يقال : حمار أصحر وأتان صحراء . (٨) الربد : ما اسـود لونها مع تنقيطه بحمرة ، واحدها أربد وربداء .

(٩) تقلهم : تبغضهم وتجفوهم من : قلا يقلو وقلى يقلى ، وهو من حديث أبى الدرداء : "وجدت الناس أخبر تقله" أى جرب الناس تبغضهم ، والهاء فى "تقله" للسكت .

***

وقال يرثي أبا منصور بن يوسف ، ويعزّي عنه أبا القاسم بن رضوان صهرَه :

لا قَبِلنا فى ذا المصابِ عـــزاءَ ... أحسنَ الدهرُ بَعـدَها أو أساءَ

إن نهينا فيـــه عن الدمـــع مَأقا(١) ... أو خفَضنا النحيبَ كان رياءَ

حسراتٍ يا نفسِ تفتُـك بالصـب ... ـر وحزناً يقلقـــلُ الأحشـاءَ

ووجيباً(٢) ملءَ الضـــلوع إذا فا ... ض إلى المقلتين صار بكاءَ

فزفـــيرا بين الجـــوانح يفتضُّ متى شاء عَـــبرةً عـــذراءَ

وحنينـــا يشـــوقُ فاقـــدةَ النيـ(٣)ـبِ فتنسَى صريفَها(٤) والرُّغاءَ(٥)

ومُناخا من لوعـــةٍ وآكتئاب ... يستجيبُ الحمامـــةَ الـــوَرقاءَ

ودموعا يخجَلن من شَـــبَه المـا ... ءِ فيُصبَغنَ بالحياءِ دماءَ

من عيونٍ قد كنَّ قبلُ عيونا ... ثم صارت بفقـــده أنـــواءَ(٦)

ملقياتِ العُـــوَّار(٧) فيهنّ سَجْـــلا(٨) ... جاعلاتِ القـــذَى لهنَّ رِشاءَ(٩)

وإذا ما الأُسَى(١٠) أشرنَ على القلـ(١١)ـبِ بيأسٍ فآستفهموا البُرَحاءَ

يَفقِد الناسُ ــ قدعلمنا ــ عظيما ... وخطيرا منهـــم وليسوا سَـــواءَ

---

(١) المأق : طرف العين مما يلى الأنف . (٢) الوجيب : خفقان القلب . (٣) نيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٤) الصريف : صرير ناب البعير . (٥) الرغاء : صوت ذوات الخف . (٦) الأنواء : الأمطار . (٧) العوار : ما ينزع من لحم العين بعد ما يذر عليه الذرور . (٨) السجل : الدلو . (٩) الرشاء : حبل الدلو . (١٠) الأسى : جمع أسوة وهى القدوة . (١١) البرحاء : شدة الحزن .

كيف نسلو من فارقَ المجدَ والسّوء ... دَدَ والحزمَ والنـدَى والعَـلاءَ

والسجايا الذى إذا آفتخر الـدُّ ... رُ آدّعاها مَلاسـةً وصـفاءَ

والمحيَّا الذى له تشـخص الأبـ ... ـصارُ حُسنا وبهـجةً وضِياءَ

والأيادِى البيضَ المصافِحةَ الإعـ ... ـدامِ حـتّى تُحيـلَه إثـراءَ

والمعـالى المحلّقـاتِ مع النَّسـ(١)ـرَيْن يُشرقنَ بُكرة ومَساءَ

ووقارا لـو أنه أدَّبَ الهُـو(٢)ـجَ من العـاصفاتِ عُدنَ رُخاءَ(٣)

خَرِسـتُ ألسن النُّعـاةِ(٤) وودّت ... كل أُذْنٍ لو غـودرت صمّاءَ

جهلوا أنهـم نعَوا مُهـجةَ المجـ ... ـدِ المصفّى والعـزّةَ القَعساءَ(٥)

حين قالوا – وليتَهم كتَموا الحا ... دث عنّا أو جمجموا الأنباءَ – :

ظعنتْ "بآبن يوسُف" قُلُص الأ(٦)ـيّا م تطـوِى الإدلاجَ(٧) والإسـراءَ(٨)

ليس تَلوِى على مُناخٍ ولا تطـ ... ـلُبُ وِردا ولا تطيـعُ حُداءَ

بعد ما كنّ كالعبيدِ من الطـا ... ـعةِ والسمعِ، والليالى إماءَ

زينـةُ الدِّين عُرّىَ الدينُ منها ... وحُـلِىُّ الدنيا جفـا الأعضاءَ

لو أرادت عِرسُ المكارم بعـلًا ... عدِمتْ بعـدَ فقـدِه الأكفاءَ

---

(١) النسران : كوكبان ، يقال لأحدهما : النسر الطائر، وللآخر : النسر الواقع . (٢) الهوج : الرياح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ، واحدها : هوجاء . (٣) الرخاء : الريح اللينة .
(٤) فى الأصل "البغاة" وهو تصحيف . (٥) القعساء : الثابتة الممتنعة . (٦) قلص : جمع قلوص وهى الفتية من الإبل . (٧) الإدلاج : السير آخر الليل . (٨) الإسراء : السير أول الليل .

من إذا ما الحقـــوق لله نادت ... قاضيا راعيا أجاب النداءَ

وإذا ما إليـــه مُدَّتْ يـــدُ البـ ... ـرِّ أهان البيضاءَ والصفـــراءَ (١)

من تردَّى بهيبـــةٍ رأت التصـ ... ـريحَ عَجْـــزا فـأومأت إيماءَ

يُوقِـد القـــومُ نارهم فى جدالٍ ... فاذا قال أخمـــدوا الضوضاءَ

من يكن أيتمَ الذرارِى اذا ما ... ت فهـــذا قد أيتمَ الفقـــراءَ

ما درى حامـــلوه أنهـــمُ عنـ ... ـهمْ أزالوا الأظـــلالَ والأفيـاءَ

أدرَجوا فى الرِّداء (٢) نَصـــلا ولفُّوا ... فى السُّـــحولىِّ (٣) صَـــعدةً (٤) صمّاءَ

يُودِعون الثرى — كما حَكَمَ الـ ... ـله — بكُرهٍ غمامةً غرّاءَ

ولو آن الخيارَ أضحى إليهـــم ... ما أحلُّوا الغـــمامَ إلا السماءَ

يا لها من مصيبـــةٍ عمّت العـا ... لَمَ طـــرّا وخصَّت العظـــماءَ

ما علمنـا الضَّرّاءَ أحيت فعاشت ... فى الورى أم أماتت السـرَّاءَ؟

غـــرَ أنّا نرى لها كلَّ نفسٍ ... لِهفـاتٍ تَنفَّـــسُ الصُّـــعَداءَ (٥)

ما رأينـا يوما كيوم تولَّيـ ... ـتَ يـــؤمُّ الأمواتَ والأحيـاءَ

يَتبَـعُ النـاسُ ذلك النورَ أرسـا ... لًا (٦) كما يتبـــعُ الخميسُ (٧) اللّـــواءَ

---

(١) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب . (٢) النصل : السيف . (٣) سحول : موضع باليمن تنسج فيـه الثياب ، يقال : ثياب سحولية بالفتح والضم — والفتح أشهر — . (٤) الصعدة الصماء : قناة الرمح المستوية الصلبة . (٥) الصعداء : تنفس طويل من هم أو تعب . (٦) الأرسال : الجماعات واحدها : رسل — بكسر الراء — . (٧) الخميس : الجيش — لأنه خمس فرق — .

أرجُلٌ فى الصَّـــعيد تنتعلُ التِّر ... بَ وهامٌ(١) تعـــمَّمُ الحِصْباءَ(٢)

فتظَـــنَّى(٣) الحِمامُ أنّـــك أزجيـ ... ـتَ إليـــه كتيبةً(٤) شهباءَ

أو مشتْ نحـوه القبـائلُ يطلُبْـ ... ـن إليه بأن يكنَّ الفِـــداءَ

أنت من معشرٍ أبَى طيِّبُ الذكـ ... ـر عليهم أن يُشمتوا الأعداءَ

فهـــمُ كالأنام يَبلُون أجسا ... مًا ولكن يخلَّدون ثناءَ

لم يُطيقـوا أن يدفعوا نوب الأيّـــامِ عنهـــم فسـيَّروا الأسماءَ

عُقِلتْ فـوق تُربك السحبُ إما ... ماخضًا(٥) بالقُطارِ أو عُشَراءَ(٦)

تارةً بالضَّريبِ(٧) ترغُـــو وطـــو ... را بزُلالٍ يفجِّـــرُ الأطْبَاءَ(٨)

فاغراتِ الأفواهِ تحسَبها طـا ... لَ سُراها فأكثرتْ ثُؤْباءَ(٩)

فهى تَسـقِى ثراك قَطـرا ومن زا ... رك يَسـقى ترحُّما ودُعاءَ

كلُّنـا للتردى ولم تُخـلَق الأعـ ... ـلالُ إلّا ما بيننـا سـفراءَ

واذا كانت الحيـاةُ هى الدا ... ءَ المعـنَّى فقد عدِمنـا الشفـاءَ

إنمـا هـذه الأمانىُّ فى النَّفـ ... ـس سَرابٌ لا يَنقَـعُ الأظماءَ

---

(١) هام : جمع هامة وهى الرأس . (٢) الحصباء : الحصى . (٣) تظنى بمعنى ظن .

(٤) الكتيبة : الفـرقة من الجيش ، ويقـال : كتيبة شهباء لبياض سيوفها وكثرة سلاحها .

(٥) الماخض : — بغير هاء — هى التى دنا ولادها . (٦) العشراء : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٧) الضريب . اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء . (٨) أطباء : جمع طبى — بكسر وسكون — حلمة الضرع . (٩) الثؤباء : التثاؤب .

وأُســودُ الأيامِ لا ترتضى الأجـ ـسامَ قوتاً وتأكلُ الحَــوْباءَ (١)

كم بُزاةٍ شُهْبٍ تَحصَّنُ بالجـ ـوِ فتهــوِى إلى الثرى أَصــداءَ (٢)

غيرَت هــذه الليـالى فلو يُسـ ـئلن أنكرن ما دها "الأذواءَ" (٣)

نحن فى عَتبها الذى ليس يُجدى مثــلُ من حكَّ جِــلدةً جَرباءَ

كلَّما كُرِّر المــلامُ عليهـا فى الإساءات زادهـا إغراءَ

جَــلَدًا أيُّها الأجلُّ أبو "القا سم"، والعَــوْدُ (٤) يحمِـل الأعباءَ

أبدا أنت فى النوائب لبّـا سٌّ من الصــبر نَثرةً حَصــداءَ (٥)

خُلُقٌ فيك أن تُنجِّى من الكر ب نفــوسا وتكشِفَ الغَمّاءَ

ما كرهتَ الأقدارَ قــطُّ ولو جا ءت ببؤسَى ولا ذممتَ القضاءَ

ولك العــزّة التى دونها السيـ ـف نفـاذا وجُرأةً ومضاءَ (٦)

وفَعــالٌ (٧) اذا وزنَّاه بالوعـ ـدِ اذا قلتَ لم نجــد إقـواءَ (٨)

أُحرُسِ الأقربين يحرسُـك اللّـ ـهُ وراعِ الأهلينَ والأبنـاءَ

فالجيـادُ العِتاقُ لا تَبــلغُ الغـا يةَ حتّى تستصحبَ الأفــلاءَ (٩)

---

(١) الحوباء : النفس . (٢) أصــداء : جمع صدى وهو الجسد بعــد الموت .

(٣) الأذواء : ملوك اليمن — لإضافة "ذو" فى الغالب الى أسمائهــم وهى تلزم الإعراب ؛ يقال : مرذويزن ، ورأيت ذايزن ، وسيف بن ذى يزن . (٤) العود : الجمل المسن .

(٥) النثرة الحصداء : الدرع المحكمة السرد . (٦) فى الأصــل « نفاذا » وهو تصحيف .

(٧) الفعال : الكرم . (٨) الإقواء : الاختلاف ، وأصله — فى الشعر — اختلاف حركة الروى . (٩) أفلاء : جمع فلو وهو المهر اذا فطم أو بلغ السنة .

وظباءُ الفـلاةِ إن راعهـا القـا ... نصُ زفّت فآســتدنت الأطلاءَ (١)

وجــديرٌ بمن شرَى عُنُقَ المجـ ... ـد فأعــلَى أن يُحـرِزَ العلياءَ

* * *

وقال يرثى أبا نصر بن حميلة صاحب الديوان :

كلّ يومٍ خِلٌّ يُرحَّــلُ عنّـا ... وديارٌ معطّـلاتٌ ومَغْــنَى (٢)

وحبيبٌ فريسـةٌ للمنـايا ... بمجتــويهِ (٣) كأنه ليس منّـا

أعلَمتْنَـا مَصــيرَنا حادثاتٌ ... لو عملنا يوما بمـا قد علمنـا

هــذه الأرضُ أمُّنـا وأبونا ... حملَتْنا بالكُرهِ ظَهرا وبطنا

إنمـا المرءُ فوقها هو لفــظٌ ... فاذا صار تحتهـا فهْــو مَعنى

لو رجَعنا إلى اليقـين علمنـا ... أنّنـا فى الدُّنا (٤) نُشــيِّدُ سجنا

إنمـا العيشُ مـنزلٌ فيـه بابَا ... ن، دخَلنا من ذا ومن ذا خرَجنا

مثلَمـا تسرَحُ السَّوامُ الى المر ... عَى وتُثْنَى عنـه غَدونا ورُحنا

وضروبُ الأطيار لو طِرن ماطِر ... نَ فلا بدَّ أن يراجِعنَ وَكْنا (٥)

يحسَبُ الهِمُّ (٦) عمـرَه كلَّ حولٍ ... فاذا آستكثر الحسابَ تمنّى

---

(١) زفت : أسرعت فى عدوها ، وفى الأصل «رفت» وهو تصحيف ؛ والأطلاء : جمع طلى وهو ولد الظبية . (٢) المغنى : المنزل . (٣) بمجتويه : بجفوه . (٤) الدنا : جمع الدنيا وهى واحدة فاذا جمعت فباعتبار أقسامها . (٥) الوكن : العش — كالوكر — .
(٦) الهم : الشيخ الفانى .

كُلُّ شيء يُحصيه عدٌّ ولو كا ن كثيبا من رملِ "يبرينَ"[1] يفنى

والليالى لنا مطايا إذا خـ ـبَّ بنا نحـو غايةٍ بلَّغتنا

مبتـدانا ومنتهانا سَـواءٌ فلماذا من الأخـير عجِبنا

فوُجِدنا من بعـد ما قد عُدِمنا وعُدمنا من بعدِ ما قد وُجدنا

والأريبُ اللبيبُ من وعظتْـه ألسنٌ فى مواضع الموتِ لُكّا[2]

قد رأينا وقد سمعنا لو آنَ الـ ـنَّفسَ ترضَى عينا وتأمن أُذنا

وكأنّا لغـير ذاك خُلقنا أو سـوانا بغـير ذلك يُعنَى

كلَّما حُقّق الشفاءُ لفنٍّ من سَقام الأيام أحدثنَ فنّا

ليس ندرِى متى نُقاد لعَقـرٍ فبما تَعرِفُ الحُشاشاتُ أَمْنا

كلُّنا نجعـلُ الظنونَ يقينا ويقينُ الأمور يُجعَـلُ ظنّا

خُـدَعاتٌ من الزمان إذا أبـ ـكين عينا منهنّ أضحكن سنّا

كُلُّ يومٍ تأتى به يومُ نحـرٍ و"مِنًى"[3] حيثُ شاء سهلا وحَزنا

ليس يُغنى عن النفوس فداءٌ فضَـياعٌ نَعُقّ[4] عنهنّ بُدْنا[5]

والمليـكُ الهمامُ بالجحفـلِ المجـ ـرِ لسمعِ الردَى يُقعقِـع شَـنّا[6][7]

---

(١) يبرين : موضع مشهور بكثرة رماله . (٢) لكن : جمع ألكن وهو العى الذى ثقل لسانه .

(٣) الحزن : الوعر من الأرض — وهو ضد السهل — . (٤) نعق : نذبح عنها فداءها .

(٥) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدم للنحر . (٦) الجحفل المجر : الجيش العظيم بكثرته .

(٧) الشن : القربة البالية .

لو درتْ هـذه الحمـائمُ ما ند ... رى لمـا رجّعتْ على الغصن لحَنا

طابِـع الأسهم الصوائبِ لم يخـ ... ـلُقْ لأهـدافهنّ عَمـــدا مِجَنّا (١)

نتـــوارى بالسـابرى (٢) ونتسَى ... من وراء الضلوع ضربا وطعنا

غَشِيَ الدهرُ أهـــلَه بجنـودٍ ... أسَرتْهُ وليس يعـــرِفُ منّـا

بين بُلقٍ (٣) منـه يُغير بهـا الصبـ ... ـحُ وأخرَى دُهْمٍ (٤) توافيك وَهْنا

هو إما روحُ الحيـاة وإلا ... فحيـاةٌ تظـلُّ فيهـا مُعـنّى

وكأنّ المنـونَ حادى ركاب ... ردّ ظُعْنـا عنـــه وقدّم ظُعْنا (٥)

مَوردٌ غصّ بالزحـامِ فـلولا ... ســبقُ من جاء قبلَنا لوردنا

وأرَى الدهرَ مُفردا وهو فى حا ... لٍ يشُنّ الغـاراتِ هَنًّا وهَنّـا

كصَفاةِ المسيلِ (٦) لا ترهَبُ اللي ... ـثَّ ولا ترحم الغـزالَ الأغنّا

ما عليهِ لو أنه كـان أبـقَى ... من "أبى نصير" المهذبِ رُكنا!

والدا للصـــغير بَرًّا وللتـ ... ـرِبِ (٧) أخًا مشفقا وللأكبر آبنا

غُصُنٌ إن ذوَى فقد كان منه ... ثمـراتُ الخـلائق الغُـرّ تجنَى

---

(١) المجن : كل ما وارى من سلاح . (٢) السابرى : الثوب الجيـد — منسوب الى سابور على غير القياس — وسابور بلدة مشهورة بعمل الثياب الجيدة . (٣) بلق : جمع أبلق وهو — من الخيل — : الذى فيه سواد و بياض . (٤) دهم : جمع أدهم وهو الأسود من الخيل . (٥) ظعن : جمع ظعينة وهى البعير يعتمل و يحمل عليه . (٦) الصفاة : الصخرة الصلبة . (٧) الترب : الذى يولد معك فى سنك .

إن أَملناهُ بالمقـالِ تلوَّى (١) أو هززناه للفَعـال تثنَّى

من ذيولِ السحاب أطهرُ ذيلا (٢) وقميصِ النســيم أطيبُ رُدْنا

ما مشتْ فى فؤاده قَـدَم الغـ ـشِّ ولا أسكن الجوانح ضِـغْنا

إن يكنْ للحيـاءِ ماءٌ فما كا (٣) نَ له غـيرُ ذلك الوجه مُزْنا

لهفَ نفسى على حسام صقيلٍ (٤)(٥) كيف أضحت له الجنادلُ جَفنا

وعتيقٍ أثار بالسَّـبقِ نقعا (٦) فغـدا فـوقه يُهـال ويُبنَى

ونفيسٍ من الذخائر لم يؤ مَن عليه فاستُودِع الأرضَ خَزْنا

أودعوا منه فى الضرائح كافو (٧) را ومسكا ومنـدَلِيًّا (٨) ولُبْنَـا

أغمِض العينَ بعده، فغريبٌ أن ترى مثـلَه وأين وأنَّى

أىّ نور أطفأتَ يامُهَريقَ (٩) الـ ـماء فوق الجسم المكلَّل حُسنا

خـتَمَ الضُّـمَّر العِتاقَ وخلَّى (١٠) فى الأَوارىِّ مُقـرَفات (١١) وهُجْنا

عرفوا قدرَه كما تُعـرفُ الشـ ـمسُ ومقدارُها اذا الليلُ جَنَّا

ما رأينـا طودَ الخـلافةِ إلّا (١٢) ووجدناه عادمًا منـه رَعْنا

---

(١) الفعال : الكرم . (٢) الردن : الكم . (٣) المزن : السحاب . (٤) الجنادل : الحجارة . (٥) الجفن : غمد السيف . (٦) النقع : الغبار . (٧) المندلى : العود — منسوب الى مندل وهى بلدة فى الهند — . (٨) اللبن : الكندر وهو معروف باللبان . (٩) المهريق : الذى يصب الماء ويريقه . (١٠) الأوارى : جمع آرى وهو محبس الدابة ، أو هو حبل تشد به الدابة فى محبسها . (١١) المقرف — من الخيل — ما كان أبوه غير عربى والهجين ما كانت أمه غير عربية . (١٢) الرعن : أنف يتقدم الجبل .

فالقصورُ المشيَّداتُ تُعـــزَّى والقبـــورُ المبعـــثراتُ تُهنَّا

ما عجِبنا كيفَ آشترته الليـالى بل عجِبنا كيف آختُدِعنا فبِعنا

ليتَه حين كان دَينـا مع الفقـ ـر إليـــه بقبضـــه أجَّلتنـا

وآستبدَّتْ بمن أرادت فداءً وآعتزاما وإن أحبَّت فرَهْنـا

لو علِمنا أنَّ التفجُّعَ يُدنيـ ـك بكينا دون النساءِ ونُحْنـا

وآختضبنا دمَ المحاجرِ صِرفًا إن أماطَتْ بنـانُهن اليَرَنَّا (١)

ونزحنا الدمـوع سَحًّا ووبلًا وأقمنـا الضلوعَ وجدا وحُزنا

غيرَ أنّ الدارَ التى أنت فيهـا منزلٌ من به أناخ أَبَنَّـا (٢)

لاخَطَا تُربَك السحابُ المصرَّى (٣) أو تؤدَّى فروضُـــه وتُسَنَّا

كلَّما أوسعتْ خُطاه النَّعـامَى (٤) أثقلتـــه أوساقُـــه فأُعنَّـا (٥)

حسِبَ القَطرُ رعدَه نقرَ دُفٍّ فتعاطَى على البسيطةِ زَفْنـا (٦)

وقليـلُ الجدوَى مقالَى يا أطـ ـلالُ، حتى سُقيتِ رَبعًا ومَغنَى

وعزيزٌ علىَّ أن صِرتَ فى نظـ ـم القوافى تُسْمَى لنَدْبٍ وتُكنَى

---

(١) اليرنا : الحناء . — وفيها لغات يرجع اليها فى المعجمات — . (٢) أبن : أقام .

(٣) المصرى : الذى آجتمع ماؤه ، وأصله : ضرع الناقة لا يحلب حتى يجتمع اللبن فيه . (٤) النعامى : ريح الجنوب . (٥) أعن : حبس بالعنان . (٦) الزفن : الرقص .

وقال يعزّى أبا القاسم بن أيّوب عن زوجةِ أبيه أبى المعالى بن عبد الرحيم :

لامِريَةٌ فى الردَى ولا جدَلُ ... العمر دَيْنٌ قضاؤه الأجلُ

للمرء فى حتفِ أنفه شُغُلٌ ... فما تريد السيوف والأسلُ؟ (١)

يَفرِى الدجَى والضّحى بأسلحةٍ ... سيّانِ فيها الدروعُ والخُلَلُ (٢)

فأنجمُ الليل كالأسنةِ والـ ... ـشُّهبُ حسامٌ له الورى خِلَلُ (٣)

ياليت عمرَ الفتى يُمَدُّ له ... ما آمتدّ منه الرجاءُ والأملُ

مواردٌ هذه الحياةُ وما ... نصدُرُ عنها إلّا بنا غُلَلُ

نكرَعُ فى حَوضها ونحن كما ... تُذاد من بَعد خمسها الإبلُ (٤)

كأسٌ أدرَّت على لذاذتها ... عُدّل فيها الزُّعافُ والعسلُ (٥)

كلٌّ إلى غايةٍ يصير ولا ... تمييزَ إلا الإسراعُ والمَهَلُ

والناسُ ركبٌ يَهوِىْ حثَّهُمُ ... ولا يُسَرُّون أنّهم نزلوا

وسوفَ تُطوَى مسافةٌ ذَمَلتْ (٦) ... بقاطعيها ركائبٌ ذُلُلُ (٧)

كيف يُعِدُّ الدنيا له وطنا ... من هو ينأَى عنها و ينتقلُ؟

---

(١) الأسل : الرماح . (٢) يفرى : يشق و يقطع . (٣) الخلل : جمع خلة وهى غمد السيف ، أو هى بطانة يغشى بها غمده . (٤) الخمس : من أظماء الإبل وهو ورودها الماء فى اليوم الرابع بعد رعيها ثلاثة أيام . (٥) الزعاف : السم القاتل . (٦) ذملت : سارت الذميل — وهو ضرب من السير — . (٧) الذلل : المنقادة .

نَسْخوا بأعمـارنا ونبخـل بالـ ـمال فتَبًّ السخاءُ والبَخَـلُ

ونبتغى البرءَ عند من يُسرع الـ ـسُّـقمُ اليـــه وتَصرَع العِلـــلُ

أضاع راقى الداءِ العضـالِ كما ضُيِّـع فى سمـع عاشقٍ عذَلُ؟!

ولو نجـا الهائبُ الجبانُ من الـ ـحتف تحامَى إقدامَه البطلُ

ما أسلموا هذه النفوسَ إلى الـ ـأجداث إلا إذ ضاقت الحيلُ

ضرورةٌ ذلَّت القُـــرومُ(١) لهـا وقد تقودُ المَصاعبَ(٢) الجُـدُلُ(٣)

وخفَّف الخطبَ بعـد شدّته أنْ كُلُّ حىّ لأمِّه الهَبَـلُ(٤)

ومن حِذارٍ تبـوّأ الكُدْيَةَ(٥) الـ ـضـبُّ(٦) وأوفَى فى الشاهقِ الوَعِلُ(٧)

لا الجوّ يُنجِى الشغواءَ(٨) حائمـةً ولا سبوحٌ فى لُجّـةٍ يئـلُ(٩)

يُقتـادُ فى عزّه الخُبَعْثِنَةُ(١٠) الـ ـضـارِى ويُدهَى فى ذلّه الجُعَـلُ(١١)

والحافظو عَورةِ العشـيرةِ لا تـ ـهرِ إذا شنَّ غارةً عُزُلُ(١٢)

أىّ ديارٍ تُحمَى وقـد راع "تا جَ الدِّين" خطبٌ أنيابُه عُصُلُ(١٣)

---

(١) قروم : جمع قرم وهو الفحل العظيم من الإبل . (٢) مصاعب : جمع مصعب وهو الفحل لا يركب لكرامته . (٣) جدل : جمع جديل وهو الزمام المجدول من أدم . (٤) الهبل : الثكل .

(٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها جحرا . (٦) الشاهق : الجبل العالى .

(٧) الوعل : تيس الجبل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل "الشعواء" وهو تصحيف .

(٩) يئل : يجو . (١٠) الخبعثنة : الأسد . (١١) الجعل : ضرب من الخنافس . (١٢) عزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، وفى الأصل "عذل" وهو تحريف .

(١٣) عصل : عوج ، واحدها : أعصل .

مستلبا من يديه لؤلؤةَ الـ ـغواصِ أدنى أصدافِها الكَلَلُ (١)

ما كان يُدرَى من قبلِ ما غرَبتْ أنَّ الثريّا إلى الثرى تصـــلُ

يابؤس للنائبات كيف أرت أُخوة الفرقـــدينِ تنفصـــلُ

وإن عجِبنا منها فـــلا عجبٌ للشمسِ وارَى جبينَها الطَّفَلُ (٢)

لم يرتد المجـــدُ إذ أصيبَ بها ولا مشى العزُّ وهو منتعـــلُ

سليـــلةٌ من ســـوابق درَجوا أمامَهـــا فاستخفَّها العجَـــلُ

من الخـــدورِ التى بها احتجبوا إلى القبـــور التى بها نزلـــوا

تُحـــرُ فى "مكّة" العِشارُ ولا (٣) تُحـــرُ إلا عليهـــم المُقَـــلُ

مهلا فما يربح الحزينُ ولا يخسرُ إلا غناءَه الجَـــذِلُ (٤)

وهل يردُّ الأحبابَ إن رحلوا على محبٍّ أن يُندَب الطَلَلُ ؟

حُوشيتَ من جلسةِ العزاءِ وأن يُضربَ فى أســـوةٍ لك المثلُ

كم قـــد هَوَى من سمائكم قمرٌ وغار فى الأرضِ منكمُ جبـــلُ

فما سكبتم له ذَنوبا من الـ ـدمع ونارُ الأحزانِ تشتعلُ (٥)

ودّعتُموه كأنكم شُمُتٌ أو العِـــدَى عنكمُ قد ارتحلوا

إذا مَراثى أحبابكم تُليتْ سمعتموها كأنها غَزَلُ

(١) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٢) الطفل : حمرة الأفق قبل غروب الشمس .

(٣) العشار : الإبل التى مر على حملها عشرة أشهر ؛ واحدها عشراء . — مثـل نفساء ونفاس ولا ثالث لهما — . (٤) الجذل : المسرور . (٥) الذنوب : الدلو .

فليس ندرى من صخرةٍ نُحتتْ قلوبُكم أم دموعُكم وَشَـلُ؟ (١)

وأنتمُ هَجْمَـــة (٢) تقـاربتِ الـ ـأســنانُ فيها فكلُّها بُزُلُ (٣)

فظاعنٌ (٤) عنكُمُ له خَلَفٌ وذاهبٌ منكُمُ له بدلُ

للدهر نُعمى ومنَّـــةٌ ويدٌ ما قام فى النـاس منكُمُ رجلُ

وقال يمدُح عفيفا القائمىّ :

لأىِّ مَرَمّى تَزْجُرُ الأيانِقـا (٥) إن جاوزتْ «نجدا» فلستَ عاشقا

وإنما كان بكائى حاديا ركبَ الغرام وزفيرى سائقا

مذ ظعَـــنوا (٦) علمتُ أنى منهمُ أشـيمُ فى أعلى السحابِ بارقا

أيا غرابا قـــد نعقتَ بهِـــمُ فكن على آثارهم بى ناعقا

سائلْ شمُوسا ضربتْ حُولها من شُـقّة البين لها سُرادقا

لِمْ جَعَلتْ أعيننا مَغاربا وآتخـــذت خُدورَهـا مَشارقا

وكيفَ لاتحرُسها خيامُها وكل طَرفٍ قد أتاها سارقا

قُلّدت الدرَّ فما شككتُ أن قـد نُظِمتْ ثغـورُها مَخانِقا (٧)

واستهدت الخصـورُ من بَنانها خـواتما تلبَسها مَناطقا

رميتم القلبَ وظـنّى أنكم تُخطون إذ ترمون شيئا خافقا

(١) الوشل : الماء القليل فى مستنقع . (٢) الهجمة : القطيع من الإبل دون المائة .

(٣) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل . (٤) الظاعن : الراحل ، وفى الأصل « قطاعن » وهو تصحيف .

(٥) الأيانق : جمع ناقة . (٦) ظعنو : رحلوا . (٧) المخنقة : القلادة .

فلم يكن أوّلَ ظنٍّ كاذبٍ؛ من يدفعُ الأمرَ أتى موافقا؟!

جراحةُ الأنصلِ (١) إنْ سبرتها (٢) تشهدُ أن السهمَ كان مارقا

أحبِس دمعى فينِدُّ شاردا كأننى أضبِطُ عبدا آبقا (٣)

ومن مُحاشاةِ الرقيب خِلتُنى يومَ الرحيل فى الهوى مُنافقا

كم لىَ فى الظَّلماء من وقائعٍ أسَرتُ فيهنَّ الخيالَ الطارقا

لما أتانى فى عجاجةِ (٤) الدّجَى مارسَ منّى فارسا مُعانقا

ما استوقفتنى الدارُ عن طِلابهم وإن جلَتْ للعين مَرأًى رائقا

إذا رأيتَ القَطرَ يُحيي عُشبَها أبصرتَ مخلوقا بها وخالقا

يُنبِتُ فى هامِ الربى ذوائبا يُضحى لها خدُّ المَصيف حالقا

فاشتملت تِلاعُها (٥) رَفارفا (٦) وأتزرتْ أهضابُها نَمارقا (٧)

وغنّت الحمامُ فى عيدانِها تُحسَبُ فى أفنانها « مُخارقا » (٨)

وهبَّ نجدىُّ الصَّبا تحسَبهُ فارةَ مِسكٍ (٩) فى ثراها فاتِقا

فما رأيتُ الركبَ إلا لامسًا أو ناظرا أو سامعا أو ناشقا

بُعدًا لدهرٍ إن قَرَى أضيافَه سقاهمُ ماءَ الأمانى ماذقا (١٠)

(١) الأنصل : جمع نصل وهو حديدة السهم . (٢) سبرتها : خبرت غورها .

(٣) الآبق : الهارب . (٤) العجاجة : الدخان والعفار ، — والمراد بها الظلمة — .

(٥) تلاع : جمع تلعة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الرفرف : ثياب خضر — وهى مجاز — .

(٧) نمارق : جمع نمرقة وهى وسادة يتكأ عليها . (٨) مخارق : مغن مشهور . (٩) فارة المسك : وعاء المسك — ويسمى النافجة أيضا — . (١٠) الماذق : المشوب المخلوط .

قد كسَد الفضلُ به فما ترى ... فى ســوقهِ للفضل عِلْقا(١) نافقا

ومعجزٌ أنَّ لسانى ناطق ... عند زمانٍ أخرَسَ الشَّقاشِقا(٢)

أكثرُ من تَخبُرُه من أهــلهِ ... يَظهَر فى دِين الوداد فاسقا

غدرٌ يغطّى الذئبُ منــه وجهَهُ ... ويُخجِلُ الخِلَّ الودودَ الواثقا

مَعاشرٌ قــد حَفــرَ اللؤمُ على ... حريم أمــوالهِمُ خنَادقا

سيّان إن عُرِضتُ طِرْفا(٣) صاهلا ... عليهِمُ أو عُدتُ عِيرا(٤) ناهقا

طلبتُ منهم بَيْعةً على [يدى](٥) ... فلم أجِدْ منهم لكفّى صافقا

إلا «جمال الدولةِ» المعطى الندى ... على انتهابِ رِفده مَــواثقا

لو أمسكتْ بنانُه معروفَه ... لأصبحتْ من كفّه طَوالقا

من حَسَــدٍ ظَلَّ الغمامُ باكيا ... بقَطــره وبالرعود شاهقا

لقّنــهُ الطبعُ الكريمُ صُحُفا ... من مذهب الجودِ بفاء حاذقا

ما إن رأينا قبلَه ولا نرى ... من بعدِهِ وعدَ الأمانى صادقا

إن تُلقَح الآمالُ من ميعادهِ ... فعن قليــل ستراها فارقا(٦)

مكارمٌ تُسكِنه فى جَنّةٍ ... قد غرَس الشكرُ بها حدائقا

---

(١) العلق : الشىء النفيس . (٢) الشقشقة : لهاة البعير . (٣) فى الأصل «أعرضت» . والطرف : الجواد . (٤) العير : الحمار . (٥) ليست فى الأصل ، ولعلها أقرب الى ما يتطلبه الصواب . (٦) الفارق : من الدواب التى أخذها المخاض فندت فى الأرض أو هى الناقة التى تفارق إلفها فتنتج وحدها .

من عاش كان ناطقا بحمده ... ومن ثوى (١) أودعه المهارقا (٢)

إن قلتَ : ما أحسنه شمائلا ... قلتَ : وما أكرمه خلائقا

مكرٌّ للكرمات قائلا (٣) ... بكأسها (٤) وصابحا (٥) وغابقا

لا يحسُن المديحُ عنده غيره ... ولا تراه بسواه لائقا

جدَّد فى سُبُل المعالى طُرُقا ... وزاد فى حدِّ الندَى طرائقا

يوماه إما لِطرادٍ يَصطفِى الر جالَ والسلاحَ والسوابقا (٦)،

أو طَرْدِ جمْعَ من أداتِه الـ (٧) ـفهودَ والكلابَ والسَّواذقا (٨) (٩)

فتارةً يصرَعهم فوارسا ... وتارةً يصيدها خَرانقا (١٠)

لو لم تكن تُطربُه الحربُ لمَا ... كان لِسربال العَجاج خارقا (١١)

لولاه ما كان السِّنانُ طاعنا ... يوم الوغى ولا الحسامُ فالقا

إذا الكماةُ لبِسوا دروعَهم ... أقاحيا (١٢) أعادها شقائقا (١٣)

لو هَزّ فى يمينه مخَاصرا (١٤) ... أرسلها بيأسه صواعقا

---

(١) ثوى : مات . (٢) المهارق : الصحف البيضاء يكتب فيها ، واحدها : مهرق — بضم فسكون ففتح — فارسى معرّب . (٣) القائل : الشارب فى نصف النهار أى فى قائلته .
(٤) الصابح : الشارب صباحا . (٥) الغابق : الشارب عشية . (٦) السوابق : الخيل . (٧) الطرد : الصيد . (٨) فى الأصل «اذاية» وهو تصحيف .
(٩) السوذق : الصقر ، وقيل : الشاهين . (١٠) الخرنق : — بكسر الخاء — . الفتى من الأرانب . (١١) العجاج : غبار الحرب . (١٢) الأقحوان وجمعه أقاح : نبات أبيض . (١٣) الشقائق : نبات أحمر . (١٤) المخصرة : عصا صغيرة يأخذها الملك فى يده .

لا يقتنى إلا حساما جاهـــلا ولا يُعِـــدُّ الرمحَ إلا مائقـا (١)

إن شئتَ أن تعـــلم ما فِعلاهمـا فاستخبر الضـــلوعَ والمَفـارقا (٢)

ليس يبـالى بالأعادى بعـــد ما يَعُـــدُّ ذؤبانَ (٣) الفلا أصادقا (٤)

إن أعضـــلَ الأمرُ فنـاطوهُ به كان المصـــلِّى (٥) والنجاحُ السابقـا

لذا ارتقى عنـــد الإمام ذِروةً وحلَّ من رأيِ المليـــك شاهقـا

لاحطَّتِ الأيّام عنـــك رتبـــةً ولا أراك الدهرَ إلا سابقـا

تدوم مادام الزمانُ آمرا أو ناهيـا وفاتقـا وراتقـا

وقال فى بعض الأغراض :

رأيت الحُبَّ ليس يُنـال إلا بحـــظٍّ من جَمـالٍ أو نوالِ

وأنت من القباحةِ ذو نصيب حقيـــق بالتصارم والتقـالى (٦)

وما سَتَرتْ عيوبَك عن عيونٍ بَصيراتٍ يداك ببـــذلِ مالِ

فأيّة خَـــلّةٍ غرّتك حـــتى خطبتَ بها مَودّاتِ الرجالِ

---

(١) المائق : الأحمق الغبى . (٢) مفارق : جمع مفرق — كمجلس ومقعد — وسط الرأس . (٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) أصادق : جمع صديق .

(٥) المصلى : الجواد الثانى فى الحلبة ، والأول : المجلى وهو السابق . (٦) التصارم : التقاطع ، والتقالى : البغض .

وقال فى مثله :

أثَرَوْا فما عـلِم امرؤٌ إثراءَهم ... فلو آملقوا لم يعـلم الإملاقُ

سِيَّانِ إثراءُ اللئـيم وعُدمُه ... إن الدراهمَ عَرفُها الإنفـاقُ

وقال فى الخمر :

وسـلافةٍ بُزلت فأبرزَ دنُّها (١) ... ذهبًا يُرصَّـعُ عَسجدا إبريزا (٢)

خَبرَ النَّـدامى فعلّها فإذا بِهِ ... كالمـال يرجعُ بالذليل عزيزا

فتناهبوها غـيرَ شكّ، إنهـم ... وجدوا بها مِلءَ الدَّنان كنوزا

وقال فى الغزل :

بدا ضاحكا لا لأحظَى بما ... تُسَرُّ به النفسُ من بِشره

ولكن رأى وجهَه مقمرا ... فأبدَى كواكبَ من ثغره

وقال فى مثـله :

أضـدَّانِ فى جسـدٍ واحدٍ ... مقيمان قد جعـلاه قَـرارا

دموعٌ من العين فيّاضـةٌ ... ووَقدٌ من القلب يَرمِى شَرارا

كأنّى من السُّـحُبِ السارياتِ ... يَحملنَ فيهنَّ ماءً ونارا

(١) الدن : إناء كبير توضع فيه الخمر كالراقود، وجمعه : دنان .

(٢) العسجد الإبريز : الجوهر الخالص — كالدر والياقوت — .

وقال لبعض الرؤساء :

شُـدُّوا على ظهر الصِّبا رَحلى ... إن الشبابَ مطيَّـةُ الجهلِ

إن أُحرِزتْ نفسى إلى أمدٍ ... دبَّرتُهـا فى الشَّيبِ بالعقـلِ

إن المغـرَّبَ فى مواطنـه ... من عاش فى الدنيـا بلا خِلِّ

وإذا الفـؤاد ثوى بلا وطرٍ ... فكأنه ربعٌ بلا أهـلِ

من للظباء سـواى يقنِصُها ... إن أسكرتنى حمرةُ العـذبِ؟

أوغلتُ فى خوض الهوى أنَفًا ... للقلب أن يبـقَ بلا شُـغلِ

وحذِرتُ سُـلوانا فسُمتُهُـمُ ... أن يحـرِمونى لذّةَ الوصـلِ

فضَلَتْ دموعى عن مدَى حزَنى ... فبكيتُ مَن قتَـل الهوى قبلى

ما مرّ ذو شَجنٍ يكتِّمـه ... إلا أقـول : متيَّم مثـلى

يُخفى — ولا يَخفَى على نظرى — ... عَـلَمَ الخضوع ومِيسَم الذلِّ

يا فاتكا أضـراه (١) أنَّ له ... قَتْـلَى بلا قَوَدٍ (٢) ولا عَقْـلِ (٣)،

لِمَ لا تُريقُ دَمًا وصاحبُـه ... لك جاعلٌ فى أوسع الحِـلِّ؟

بُعـدًا لغِزلان الخدور لقـد ... خُلَتْ محاجرُهنَّ بالخَتْـلِ (٤)

يرمين فى ليـلِ الشبابِ لكى ... تَخفَـى علىَّ مواقعُ النبـلِ

---

(١) أضراه : أغراه . (٢) القود : القصاص . (٣) العقل : الدية .

(٤) الختل : الخداع .

لو لم يُرِدْ بى الســـوءَ خالقُها ما ضمَّ بين الحسن والبخلِ

اِقذف عدوَّك، إن أردتَ به دهياءَ، بين الأعين النُّجل

يبلُغنَ كلَّ العُنفِ فى لَطَفٍ ويَنلنَ أقصى الجِـــدِّ بالهزلِ

هبْهم لَوَوْا وعـدِى، فطيفهُمُ من ذا يجسِّره عـــلى مطـــلى؟

قـــد كدتُ أُنهِكُهُ معاقَبـــةً لولا آذكارى حُرمةَ الرُّسْـــلِ

وعهودُكم "بالرَّمل" قد نُقضتْ وكذاك من يبـــنى على الرملِ

إن ازمعوا صرما فلِمْ عقَـــدوا يومَ "الكثيب" بحبلهم حبلى؟

لا يوثِق الأُســـراءَ بينهُـــمُ إلا رِشاءُ (١) الفـاحِم (٢) الرَّجْـــلِ

كيف الخلاصُ ومن قدودهِمُ وخدودهم ونهـودهم عقـــلى (٣)

و إذا الهوى ربَط النفوسَ فما يُغنيـك حَلُّ يدٍ ولا رِجْـــلِ

صحبى الألى أزجَـوْا مطيَّهُـمُ حتى أناخوها "بذى الأَثْلِ"

من يطَّلِـعْ شَرَفا فيعلمَ لى هـــل روَّح الرُّعيانُ بالإبلِ؟

أم قعقعَتْ عَمَدُ الخيام أم آر تفعَتْ قِبابهُمُ (٤) عـــلى البُزْلِ (٥)؟

أم غرَّد الحادى بقافيـــةٍ منها غرابُ البين يستملى؟

إنى أحاذر من رحيلهـــمُ ما حاذَرَتْ أُمٌّ من الثُّكلِ

---

(١) الرشاء — فى الأصل — : حبل الدلو — والمراد به هنا الغدائر — . (٢) الفاحم الرجل : الشعر الأسود الكثيف . (٣) العقل : الربط . (٤) فى الأصل « قيامهم » وهو تحريف . (٥) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل .

إن كان ذاك ، فصادَفوا لَقَماً[1] يعمَى الدليـلُ به عن السُّبْلِ

رفقا فلست أُطيق أحمـلُ ما حَمَلَ "الأجلُّ" لنـا من الثِّقلِ

وهو الذى كلٌّ يُقـرّ لـه يومَ الفخار عليـهِ بالفضلِ

أَغلتْ مكارمُه المهـورَ على تزويج بِكرِ القـول بالفعـلِ

وحَبـا العفـاةَ وهم بدارهمُ حـتى دَعَوه جامعَ الشمـلِ

يعطيـك فى عُسُر وفى يُسُرٍ ويُنيـل من كُثْرٍ ومن قُـلِّ

مثل السـحابةِ ما تُغبُّك فى الـ ـحالاتِ من وبل ومن طـلِّ

فكأنما أوحَى إلى يده أن تقتـلَ الإملاقَ بالبـذلِ

شجـر من المعـروف أنبتهـا تختال فى ثمـر وفى ظـلِّ

ومناهـلٌ إن يرضَ واردها بالنَّهْـل[2] يجـبُرُهُ على العَـلِّ

ظنّـا بأن الفـرضَ ليس له حمـدٌ وأن الشكرَ[3] للنَّفلِ

لعـدوه ما للصـديق به والغيثُ[4] رزقُ الحَزنِ والسهلِ

وإذا السماء غدت كأنّ على أبوابها قُفـلا من المحْـلِ،

وجدوا الغمامَ[5] قلائصا[6] غَرِضتْ بالسير من جهـد ومن هُزْلِ[7]

---

(١) اللقم : معظم الطـريق .
(٢) النهـل : أول الشرب ، والعـل : ثانيه .
(٣) النفل : ما يفعل مما لم يجب فعله .
(٤) الحزن : الوعر من الأرض ضد السهل .
(٥) قلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل .
(٦) غرضت : ضجرت وملت .
(٧) الهزل : الضمور .

وآستحسن الكرماءُ من سَغَبٍ (١) أن يبعثوا بذخائر النمـلِ

فى شَتـــوةٍ شمـطاءَ عانسـةٍ عزَّ الرَّضاعُ بها على الطفـلِ،

بكرت انامـلهُ بغـاديةٍ (٢) تكسو البـلادَ مَلاحفَ البَقْلِ

وكأنما الأنـــواءُ حائـلةٌ (٣) عجفـاءُ (٤) تَرمحُ (٥) حالبَ الرِّسْـلِ (٦)

بلغَ المدى، والتابعون له متعثرون بزَلّة النعـلِ

لوقَلّد الشجعانُ عزمتَـه لغَنُوا عن الهِندىِّ ذى الصقلِ

حُنِيتْ أضالعُـه على همـم مخـلوقة للعَقـد والحَـلِّ

لا يدّعى إقـدامَه أحـدٌ وإن آدعاه فوالدُ الشِّبلِ

ما يذعَرُ الخصماءَ من فُطُـمٍ (٧) ترميهـمُ بشقاشقٍ (٨) تغـلى؟!

أبدا يفِـرُّ صريعُ منطقـه منـه إلى الخَطّىّ (٩) والنَّصـلِ (١٠)

يرنو الزمانَ إلى معـانده حنَقًا عليـه بأعينٍ (١١) قُبْـلِ

فى كفِّـه صمّاءُ (١٢) ضـامرةٌ سرقَتْ شمائلَها من الصِّلِّ (١٣)

---

(١) السغب : الجوع . (٢) الغادية : السحابة تمر فى الغدوة . (٣) الحائلة : التى لم تحمل . (٤) العجفاء : المهـزولة غير السمنية . (٥) ترمح : تدفع . (٦) الرسل : اللبن . (٧) فطم : جمع فطيم وهو ما فصل عن الرضاع . (٨) شقاشق : جمع شقشقة وهى لهاة البعير يهدر بها . (٩) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى بلدة تباع فيها الرماح ولا تنبت بها — يقال : رماح خطية — على الوصف ، ورماح الخط — على الإضافة — . (١٠) النصـل : السيف . (١١) قبل : جمع قبلاء وهى العين التى أقبل سوادها على الأخرى . (١٢) الصماء : الحية ، — والمراد بها هنا القلم على التشبيه — . (١٣) الصل : الثعبان .

سـمُّ الأساودِ (١) فى نواجذها (٢) وإن آغتذت بجُاجةِ النحـلِ

ما حُكِّمتْ فى أمرِ مُشكلةٍ إلا أتت بقضـيَّةٍ فَصـلِ

من مثـلُه لقـراع نائبـةٍ فيها فراق العِرْس للبَعـلِ!

هيهات أن تلقَ مشابَه ، أمُّ الصقـورِ قليلةُ النسـلِ

* * *

وقال وكتب بها الى الشريف أبى جعفر بن البَيَاضىّ (٣) يداعبه :

مرضٌ بقلبك ما يعـادُ وقتيـلُ حب لا يقادُ (٤)

يا آخـر العشّاق، ما أبصرتَ أوّلهم يذاد؟ (٥)

يقضِى المتـيَّم منهـمُ نحبا ولـو رُدُّوا لعـادوا

ملكوا النفوسَ فهل لنـا من بعـدها ما يسترادُ

أبدا جنـاياتُ العـيو ن بحَـرِّها يَصلَى الفـؤادُ

ما خلتُ غِزلان "اللِّوى" كظباءِ "مكّةَ" لا تصادُ

يقظـان تَنصـلُ (٦) أحبُلى عنهـا ويقنِصها الرقادُ

بالعـذلِ تُوقَـد لوعتى وبقَـدحه يُورَى الزِّنادُ

لم يسـتطعْ إطفاءَها دمعٌ كما آنخـرقَ المَـزادُ (٧)

---

(١) أساود : جمع أسود وهو الثعبان . (٢) النواجذ : الأنياب . (٣) نسبة الى « بياضة » بطن من الأنصار، أو نسبة الى جماعة نسبوا الى لبس الثياب البيض ببغداد .

(٤) لا يقاد : لا يدفع قوده وهو الدية . (٥) يذاد : يدفع . (٦) تنصل : تنفصل .

(٧) المزاد : وعاء يوضع فيه الزاد .

لا تنكرا جُرحى فلا ... معذَّال ألسنةٌ حِدادُ

طمعٌ وأنتَ "برامةٍ" ... فيمن تضمَّنه النِّجادُ؟ (١)

والحيّ قد هبَطَتْ خيا ... مُهُمُ وقعقعت العمادُ

والوَردُ من زَهرِ الخدو ... د كِمامهُ الكِلَلُ الوِرادُ (٢) (٣) (٤)

لو يسمحون بوقفةٍ ... أبَت المطايا والجيادُ

ظعنوا بأقمارٍ عليـ ... ـها تُحسدُ الكومُ الجِلادُ (٥)

ولأجلها غَبَطَ الغَبيـ ... ـطَ حجابُ قلبي والسوادُ (٦)

فيقول : أيّ الحالتيـ ... ـن أشدُّ، هجرٌ أم بعادُ؟

تعفو المنازلُ إن نأَوا ... عنها وتغبرُّ البلادُ

والحسنُ أولَى بالبِلى ... شوقا إذا بَلِيَ الجمادُ

ما ضرَّهم، والحسنُ لا ... يبقَى، لو آمتنُّوا وجادوا !

أتُرى حرامٌ أن يُرَى ... فى الناس معشوقٌ جوادُ؟!

لعبٌ مفاتيحُ الهوى ... والحرب أوَّلُها طِرادُ

أوَ ما رأيت فتى قريـ ... ـش" وهو للجُلَّى عَتادُ،

وله المعانى المستد ... قةُ والكلامُ المستفادُ،

---

(١) النجاد : حمالة السيف . (٢) الكمام : جمع كم وهو ما يغطى الزهر من الورق الأخضر .

(٣) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٤) الوراد : الحمر كالورد . (٥) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٦) الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج .

وأَصالةٌ فى الرأى بالـ ـسِّحر الموشَّى لا تُكادُ،

وشوارِدٌ فى القول قد قُرِنتْ بها السَّبعُ الشِّدادُ،

"كالهرقليَّاتِ"(١) النوا صعِ ليس يَنفيها آنتقادُ،

فكأنه "قَسٌّ"(٢) "وها شمُ"(٣) حولَ منطقِهِ "إيادُ"،:

كيف آرتعَى زَهرَ الصبا بةِ، والغرامُ له قيادُ

بعد التخيُّل والمِرا حِ ونَى وذلَّلهُ القيادُ

نشوان لا فى عطفه بطرٌ(٤) ولا فى الرأس صادُ(٥)

فبه فلانٌ أو فلا نٌ لا "سُلَيمى" أو "سعادُ"

يرضَى بطيفٍ قال : مو عِدُنا الحشيَّةُ(٦) والوِسادُ

وتُحَلُّ عُقدةُ نُسكِهِ بالشيء لفَّقه البِجادُ(٧)

يا مُصعَبًا(٨) جرّته فى أرسانها(٩) اللُّمُ(١٠) الجِعادُ(١١)

وآستهدفته رواشقُ الـ ـلحظات مثنَى أو أُحاد

---

(١) الهرقليات : العقود المسكوكة باسم هرقل — بفتح الراء وسكون القاف — وسكنت هنا الراء وفتحت القاف لضرورة الوزن . (٢) يشير الشاعر الى قس بن ساعدة الإيادى وهو من أفصح العرب .

(٣) يشير الى بنى هاشم بن عبد مناف القرشى جد أسرة الممدوح . (٤) بالأصل : نظر وهو تصحيف ، والبطر الأستخفاف ، يقال : جر إزاره بطرا . (٥) الصاد : التكبر .

(٦) الحشية : الفراش المحشو . (٧) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به ، وفى الأصل "النجاد" وهو تصحيف . (٨) المصعب : الفحل لا يركب لكرامته . (٩) أرسان : جمع رسن وهو الحبل تقاد به الدابة . (١٠) لمم : جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(١١) جعاد : جمع جعد وهو الشعر الذى فيه التواء وتقبض .

وآســـتعطفته روادفُ كُثبانها[1] نِعـــمَ المِهـادُ
ولَمَى رضابُ النحل يشـ ـهد أنَّ ريقتَه شِهادُ[2]
ولربما خار الجـلـ ـدُ وغُلِّطَ الرأىُ المـرادُ
قـد كان قبـلك فى سبيـ ـل الحبّ لى أبدا جِهادُ
حتى خبا ذاك الضـرا م، وغاية النـار الـرَّمادُ
وإذا رأيتَ الكون فآء لمْ أن سيتبعُهُ الفسـادُ
وآعجب لقـومٍ فى الزما ن على السفاهة كيف سادوا!!
لا عنـدهم كَلِـمٌ تَغـ ـرُّ ولا نُضـارٌ يستفـادُ
أســتغفر الله العـلـ ـىَّ لقـد تذأَّبت[3] النِّقـادُ[4]

* * *

وكتب إليه أيضا وقد عتب عليه بسبب أبيات كانت فى هـذه القصيدة فأسقطها :

عَتَب الشريفُ لأن نشرتُ محاسنا مرموقةً من خُلقِـه وجلالِهِ
وزعمتُ حقّا أنّ بدرَ جَمـاله زانت مطالعَـه نجـومُ خِصـالِهِ
بمحـاسنٍ لو كان يمكن صوغُها أغنتْ غزال الإنس عن خَلخالِهِ

(١) كثبان : جمع كثيب وهو تل الرمل ؛ — ويشبه الردف به — . (٢) شهاد : جمع شهد وهو عسل النحل . (٣) تذأبت : صارت كالذئاب . (٤) النقاد : صغار الغنم .

صِفة الهـــلال بدا أوانَ طلوعه أن لا يشـــقّه زمانُ كمالِهِ

فضلُ الملاحةِ عنـــد كلّ مصوِّرٍ فى الناس ليس إليـــه نقصُ مثالِهِ

عتبٌ لعمرُك ليس يَعتِب مثـــلَه إلا حبيبٌ شـــاءَ(١) قطعَ حبـاله

فامسح جفونَك عن عقابيلِ(٢) الكرى وانظر وصـــلِّ على النبىّ وآلِهِ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى سعد بن المطّلب فى غرض :

أىُّ لبيبٍ بك لم يُخـــدَعِ وأىُّ عينٍ فيك لم تدمَعِ؟!

لا أمدح اليـأسَ ولكنه أروحُ للنفس من المطمعِ

أفلحَ من أبصـرَ عُشْبَ المنَى يُرعَى فـــلم يَـــرْعَ ولم يرتَعِ

يا ليتَ أنّى قبـلَ وَقْرِ(٣) الهوى أذِنتُ للعـــذل على مسمعى

هل ما مضَى من عيشةٍ راجعٌ؟ وانُحلفُ كلُّ الخلف فى المرجِعِ!

أين بدورٌ من بنى "دارمٍ" تبخل أن تُسـفر فى مطلعِ

لا فى سِرار(٤) الشهر تبـــدو لنا ولا ليالى العشـــر والأربعِ

لو لم تكن أعينُهم أسهما ما خرَقَت فى جانب البرقعِ

كيف تَخَطَّينَ إلى مَقتلى وما درَى تُرسى ولا أدرعى

---

(١) فى الأصل "ساء" وهو تصحيف . (٢) العقابيل : البقايا ، — كعقابيل المرض والعشق وغيرهما — . (٣) الوقر : الصمم . (٤) السرار : — بالفتح والكسر — آخر ليلة فى الشهر .

أودعتُهم قلبي وما خِلتُهم ... يستحسنون الغدرَ بالمودِع

صار بأيديهم وحاكمتهم ... فالحقُّ حقّي وأنا المدّعى

لو زارني طيفُهمُ ما درى ... من الضنا أنّى في مضجعي

أقول للركبان قد أزمعوا ... حجًّا إلى الأطلال والأربُع: ،

لَبُّوا بذكرى في "عقيق الحمى" ... وذلك المصطافِ والمَربَع

وأخبروا عنّي بما شئتُمُ ... فإنه دون الجوى الموجِع

دَرَّتْ على مرعاهمُ ديمةٌ(١) ... تحنو على أطفاله الرُّضَّع

غرّاءُ لو يَنبُتُ شَعرٌ بها ... لأنبتت في جبهةِ الأقرع

كلُّ سحابٍ أمطرتْ أرضَهم ... حاملةٌ للماء من أدمعي

وكلّ ريحٍ أزعجت تُربهم ... فإنها الزفرةُ من أضلعي

أتشفع الخمسون لي عندهم؟ ... هيهاتَ والعشرون لم تَشفع!!

إن أمطرتْ عيناي سُحْبا فعن ... بوارقٍ في مَفرِقٍ(٢) لُمَّع

تُريد عُمْرا وشبابا معًا(٣) ... أشياءُ للإنسان لم تُجمَع

سيّان عند الغانيات اكتسى ... رأسُ الفتى بشيبه أم نُعِي!!

يُصبِغُ رأسُ الدهر من ليلِهِ(٤) ... وصبحِهِ بالجَونِ والأسفع

---

(١) الديمة: المطرة الدائمة. (٢) مفرق - كمجلس ومقعد -: وسط الرأس حيث يفرق الشعر، والبوارق اللمع: كناية عن الشيب. (٣) هذا في مختارات البارودي وفي الأصل شيئان. (٤) الجون: الأبيض، والأسفع: الأسود.

نوائبٌ أضعافُ عدِّ الحصى ... تجمعُ بين الضبِّ والضفدَعِ

تصطلمُ (١) العفراءَ (٢) فى قفرها ... وتفجأ العذراءَ فى المخدَعِ

كم مرَّ بى من صَرفه حاصبٌ (٣) ... لو مرَّ بالورقاء لم تسجعِ

رفعتُ من أمواجه منكبى ... حيث يشير الجون (٤) بالإصبعِ

من لم يخُض غمرتها لم يشِدْ ... قواعدَ المجد ولم يرفَعِ

دون المعالى مرتقًى شاهق ... فيطِرْ إلى ذِروته أو قَعِ

قل للصعاليك (٥): أرى دينَكم ... دِينى ودِينَ الأسَد الأفدَعِ

إنما قَرَى (٦) بُرثُنُه نابَهُ ... أو ماتَ طيَّانَ (٧) ولم يَصرَعِ

متى أرا كم كذئابِ "الغضا" ... شممنَ ريحَ المَعزِ الرُّتَّعِ

فى فتيةٍ (٨) أكثرُ تهويمهم ... إسنادُ هاماتٍ إلى أذرُعِ

إن عرَّسوا (٩) لم يعقِلوا إبلَهم ... إلا بوفراتٍ (١٠) مع الأنسُعِ

مثل نجوم الليل يُهدَى بهم ... من ضلَّ فى الدَّيمومةِ (١١) البلقَعِ

---

(١) تصطلم : تستأصل . (٢) العفراء : الظبية البيضاء . (٣) الحاصب : الريح تثير الحصباء وتحملها . (٤) الجون : الأسود — وهو من الأضداد — ويريد به الليل ، ويحتمل أن يكون محرفا عن "الجو" ، والمراد بالإصبع الهلال . (٥) الأفدع : الذى اعوج رسغ يده أو رجله . (٦) قرى : أطعم ؛ والبرثن : — من السباع — بمنزلة الإصبع من الإنسان . (٧) الطيان : الجائع . (٨) عرسوا : نزلوا آخر الليل ، وفى الأصل «غرسوا» وهو تصحيف . (٩) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس . (١٠) الأنسع : جمع نسع وهو الحبل من أدم . (١١) الديمومة البلقع : المفازة القفر .

يخضبُ أيديهم نجيع الطُّلَى (١) إن خضبَ الأقوامُ بالأَيدع (٢)

قلتُ وهم من نَشَواتِ الكرى مـــوائلٌ كالسُّـــجَّد الرُّكَّع ،

حُثُّوا مطاياكم فكم غاية قد بُلِّغَتْ بالأينق الطُّلَّع (٣)

وادعوا " أبا سعدٍ " يساعِدْكُمُ مثلَ سنانِ الأسمرِ (٤) المشرَعِ

باعٌ طويلٌ ويدٌ طَلقةٌ ومنطق يختال فى المجمع

إذا ارتقتْ أقلامُه كفَّه تهزّأت بالخاطبِ المِصقَع

غُدرانهُ بالفضل مملوءةٌ متى يَرِدْها حائمٌ ينقَع

يكشِفُ منه الفَرْعَن (٥) قارحٌ (٦) قد أحرز السبق ولم يُخدَع

ليس جمالُ المرءِ فى بُرده، جمالُه فى الحَسَب الأرفع

يشير إيماءً إليه الورى إن قيل : منَ يُعرَفُ بالأروَع ؟!

يريك ما ضَمَّت جلابيبُه محاسنَ العالَم فى مَوضع

يُوكَسُ من لا أدبٌ عنده وكْس الدنانيرِ ولم تُطبع

أيا أخى ، والودّ أرحامُه إن تُقطَع الأرحامُ لم تُقطع ،

ما بيننا من أدبٍ جامع أقربُ من والدةٍ مُرضِع

---

(١) الطلى : الأعناق ، واحدها : طلية .

(٢) الأيدع : الزعفران .

(٣) الطلع : جمع طالع وهو الذى به غمز يشبه العرج .

(٤) الأسمر : الرمح .

(٥) الفر : الكشف عن أسنان الفرس وغيره لتعرف سنه .

(٦) القارح — من الخيل — بمنزلة البازل من الإبل .

لُبـانةٌ لى هى إن تَقضِهـا صنيعةٌ فى موضـــع المصنـع

ورائدٌ مثـــلَك مســـتودِعٌ أهليـه فى أحفظِ مستودَع

ألا آبلغا عنّى الذى شكره صريرُ(١) رحلِ الراكب المُوضِع(٢)

مَن تَصدُر الآمالُ قد أُترِعتْ مَزادُها من حوضِهِ المـــترَع

لا خُلَّبٌ بارقُ معـــروفِهِ ولا سحابُ اليد بالمُقشِـعِ

إن أنتَ شبّهتَ به غـــيرَه ســـوّيت بين النبع(٣) والخروع(٤)

ما بالُ أعـــدائى ملّكتهـــم عِنانَ رأس السـابحِ الأتلعِ(٥)

يرمون حبّى بحصى زُورهم رمىَ جمارِ الجمّ باليَرمَـــع(٦)

كلُّ فمٍ يَنفُثُ بى قـــرلةً أسلمُ منها لسعةُ الشَّبْدَع(٧)

علىَّ صاروا عنـد نُصحى ولو عملتُ بالغِشّ لكانوا معى

واستعطِفِ الرأى ليرجِـــعْ به من رجَعَ الشمسَ الى "يُوشَعِ"(٨)

فأنتَ أهدَى فى طريق العلا من القَطا فى اللاحبِ المَهيع(٩)

واظفَرْ بها لو أدركت "ثعلبا" أنسته ما يُروَى عن "الأصمعى"

أمسِ رأينا قائـــلا سامعا واليوم قـــد أعوزنا من يعى

(١) الصرير : صوت الباب وغيره . (٢) الموضـع : الذى يسير الإيضاع وهو ضرب من السير السهل السريع . (٣) النبع : شجر ينبت فى أعالى الجبال تتخذ منه القسى . (٤) الخروع : كل نبت ضعيف . (٥) الأتلع : الطويل العنق . (٦) اليرمع : حصى بيض رخوة . (٧) الشبدع — بكسر الدال وفتحها — : العقرب . (٨) اللاحب : الطريق الواضح . (٩) المهيع : الواسع .

* * *

وقال يعاتبُ بعضَ رؤساءِ العصر فى نَبْوةٍ جَرَت بينَهما :

أؤَمِّل بعدَ هـــذا الأسرِ حَلًّا ... وجِـــدَّ نوائب الأيام هَزلا

وأعلم أنّ جَور الدهرِ طوعا ... سيُعقب بعـــدَه بالكُرهِ عدلا

يقولُ لىَ اصطبارى : قف رويدًا ... فأىّ سحائب الغَمَرات تُجلَى

ليـالٍ خابطاتٌ فى سُـــراها ... وما تَدرِى أصبنَ القَصدَ أم لا !

وأيامٌ تَراكضُ فى مَـــداها ... كأنّ وراءها طَرْدا وشَـــلّا

فمَن راغَمنَـــه رجَع الهُوَينا ... ومن أخطأنه بلغ المحَـــلّا

فكم أفقرن بالبؤسَى غنيًّا ... وكم أغنين بالنُّعمى مُقِـــلّا

تُراها خُـــيِّرت فيما لديها ... فما آختارت سواى لهنّ شُغلا ! !

سهامٌ مؤلماتٌ كلَّ يـــومٍ ... تُصيب ولا أرَى ريشًا ونَصلا

ولو كانت نبالُ "بنى هُذَيْلٍ" ... لبِستُ لهن سابغَـــةً (١) رِفَـــلّا

وما ذنبى إليها غـــير أنّى ... جمعتُ محاسنا وحويتُ فضلا

فـــلولا أننى أرعى فـــؤادى ... بأوديةِ الأمانى متُّ (٢) هُـــزلا

أُعُدُّ ذنوبَهـا بيدى، ومَن ذا ... يُعُدّ "بعاجٍ" و"الخبيتِ" (٣) رملا

---

(١) السابغة الرفل : الدرع الطويلة . (٢) الهزل : الضمور . (٣) عاج والخبيت : موضعان مشهوران بكثرة الرمال فيهما .

إذا ما شئتَ أن تحيا سعيدا ... فقل : لا تؤتنى يا ربِّ عقلا

فما عيشُ الوحوش بخير عيش ... به طابت به حُمقا وجهلا

نبُثُّ لها الحبائلَ وهى وهْمَى ... تجاوبُ باغِما(١) وتَرُبُّ(٢) طِفلا

وما للمرء خيرٌ فى حياةٍ ... إذا أمسى على الإخوان كَلًّا(٣)

لقد خلعَ التصابى مستجدٌّ ... نُصولُ عذراه غِمدًا مُحلَّى

تقلّ عن الغرام وأنتَ طِفلٌ ... وتكبَرُ عن طلابِ اللهو كهلا

وفيما بين ذاك وذا شبابٌ ... تمانعك الأحبَّةُ فيه وصلا

فأىّ زمانك الحُلوُ المُهنَّا ... وأىّ قِداحك القِدحُ المُعلَّى(٤)

لذاك بدأتُ بالهجران «هندا» ... كما عاجلتُ بالسلوان «جُملا»

وصرتُ إذا رأيتُ الظبى يرنو ... كأنّى ناظرٌ ليثاً مُدِلّا

إذا ما هزَّ فى بُرديْه عِطفا ... هززتُ عليه من كفّىَّ نَصلا

طروبٌ للوشاة إذا أعادوا ... علىَّ ملامةً فيه وعَذلا

وأحسنُ من قدودِ البيضِ تهفو ، ... قدودُ السُّمر فى الهيجاء تُجلَى

فلا تُبرِقْ لىَ الحسناءُ ثَغرا ... ولا تُرسِلْ على المَتنيْن جَثْلا(٥)

ولا تنفُثْ بسِحرٍ فى جفونٍ ... حلَلْتُ عقودَها كَلًّا وكُحْلا

---

(١) الباغم : الظبى . (٢) ترب : تربى . (٣) الكل : الثقل .

(٤) المعلى : سابع سهام الميسر . (٥) الجثل : الشعر الكثيف .

على أنّ الهـوى فى كلّ قلبٍ ... ألذُّ من المنَى طَعما وأحـــلَى

فلا يغـرُرْك من ينجو سليمًا ... ولا تحسبْ علاجَ الحبّ سهلا

ولكنّى آستعنتُ على فؤادى ... بأصـــنافِ الرُّقَى حتى أبَلّا (١)

وحذّرنى من الأحبابِ أنّى ... رأيتُ دَمًا «لعُروةَ» (٢) كيف طُلّا

أقلنى من ظبـاء "بنى عَدى" ... فمـا أخشى ظباءَ الإنس كلّا

فهنّ إذا غَزَوْنَ إلى قبيلٍ ... أسرن مُعاهِـــدا وقتلن خِلّا

وما أهوَى سوى البَيداء دارًا ... وأفراسًا تَضيعُ (٣) بهـا وإبلا

وأسمرَ يرعُد الأنبوبُ منـــه ... غداةَ الروع خوفا أن يَزِلّا

وأبيضَ تحسبُ الطُّبّاعَ بثّتْ ... على مَتنيْه والحَدين (٤) نمـلا

وممشوقٍ من الفِتيـانِ يُدعَى ... لكلّ عظيمةٍ فيجيب : هَـلّا

كأنّى فى الضحى أرسلتُ صَقْرا ... وفى جُنح الدجى سِمْعا (٥) أزَلّا (٦)

أشير له فيفهـــمُ وَحَى طَرفى ... وخيرُ القول ما إن قَـــلّ دلّا

(أنا آبن جلا وطـلّاعُ الثنايا) (٧) ... وصاحبُ سـيرةٍ تروَى وتُملَى

تحكّكْ «بالرئيس» (٨) وفز بشكرى ... وحقًّا تطلُبُ الجـربـاءُ (٩) جِذْلا،

---

(١) أبل : شفى . (٢) عروة بن حزام : أحد الذين قتلهم الحب . (٣) كذا بالأصل ولعلها محرفة عن تصبح أو تعج وما الى ذلك . (٤) فى الأصل « الخدين » .
(٥) السمع : الذئب . (٦) الأزل : الخفيف الوركين السريع . (٧) من قول سحيم بن وثيل الرياحى وقد استشهد به الحجاج وتمام البيت .
* متى أضع العمامـــة تعرفونى *
(٨) فى الأصل «الحرباء» وهو تصحيف . (٩) الجذل : أصل الشجرة ، أو هو عود ينصب للجربى تحتك به .

تلاقِ المجـــدَ برَّاقَ المُحيَّـا وثغرَ الجُـود يضحَك مستهِلا

ومطـــروقَ الفِنـاءِ لزائريه تقولُ كلابُه : أهـــلا وسهلا

شمـائلُ تسرِق الأقوامُ منهـا وتَفضَح بالمتحانٍ من تحـلَّى

وهبْ أنّ الرجالَ حكَتْه قولا فهـــل يحكونه قـولا وفعلا؟!

يطوفُ الوفدُ فى الآفاق حتّى تُحَـطَّ به الرحائلُ حيثُ حلَّا

إذا نزلوا فما لهـــمُ ارتحالٌ ومن ذا يجتوى (١) بَرْدًا وظِـــلَّا

وكلُّ فضيلةٍ ذُكِرَتْ لقـــوم رأَوه بذكرِها أحرَى وأولَى

هو البطلُ الذى خَصَم الليالى فبيَّـن فى وقائعهـا وأبلَى

يحيـد خُصومه (٢) عنه، ومَن لا يخافُ الليثَ أقبـلَ مصمئلًّا (٣)!

يَروع بصمتِه من شاءَ منهـم وتخشَى الطيرُ بازيا تَجـلَّى (٤)

شهدتُ بأنه الدرُّ المصـــفَّى وأنفسُ قيمـةً منـــه وأغلَى

وقالوا : هل سواهُ بقِى أناسٌ يليقُ بها المديحُ، فقلتُ : كلَّا!

بـلى يا ربما نُسِـــبوا ادعاءً إلى كرمٍ كما نُسبَ "المُعلَّى" (٥)

ألَا يا أيّهـا الرحبُ السـجايا ومن يسقِى بكأسِ الجود علَّا (٦)

---

(١) يجتوى : يكره . (٢) فى الأصل «خصومة» وهو تصحيف . (٣) المصمئل : المتفخ غضبا وشدة . (٤) تجلى : نظر الى الشىء مشرفا . (٥) فيه إشارة الى قول أبى على البصير :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم

(٦) العل : الشرب الثانى، والأول : النهل .

عهدتُ نداك يورِقُ منه عُودِى ... ويُمرِعُ إن شكت كفَّاىَ مَحْلَا

وما زالتْ عُلاك أُحِلُّ منها ... ربًى من رامنى فيهنّ زلَّا

وكم لكَ من أيادٍ قد تشكّتْ ... اليك مناكبى منهنّ ثِقْلا

نظمتُ من الثناء لها "زَبورا" ... لفرط الحسن فى المحراب يُتلَى

فما لى يشلِمُ الأعداءُ حدِّى ... ويختلق الوشاة علىَّ بُطلا!

ويرمونى بزور القول حتّى ... تمنَّى جانبى لو كنّ نَبْلا

فيا لله حيث وضعتُ جنبى ... أمارسُ عَقربا منهم وصِلًّا! (١)

محالُهُمُ يمُدّ الىَّ باعا ... وباطلُهم يحُطُّ علىَّ رِجلا

خُصومٌ ينظرون إلىَّ شَزْرا ... ومن ذا يقهَر الخصمَ المُوَلَّى

ولو لم أشجُهم (٢) بدَمِى ولحمى ... لقد أفنَوْهما شُربا وأكلا

ولا والله ما قارفتُ ذنبًا ... ولا جذَّت يدى للنصح حَبلا

ولا استذكرتُ ما أوليتَ إلا ... رأيتُ خِيانتى والغدرَ بَسْلا (٣)

وأُقسم "بالمطايا مُشعَراتٍ" (٤) ... غداة النحر قد خُلخِلن (٥) عُقْلا (٦)،

و"بالغُبر الأشاعث" (٧) لا دِهانٌ ... تُرجِّلهم (٨) ولا "الهاماتُ" (٩) تُفلَى،

(١) الصل : الثعبان . (٢) أشجهم : أغصهم بالشجا وهو ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .
(٣) البسل : الحرام . (٤) المشعرات : البدن المعلمة وهو أن يشق جلدها أو أن تطعن أسنمتها لتعرف أنها من الهدى . (٥) خلخلن : ألبسن فى موضع الخلاخيل . (٦) عقل : جمع عقال وهو ما تربط به الدابة . (٧) الغبر الأشاعث : الإبل المغبرة المتلبدة شعر الرأس .
(٨) رجل الشعر : سرحه . (٩) هامات : جمع هامة وهى الرأس .

و"بالجمرات" تحذفُ "أخشبَيْها"(١) أنامـلُ تبتغي مَنًّا وفضـلا،

و" بالحَرمين" تملأُ عرصَتَيْها من الآفاقِ ركبانٌ ورَجْـلَى،

و" بالبيتِ المقدَّسِ" والموقَّى قِرى الأضيافِ عنه "والمصلَّى"، :

بأنى ما لبستُ الغشَّ ثَـوبا ولا أسكنتُ قلبي فيـك غِلًّا

وما هى غيرُ أقـوالٍ تُوشَّى ولستَ ترى لها فرعا وأصلا

وأنت الحاكمُ العـدلُ القضايا إذا حار امرؤ فـيما تـولَّى

أعوذ بحسن رأيك منك فيها وأن ألقَى من الخُصماء خَبـلا

فإن حزَّ القَـوارِى(٢) فى أديمى فلا عيبٌ إذا ما السيفُ فُلَّا

* * *

وقال يمدحه :

لقـاؤك يا "لُبنَى" لقـاءُ خَيالِ فمـا منـكما إلا غريمُ مِطـالِ

مواعيـدُ كاليقظَى خوالب بارقٍ وضُمَّانُهُ الوسـنَى تخيُّـلُ آلِ

وإنى وإن جرّت زمامى عواذلى لأتبعُ فيـكِ باطـلى وضَـلالى

وأعـلمُ أن الحبَّ موقفُ طاعةٍ يُجـاب به للشـوق كلُّ سـؤالِ

ومن ظنّ أن العذلَ يقتنص الجوى فقـد قاده صـعبا بغـير عِقـالِ

---

(١) الأخشبان — بصورة التثنية — : جبلان بمكة، اسم أحدهما : أبو قبيس؛ والآخر : الأحمر، وفى الحديث «لاتزول مكة حتى يزول أخشباها» وهما من المثنيات التى لا تفرد، كالرافدين لدجلة والفرات.

(٢) القوارى : اللواتى يقطعن الأديم — وهو الجلد — ويشققنه على جهة الإفساد.

لأنتَ أطبُّ الناس إن كنتَ قادرا ... على بُـــرء داءٍ بالفـــؤاد عُضـالِ

وصـــفتَ لسقمى قُبـلةً وٱعتناقةً ... وذاك شـــفاءٌ فى رءوس عَـوال (١)

إذا لم يذُق شيئا سوى الهجر عاشقٌ ... فمن أين يـــدرى كيفَ طعمُ وصالِ!

جهـــولٌ بشأن الغانيـاتِ مسَلِّم ... عليهنَّ فى شَيبٍ ورقّـةِ حالِ

لِبسن لنـا دِرع الصـــدود كأنما ... نراميهُـمُ من شَـــيبنا بنصـالِ (٢)

ليـالى الشـــبابِ هنّ أيامُ غُرَّةٍ ... وأيامُ شَيبِ المـــرء هنَّ ليـالِ

وددتُ وإن كانت من العمر تنقضى ... لو ٱنّ بواقيهـا تكون حَـــوالى (٣)

ولى فى بيـوتِ «العـامريّةِ» حاجةٌ ... هى المـاءُ فى عَضْبٍ (٤) حديثِ صِقالِ

زعمتُ البدورَ والشموسَ ظِبـاءَهم ... فلا تُنكروا فيهنَّ بُعْـدَ مَنـالِ

تطلَّعنَ من سُـود البيوتِ كأنمـا ... تَطلَّعَ بَيْضٌ (٥) بينَ زُفٍّ (٦) رِئالِ

ومـا حاجةُ الغَـيْرَانِ فيهم إلى القنـا ... وقـــد منعتْ منهم عِصِىُّ حِجالِ (٧)

كما قد حمت نفسُ "ٱبنِ مَروانَ" مجدَه ... بأبيـضِ عـــزمٍ أو بأحمـــرِ مالِ

مضىءُ نواحى الوجهِ، يُمزجُ بِشره ... بخَمرِ حيـاء فيه مـاءُ جَمـالِ

نسيبُ المعـالى، ليس تدعوه حاجةٌ ... الى صيتِ عمٍّ أو نباهةِ خالِ

---

(١) عوال : جمع عالية وهى أعلى القناة . (٢) نصال : جمع نصل وهى حديدة السيف والرمح والسهم . (٣) حوال : جمع حالية وهى التى عليها حليها . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) الزف : ريش النعام . (٦) رئال : جمع رأل وهو ولد النعامة

(٧) حجال : جمع حجلة وهى بيت يزين بالستور للعروس .

إذا آفتخـر الإنسانُ يوما ببُردِهِ (١) فما بُردُه إلا كريمُ خصالِ

شبيبـةُ عزمٍ وآكتهـالُ بصـيرةٍ وتحـريمُ عِرضٍ وآنتهابُ نوالِ

شمائلُ لو يُنظمنَ أغنَى نظامُهـا نحـورَ الغـوانى عن عُقود لآلى

وما جاذبوه الفخـرَ إلا وحازه بأيدٍ الى نَيـل العـلاء طِـوالِ

صنائعه فى النـاس ترعَى سَوامُهـا أزاهـيرَ شكرٍ فى رياضِ مَعـالِ

ومِن عشـقهِ المعروفَ أعطى قيادَه سـؤالَ تجنٍّ أو سـؤالَ دلالِ

كذا السُّحْبُ يَسقِى كلَّ أرضٍ قِطارُها بريح جَنـوبٍ مرَّةً وشَمـالِ

ليهنِـك آلاءٌ ضمِنتَ وفاءَهـا من الجود حتى بات ناعمَ بالِ

وأنـك بالنُّعـمَى التى قـد بثثتَهـا ملكتَ من الأحرار رِقَّ مَـوالِ (٢)

فللّه مـاضٍ من لسـانك إنه لنعـمَ لِزازُ الخصم يومَ جِـدالِ (٣)

ولله ما ضمَّـت بنـانُك إنهـا قنـاةُ طِعـانٍ أو خبيئـةُ ضـالِ (٤)

فِناؤك للعافين بَعـلُ أرامـلٍ ونارُك للسّـارين أُمُّ عيـالِ

عهـدتُك تلـقَى كلَّ مرء بقيمـةٍ وما كلُّ أعـلاقِ الرجال غَـوالِ

فـلِمْ أنا فى مـيزان عـدلك كِفَّـتِي تشِـفُّ اذا قابلتَهـا بمثـالِ (٥)

ويرجحُ أقـوامٌ كأن جباهَهـم نِعـالٌ لما زيَّنتَهـا بقِبـالِ (٦)

(١) البرد: الثوب . (٢) موال: جمع مولى وهو العبد . (٣) اللزاز: شدة الخصومة .
(٤) الضال: جمع ضالة وهى السلاح أجمع، وقيل السهام . (٥) تشف: تنقص . (٦) القبال: زمامة النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

نصيبي من الأموال ما يُمسك الدَّبَى (١) وحظّى من النيران حَظُّ ذُبالِ

ولولاك ما كانت "لطآما" (٢) موقفى ولا أرضُ "باجِسْرا" (٣) محطَّ رحالى

مقيما بها كالسيف أُلزِمَ غِمدَه وقد كان يرجو الرىَّ يوم نزالِ

ولو أُطلقت حدّاه وآستُلَّ فى الطُّلَى (٤) براها يمنى ضارب وشمالِ

وما ينفع الطَّرفَ المطهَّمَ (٥) سبقُه إذا كان محبوسا بضيقِ مَجالِ

أرى كلَّ مشنوءِ (٦) الخليقةِ واصلا قِصارَ حبال عجزه بحبالى

تماثيلُ كالأنعام أبقلتِ الربى (٧) لها فغدت فى رعيةٍ وصيالِ

وإنّ زمانا ضمّ شملى وشملَهم لكالليل مَسرَى ضيغم ونمالِ

ستعلَمُ من متّا (٨) إذا بعُد المَدَى (٩) عليه، تشكّى من وجًى وكَلالِ

وتفرُقُ ما بينى هناك وبينهم (١٠) وكيف تُسوَّى (١١) بُزَّلٌ بفصالِ

وما كنتُ أرضَى أن تكونَ ديارُها ديارى ولا تلك الرحالُ رحالى

ولكنّنى ركّابُ (١٢) ما أنا قائد ولو ظهر (١٣) مجزولِ السَّنامِ (١٤) ثَمَالِ

---

(١) الدبى : النمل ؛ والذبال : الفتيلة . (٢) كذا بالأصل ولم نوفق إلى تصويبها .

(٣) باجسرا – بكسر الجيم وسكون السين وراء والقصر – بليدة فى شرقى بغداد كثيرة النخل عامرة .

(٤) كذا بالأصل . (٥) الطرف المطهم : الجواد التام الحسن . (٦) المشنوء : المبغض المكروه . (٧) فى الأصل هكذا «رعمه» . (٨) الوجى : الحفا . (٩) الكلال : التعب والإعياء . (١٠) البازل – من الإبل – : المسن . (١١) الفصيل : ولد الناقة يفصل عن الرضاع . (١٢) المجزول : الذى قطع القتب غاربه . (١٣) السنام : ما ارتفع من ظهر البعير . (١٤) الثمال : البطىء .

وقد يُرتعَى حَمْضٌ[1] وفى الأرض خَلَّةٌ ... ويُشرَبُ ماءٌ وهو غيرُ زلالِ

وتسكنُ خفضَ الأرض أُسْدُ خفيّةٍ[2] ... وتسمو الوعولُ فى رءوس جبالِ

وما هو الإ ذنبُ دهرٍ معاندٍ ... يرَى بُرَءَ أهل الفضل غيرَ حلالِ

ويارُبَّ أعطَى الأمانىَّ قانطا ... فقد تلقَح العقماءُ بعد حِيالِ[3]

* * *

وقال يهنئه بخلاصه من الاعتقال[4] :

إحدَى الكواعب من «بنى نصرِ» ... شهد الظلامُ لها على البدرِ

كالبَيْض تحضُنه نعائمه ... بيضاءُ فى كِلَلٍ[5] من الشَّعرِ

سكرَى اللواحظ وهى صاحيةٌ ... فدموعها فنٌّ من الخمرِ

ما خِلتُ أنّ بياضَ مقلتها ... وسوادَها صُحُفٌ من السِّحرِ

بسَمتْ وقد برزتْ قلائدُها ... فرأيتُ ما فى النحرِ فى الثغرِ

ومن العجائبِ أن تصادف فى الـ ... ـعذب الزُّلال لآلئُ البحرِ

كيف اهتديت لحبّ ظالمةٍ ... وثَبَ الغرامُ بها على الصبرِ

جمَّشتُها[6] فنبَتْ ، فقلتُ لها : ... أهوَيتُ أطلبُ معدِنَ التبرِ؟

---

(١) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عن سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات . (٢) خفية : أجمة من سواد الكوفة تنسب اليها الأسود ؛ وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٣) الحيال : العقم . (٤) فى مختارات البارودى : «وقال يمدح ابن فضلان ويهنئه بخلاصه من السجن ويستنجزه وعدا» . (٥) كلل : جمع كلة وهى ما يغطى به الهودج .
(٦) جمشتها : داعبتها .

ضُربتْ بأسنمةِ[1] قِبابهمُ وكأنّها فى ساحة الصدرِ
بِيضٌ وسُمرٌ فى خيامهمُ ممنوعةٌ بالبيضِ والسُّمرِ[2]
بدم المحبِّ يباع وصلُهمُ فمن الذى يَبتاع بالسعرِ
لو كان غيرُ الحب جيشَهمُ[3] ألفيتَهُم فى جحفلٍ مَجْرِ[4]
هجروا وهجرُهمُ على دَخَلٍ[5] فلأجل ذلك طيفُهم يَسرِى
وهَب الظلامُ لنا محاسنَه وأظنُّ مرسلَه بنا يدرى
حتى إذا الإصباحُ أيقظهُ ولىَّ يُؤذَّن فيه بالغدرِ
ياليلةً «بالرمل» قصَّرها حلُّ العناقِ[6] معاقدَ الخُمُرِ[7]،
كادت خُطانا أن تنمَّ على آثارنا وطُمِسنَ بالأُزرِ،
ورأت كلابُ الحىّ ريبتَنا فكَمُن عن نبح وعن هَرِّ:
فُضَّت خواتيمُ السرور بها واللهوِ حتى مطلع الفجرِ،
لولا التحرُّجُ والغلوُّ لما أُسْمِيتِ إلا ليلةَ القدرِ
والليلُ عِقْصَتُه[8] قد انتشرت ورمتْ مَدارى[9] الأنجم الزُّهرِ

(١) أسنمة : جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير . (٢) المراد بالبيض والسمر الأولين : الجوارى الحسان ، وبالأخريين : السيوف والرماح . (٣) كذا فى الأصل ولعلها « الحسن » . فحرفت عنها . (٤) الجحفل المجر : الجيش العظيم . (٥) الدخل : الغش والخداع .
(٦) كذا فى مختارات البارودى ، وفى الأصل «العتاب» . (٧) الخمر : جمع خمار وهو كل ما غطى رأس المرأة . (٨) العقصة : الضفيرة . (٩) المدارى : جمع مدراة وهى المشط .

"والنسرُ"(١) قد أعيت قوادمُـــهُ والغـــربُ يجـــذبه إلى وكرِ

وهوتْ من "الجـوزاء" منطقةٌ زهـــراءُ لم تُعقـــد على خصرِ

ورمَى "الثريّا" من معلّقها سبقُ "السِّماك"(٢) وحربةُ "الغَفْرِ"(٣)

فكأنّها والشمسُ تجمعها رهـــطٌ قد ازدحمـــوا على سِرِّ

مثـــل العـــذارى من تعنّفها تســـتصحبُ الدَّبرانَ(٤) كالحـــدرِ

"وهـــلالُها" تحكى آســـتدارتُه عَقـــدَ التمام لعِـــدّة الشهرِ

وعلى "المجـــرّة" أنجمٌ نُظمتْ مثـــلَ الفقـــار(٥) نُسِقن فى الظهـــرِ

هـــذى حَبابٌ(٦) فـــوق صفحتها طـــافٍ، وهذا جدولٌ(٧) يجـــرى

كَيْدِ "آبن فَضْـــلانٍ" غمائمُها تغـــدو ببـــذل الوفر أو تسرى

إن حلّ فى بيـــداءَ أو بـــلدٍ نابت سحائبـــه عن القَطْـــرِ

أىُّ المكارمِ قـــد تأبّطها وعـــزائمٍ فى ذلك الصـــدرِ؟!

طهُـــرت من الأحقادِ نيّتـــه والقلبُ مغســـول من الغِمْـــرِ(٨)

لامُـــوه فـــيما أتلفتْ يـــدُهُ فـــرأى المحامـــدَ أنفسَ الذُّخرِ

---

(١) النسر : يشير بذلك إلى كوكبين : يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع .

(٢) يشير بذلك إلى كوكبين يقال لأحدهما : السماك الأعزل ، وللآخر : السماك الرامح . (٣) الغفر : ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهى من الميزان . (٤) الدبران : منزل من منازل القمر ؛ ولم تتبين معنى هذا البيت . (٥) الفقار : عظم سلسلة الظهـــر . (٦) الحباب : ما يعلو على وجه الماء من الفقاقيع . (٧) الجدول : النهر الصغير . (٨) الغمر : الحقد والغل .

إن قال فالسيفُ الحسامُ مَضى ... أو صال أفنَى الليثَ بالذرِّ

ما إن أرى فى الناس من أحدٍ ... إلا يُمتُّ اليه بالشكرِ

حتى كأنّ الأرضَ طبّقها ... بغمائم نشأت من البرِّ

قد مارس الأعداءُ شدّتَه ... فاستسلموا لليث ذى الأجرِى (١)

وكوت مياسمُه (٢) قلوبهم ... والكىُّ مشفاةٌ لدَى العرِّ (٣)

إنّ الشدائدَ مذ عُنينَ به ... قارعنَ جُلمودا من الصخرِ

حمَلَ النوائبَ فوقَ عاتقهِ ... حتى رجعنَ إليه بالعُذرِ

وبوائقُ (٤) الأيّام عاديةً ... لاقين منه دامىَ الظُّفرِ

لا تنكروا حَبْسا ألمَّ به ... إن الحِسانَ تُصان بالخدرِ

والغِمدُ ليس تُفاض بُردتُه ... إلا على الهندىّ (٥) ذى الأثرِ (٦)

إن حجّبوه فكلُّ ذى شرفٍ ... يعترُّ بالبوّاب (٧) والسترِ

يغشى الكسوفُ الشمسَ إذ عظُمتْ ... ويعافُ ضوءَ الأنجم الزُّهرِ

قد يستسرُّ (٨) البدرُ ليلتَه ... ليتمَّ ليلةَ رابع الشهرِ (٩)

---

(١) أجر : جمع جرو وهو شبل الأسد . (٢) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان .

(٣) العر : الجرب . (٤) بوائق : جمع بائقة وهى الداهية . (٥) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (٦) الأثر : جوهر السيف ورونقه . (٧) فى الأصل «النواب» وهو تصحيف . (٨) استسر : اختفى ليلة أو ليلتين فى آخر الشهر . (٩) كذا بالأصل وبمختارات البارودى ومراده : الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

أَوَليس «يوسفُ» بعـد محنتِهِ ... نقلوهُ من سجن إلى « مصرِ »(١)

لَمَرقَتَ منها مثلما ما أنكدرت ... فَتخاءُ(٢) ترمِى الطـيرَ بالذُّعرِ(٣)

وصبرتَ حتى انجابَ غيهبُها؛ ... إنَّ النجاءَ عواقبُ الصـبرِ

تُنسَى مرارةُ كلِّ نازلةٍ ... بحـلاوةٍ فى النهى والأمرِ

وإذا الأغانى حنَّ مِزهرُها(٤) ... ولَّى حنينُ النـابِ(٥) والبَـكرِ(٦)

واذا تولَّى الشيءُ تكرهُـه ... فكأنّه مادار فى سِـرِّ

حمـدا وشكرا للإلٰه على ... ما قد حباك وواجب النَّذرِ

وكأننى بك فـوق غاربها ... متسنِّما فى ذِروة الفـخرِ

يرمِى العـلاءُ اليك مِقـودَه ... لا ينثنِى بغماغـم(٧) الزَّجرِ

إن العـظائمَ ربّما بُلغت ... بالهَـوْن لا بالكرِّ والفَـرِّ

وكذا الألُوفُ على تفاوتها ... محسـوبةٌ بأنامـلِ عَشْـرِ

أنا من يُغـالِى فى محبّتِـهِ ... وولائه فى السرِّ والجهـرِ

ما ذاق طعـمَ النـوم ناظرُهُ ... حتى البشـيرُ أتاه بالبشرِ

ولك الأيادِى لستُ أذكرها ... إلا يَجِيشُ بحمـدها صـدرى

هى نِعمـة ليـديك أشـكرُها ... طـولَ الزمان وآخرَ العَـصرِ

---

(١) يشير : الى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وهى أشهر من أن تذكر . (٢) انكدرت : انحدرت . (٣) الفتخاء : العقاب . (٤) المزهر : العود. (٥) الناب : الناقة المسنة . (٦) البكر : الفتىّ من الإبل . (٧) غماغم : جمع غمغمة وهى الصوت .

قـد كان وعدٌ منـــك أقسمَ لى ... بعلاك : أنك مصلحٌ أمرى
وإخال أنّك لستَ ناسيَـهُ ... لكننى آستظهـرتُ بالذّكر
قـــد حَزَّت الأيامُ فى كبِـــدى ... وأطـافَ بى مسٌّ من الضُّرّ
وسئمتُ عَتبى كلَّ نائبـة ... ومِلْتُ ما أشكـو من الدهرِ
وإذا جذبتَ إليـك من ضَـبعِى (١) ... طاعنتُهـا بأسـنّةِ القهـرِ
وصرفتَ عنّى كلَّ نائبـةٍ ... صرفَ الهمـوم سـلافةُ الخمـرِ
أهـــدت لك النّعماءُ أنفَسَهـا ... من عانس (٢) أو عاتقٍ (٣) بِـكرِ
وخَطتْـك أحداثُ الزمانِ ولا ... برِحتْ رِباعَك (٤) ديمـةٌ تجـرِى
لولاك فى الدنيا لمـا آعترفوا ... للأكرمين بهـا سـوى الذكرِ

* * *

وكتب إليه يعزّيه عن أخيه :

عزاءً، فمـا يصنع الجازعُ ؟ ... ودَمْع الأسى أبدا ضـائعُ
بكَى النّاسُ من قبلُ أحبابَهم ... فهـل منهُـمُ أحـــدٌ راجـعُ ؟!
عرفنا المصائبَ قبـلَ الوقوع ... فمـا زادنا الحـادثُ الـواقعُ

---

(١) الضبع : — بسكون الباء — العضد . وربما حركت للضرورة . (٢) العانس : الجارية فاتت سن الزواج . (٣) العاتق : التى لم تتزوج ؛ وقيل : هى التى بين الإدراك والتعنيس ؛ أو هى الجارية أول ما أدركت ، وفى الأصل «علق» وهو تحريف . (٤) رباع جمع ربع وهو البيت .

ولكنَّ ما ينظـر الناظرو ... نَ ليس كما يسمعُ السامعُ

يُدَلَّى آبنُ عشرين فى لحـدهِ ... وتِسـعون صـاحبُهـا راتعُ

وفى رأس ذا أسـودٌ حالكٌ ... وفى فـرعِ ذا أبيضٌ ساطعُ

ليعـلم من شكَّ أن المنـو ... نَ هـوجاءُ[1] ما عنـدها شافعُ

وإن هُنَيـدةَ[2] من عاشَهـا ... لفى عيشـةٍ بعـدها طامعُ

فقل لىَ : ما السُّر فى ذى الحيا ... ة تُهـوى وطائرُهـا واقـعُ ؟

يهيم عليها الكسوبُ الحريصُ ... ويعشقهـا الساجدُ الراكعُ

وللمرء، لو كان يُنجى الفـرا ... ر، فى الأرض مضطرَبٌ واسعُ

ومَن حتفُـه بين أضلاعـه ... أيمنعـه أنّه دارعُ[3] ؟

وكلُّ أبىٍّ لداعى الحِمام ... متى يـدْعُه سـامعٌ طـائعُ

يسـلِّم مهجتَـهُ سـائمـا[4] ... كما مـدَّ راحتَـه البـائعُ

وحى « الضَّيْزَن » عن متنـهِ ... و« حسَّانُ » أسلمه « فارعُ »[5]

---

(١) الهوجاء : الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٢) هنيدة : مائة سنة . (٣) الدارع : الابس الدرع . (٤) السائم : عارض السلعة ليبعها ؛ وفى الأصل هكذا « ساعا » . (٥) كذا بالأصل وقد كتب أمام هذا البيت على الهامش « فى الأصل » والمراد أن ناسخ الديوان لم يوفق الى صحة هذا البيت فاضطر الى أن ينبه عنه ؛ والضيزن : ملك الجزيرة وكان له حصن منيع يقال له : الحضر — بفتح الحاء وسكون الضاد — . وفارع : حصـن بالمدينة كان لحسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا الشرح الوجيز يمكننا أن نقول : لعل الشاعر أراد

رَمَى "الضَّيْزَنَ" "الحَضْرُ" عن مَتْنِهِ * وحَسَّانُ أَسْلَمَـهُ "فارِعُ"

وفى الأصل «قارع» وهو تصحيف .

وهبّت على «تُبّع»[1] نفحةٌ فلم يبقَ من رهطهِ تابعُ

ولو أنّ من حَدَثٍ سالما لما خَسَفَ القمرُ الطالعُ

ولا صِيدَ فى شَرَكِ النائباتِ فتًى لشروطِ الفتى جامعُ

غلامٌ كأنبوبةِ السمهرى[2] تُعيي اذا رامها الصادعُ

شمائلُهُ مثلُ نَوْرِ الرّيا ضِ تَمنَعها باكرٌ هامعُ

تكاد تبكّى عليه الغصونُ اذا ناح قُمريُّها الساجعُ

عجبتُ لذاك الحُلِيِّ المصوغ لنا كيف يُفسِده الصانعُ

تخرّمه ورُواءُ[3] الشبا بِ لم يدرِ كم طولُهُ الذارعُ

على حين أُفرغَ فى قالَبِ الـ جمالِ، ورونقُه الطابعُ

وكيف توقّى[4] الفتى ما يخافُ اذا كان حاصدَه الزارعُ

ومن فوقهِ ظُلَلٌ كالغمامِ ومن تحته جبلٌ مانعُ

وأقرانُ «فضلانَ» فى عزّةٍ يدور بها الفلكُ السابعُ

ولو شاء قصّر باعَ الردى فلم يرمِهِ الساعدُ النازعُ[5]

ولكنّه جاء سائلا فجاد به صدرُه الواسعُ

أأسرفتَ فى الجودِ حتى آسمتا حَ أحبابَك الزمنُ الخادعُ ! !

(١) تبع : واحد التبابعة وهم ملوك اليمن . (٢) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٣) الرواء : الحسن والرونق . (٤) فى الأصل « توفى » وهو تصحيف . (٥) النازع : الذى يمد القوس للرمى .

وقال يعزّيه عن أخته :

يَروحُ ويغدو علينا الحِمامُ ... وكلُّ النواظرِ عنه نيامُ

على شِيَمِ النَّعَمِ الراتعا ... تِ يُعقَرُ هذا وهذا يُسامُ

ولا فرقَ ما بيننا فى القيا ... سِ إلّا العقولُ وهذا الكلامُ

كفى بالممات لنا مُفنيًا، ... فَمن أجل ماذا تُراشُ السهامُ!!

وتُعتقَلُ الذابلاتُ(١) الطِّوالُ ... ويُحملُ ذو الشَّفرتَين الحُسامُ!!

كأنّا خُلقنا لرَيبِ المنونِ ... شرابٌ يَلَذُّ به أو طَعامُ

ستُطوَى مسافةُ مَن عمرُهُ ... يسيرُ صباحٌ به أو ظلامُ

ليالٍ تمرّ كمرِّ السحا ... بِ والصبحُ فيهنَّ برقٌ يشامُ

جناياتُهنَّ علينا البِلَى ... وأعذارُهنَّ إلينا السَّقامُ

لها كلَّ يوم بنا وقعةٌ ... فهلّا تناوبَ عامٌ وعامُ ؟

نلوم الطبيبَ وما جُرمُهُ ... وداءُ المنيّة داءٌ عُقامُ؟

إذا فذلكَ(٢) العيشُ عمرَ الفتَى ... فسيّانِ ما خلفه والأمامُ

وما يعصِمُ المرءَ من حتفهِ ... "عِراقٌ" يَحُلُّ به أو "شآمُ"

بأىِّ حمًى مانعٍ يُستجارُ ... إذا لم يُجِرْ "زمزمٌ" و"المقامُ"!

---

(١) الذابلات الطوال : الرماح . (٢) فذلك ، : فذلك الحاسب حسابه أى أنهاه وفرغ منه .

ظِبـاءُ البطاح لهـا مَصرَعٌ ... وعُصمٌ[1] لهـا بالجبالِ آعتصامُ

إذا الدَّوحُ[2] مالت به العاصفاتُ ... فلا ريبَ أن ستميلُ الثُّمامُ[3]

وهل نافعٌ لك طولُ الجماحِ ... وفى يدِ صَرف الزمانِ الزِّمامُ؟!

يحـدِّثُنا بالفَنـاء البقـاءُ ... ويُخبرنا بالرحيـلِ المقـامُ

بهذا قضى الدهرُ فى أهـلِهِ ... تمـرُّ فِئامٌ[4] وتأتى فِئـامُ

يعلّلنـا برَضـاع المنَى ... وعمّا قليـلٍ يكـون الفِطامُ

نذُمُّ حـذارا بلوغَ المشيبِ ... كأنَّ لعصرِ التصـابى ذِمامُ

وما يحـذَر اليَفَنُ[5] العُـدْمُلِىُّ[6] ... إلا الذى يتقيـه الغـلامُ

عذَرنا الزمانَ بمـوت اللئامِ ... فما عذرهُ أن يمـوتَ الكرامُ؟

علينا يحـرِّمُ قتـلَ النفوس ... فكيف أُحِلَّ عليـه الحـرامُ

مَناسـكُ منهوجةٌ بالـوجَى[7] ... يُجَبُّ[8] على إثرهن السَّنامُ

لعمرُك ما المـرءُ إلا خَيالٌ ... ولا لذّة العيش إلا منـامُ

ألا أيّهـذا اللبيبُ آتئـدْ ... ومثـلُك من رامَ مالا يرامُ

ترفَّق رويدكَ ، إن السَّلوَّ ... مُراحٌ اليـه يعـودُ الأنامُ

وعادتك الصبرُ إن قعقعتْ ... صواعقهنَّ الخطوبُ الجسامُ

---

(١) عصم : جمع أعصم وهو تيس الجبل يعتصم به . (٢) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .
(٣) الثمام : نبت ضعيف . (٤) الفئام : الجماعات . (٥) اليفن : الشيخ الكبير الفانى .
(٦) العدملى : كل مسن قديم . (٧) الوجى : الحفا من كثرة السير . (٨) يجب : يقطع .

تمـــرُّ عليـــك مرورَ الريا ... ح زاحمها «يَذبُلٌ»[1] أو «شَمامُ»

تلوثُ[2] الرداء وتُرخى الإزا ... ر فى موقفٍ شُدَّ فيه الحِزامُ

يعزِّيك عقلُك عمّن مضى ... وعلمُك أن ما لشىء دوامُ

ونفسُك أبلغُ من واعظٍ ... وأكبرُ أن يزدهيها الغرامُ

وأنت تعلَّم كيف الثبا ... تُ إن زعزعتنا الخطوبُ الحِسامُ

تحمِّلُ أثقالَها مُهْوِنا ... وللبُزْلِ[3] لو حَمَلتْها بُغامُ[4]

إذا الحزن لم يُعد الذاهبينَ ... فما هو إلا الجوى والأثامُ

فراقُ الشقيقة أشجى فراقٍ ... أذيلت[5] عليه الدموعُ السِّجامُ

وفقدُ الفتى صِنوَه فادحٌ ... على الحزن فى مثله لا يلامُ

ولكن يريك الثنايا الجليدُ[6] ... وفى حبّة القلب منه ضِرامُ

وعينُك إن غلطتْ بالبكاء ... فقد علّمتها يداك الغمامُ

فسَقيًا لمودَعةٍ فى الصَّعيدِ[7] ... تُعزَّى الخدورُ بها والخِيامُ

ولم نرَ درًّا ولا زهرةً ... من التُّرب أصدافُها والكِمامُ

أتلتمس السُّحبَ تسقى ثراكِ ... وجُود أخيك الغيوثُ الرِّهامُ[8]؟

وتُسحَب فيه ذيولُ النسيم ... ومن عَرفِه[9] تَستَمِدُّ المُدامُ

(١) يذبل وشمام : جبلان . (٢) تلوث : تلف . (٣) بزل : جمع بازل وهو الجمل المسن (٤) البغام : صوت الإبل فى حنينها . (٥) فى الأصل «أذبت» وهو تحريف .
(٦) الجليد : الصابر . (٧) الصعيد : التراب . (٨) الرهام : المنهمرة بالماء .
(٩) العرف : رائحة الطيب .

لفقـدانها ما تحنُّ القِلاصُ (١) وتندبُ فوق الغصون الحَمَامُ

فيا جبل "الطُّورِ" لافارقتكَ سحائبُ يُشفَى بهنَّ الأُوامُ (٢)

يَقِفْنَ حوافـلَ فى عَرصتيـ (٣) ـك حتّى تُساوى الوِهادَ الإكامُ (٤) (٥)

تخصُّك بالماخضاتِ العشارِ (٦) وغـــير رباكَ لهنَّ الجَهَـامُ (٧)

ولو كنتِ آثبةً بالخصام لمـا عزَّ فينا الخميسُ اللُّهامُ (٨)

وخيـلٌ تكدَّسُ (٩) بالدارعين (١٠) مقـابرُ فُرسانهنَّ القَتـامُ (١١)

ولكنهـا حالةٌ فـرضُهـا علينـا تحيّتُنـا والســلامُ

وقال فى بعض الأغراض :

عساهـا تجـلى وخلاكَ ذمٌّ (١٢) وماءُ الوجه فى الوجَناتِ جَمُّ (١٣)

ولم يَجـرِ السؤالُ على لسانى ولا ندَّى يدى بحـرٌ خِضمُّ

سيحرسُنى التجمُّل من أناس همُ عنّى بداء البُخْـل صُمُّ

---

(١) القلاص : الإبل الفتية واحدها قلوص . (٢) الأوام : العطش الشديد . (٣) العرصة : الفضاء أمام الدار . (٤) الوهاد : جمع وهد وهو ما انخفض من الأرض . (٥) الإكام : جمع أكمة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الماخضات العشار : التى دنا ولادها بعد عشرة أشهر ، والمراد بها السحائب المنهمرة بالماء . (٧) الجهام : السحاب الأبيض لا ماء فيه . (٨) الخميس اللهام : الجيش من خمس فرق ، واللهام الكثير كأنه يلتهم كل شىء . (٩) تكدس : يركب بعضها بعضا من شدة ازدحامها . (١٠) الدارع : لابس الدرع . (١١) القتام : الغبار يثار فى الحرب . (١٢) خلاك ذم أى لا يلحقك الذم . (١٣) الجم : الكثير .

حمانى زادَهـم بطنٌ خميصٌ (١) على الجُـلّى وعِرنينٌ (٢) أشَمُّ

فقد سقّيتُ بَرْدَ اليأسِ منهم فـؤادا من رجائهمُ يُحَمُّ

وكيف أكلّف المعروفَ قوما سـواءٌ عنـدهم مدحٌ وذمُّ

تُلاقِي المكرماتُ بهم هـوانا (٣) كما يلقَى بذى الرّوقِ (٤) الأجَمُّ

اذا ضحِكوا الىَّ رأَوْه بِرًّا أكلُّ الـبِرّ تقبيـلٌ وضمُّ؟!

يرَوْنَ عقوقَ ما كنزَوا حراما هل العَرَض المسومُ أبٌ وأُمُّ

وكم من شيمـةٍ (٥) دفراءَ فيهم تفـوح لو انّ أخـلاقًا تُشَمُّ

ستأتيهم قوافٍ شـاردات (٦) بأنسـاعِ المخـازى لا تُـزَمُّ

مقالٌ فى النفوسِ له دبيبٌ وبعض القول فى الأعراض سُمُّ

فإعرابُ الفَمِ المِنطيقِ فتحٌ متى أضحى بناءُ الكفّ ضمُّ

* * *

وقال فى طائفةٍ من أهل الزمان :

أيا بؤسَ قومٍ حسانِ الشخو صِ لكن حُشُوا بطباع النَّعَمْ (٧)

يزينهمُ فى جفونِ الغبىِّ حُـلِىُّ الغِنَى وثيـاب النِّعَـمْ

حدوناهمُ بفصيح القـريضِ فمـا آستحسنوا منهُ غـيرَ النغمْ

(١) الخميص : الضامر . (٢) العرنين : الأنف . (٣) الروق : القـرن .
(٤) الأجم : — من الكباش — مالا قرن له . (٥) الدفراء : المنتنة . (٦) أنساع : جمع نسع وهو حبل عريض تشد به الرحال . (٧) النعم : الإبل — والمراد بها هنا البهائم — .

وكان الذى خاض أسماعَهم (١) سواءً (٢) ونقراتُ زِير وبَمّْ

وقد جعلوا عذرَ حرمانِنا الـ ـثّـ ـوابَ خلوّهُمُ من فَهمْ

وهبْ أنهم جهلوا ما نقولُ فأين السخاءُ وأينَ الكرَمْ!

أغرَّهمُ كَتبُنا فى الرِّقا ع : نحنُ العبيدُ ونحنُ الخدَمْ!

ومن دون ذلك تُشوَى الوجوهُ (٣) وتُقذَى العيونُ (٤) ويُفرَى الأدَمْ

فإن هم أنابوا ببذل النوالِ وصلنا الثناءَ كوصل الرحِمْ

وإن هم أصرُّوا على لؤمهم وهبنا ثناياهمُ (٥) للنَدَمْ

اذا جاوزوا الحدّ فى منعهم خلعنا الحياء وجزنا الذَّمَمْ (٦)

وقال :

تمدحُ "عمروا" وتُريد رِفدا ياما خضَ الماءِ عَدِمتَ الزُّبْدا

رأيتَ منه شارةً (٧) وقَدًّا ومِشوَذًا (٨) مُفوَّفا (٩) وبُردا (١٠)

فخلتَ إنسانا فكان قِردا يا ربما ظُنَّ السرابُ وِردا

---

(١) الزير : الدقيق من أوتار العود . (٢) البم : الغليظ من أوتار العود . (٣) يفرى : يشق . (٤) الأدم : الجلد . (٥) الثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم ، — ثنتان من فوق وثنتان من أسفل — ، وفى الأصل هكذا «ساماهم» (٦) الذم : صغار الذنوب :
(٧) الشارة : الحسن . (٨) المشوذ : ما يعتم به . (٩) المفوف : ما فيه خطوط بيض على الطول . (١٠) البرد : الثوب .

وقال :

زمانٌ فاسدُ النظـرِ مُصاحبهُ على خطَرِ
وقـومٌ إن عَددتُهُم فليس القومُ من نفرى
سمعت بهم فغرُّونى وليس الخُبْرُ كالخَبَرِ
عجِلتُ إلى مديحهمُ وذلك شيمةُ البَشَرِ
فما فهموا مدائحَهم ولا قضّوْا بها وطَرى
نخِلتُ قصائدى حُللا مُجيَّبـةً[1] على بقـرِ

وقال :

وزيرٌ رَضِى من بأسِـه وآنتقامِـه بطَىِّ رِقاعٍ حشوُها النظمُ والنـثرُ
كما تسجع الوَرقاء فوق غصـونها وليس لهـا نهىٌ يُطـاع ولا أمرُ

وقال :

تُعابُ معاشرٌ وَكَلوا البرايا إلى تدبير ذى رأيٍ أفينِ[2]
وماغلِطوا، رأَوا سفهَ الليالى فداووْا بالجنون من الجنونِ

---

(١) مجيبة : مجعولا لها جيوبا . (٢) الأفين : الضعيف .

وقال :

نُبِّئْتُ أنَّ فلانا قد شحا فمَه (١) فقلتُ : مهلًا ، كذاك العيرُ (٢) نَهّاقُ

من أين للنَّبَطِيِّ (٣) الفَـدْم (٤) معرفةٌ هل يُنبِتُ النبعةَ (٥) الصفراءَ رُستاقُ (٦)

وكيف يفهَم قلبٌ دون فِطنته من البلادةِ أبوابٌ وأغلاقُ (٧)

يا ثورُ ! خلِّ لروضِ الحَزْنِ (٨) زهرتَه فإنّ مرعاكَ قُلّامٌ (٩) وطُبّاقُ

ولا تراعِ نجوم الفضلِ ترصدُها فغيرُ خافٍ على الحسّاب أرزاقُ

نبذتِ عِرضَك نبذَ النعلِ مُخلَقةً (١٠) وكيف يُلبَسُ ثوبٌ وهو خُرّاقُ (١١)

وقال :

زوَّج اللهُو بآبنةِ العنقودِ خاطبًا بالبسيط أو بالنشيدِ

وتمام (١٢) الإملاكِ فى شاهدَىْ عَد لٍ هما فى حضور ناىٍ وعُودِ

فإذا ما جمعتَ ذاك فقد فزتَ بعَقدٍ يسودُ كلَّ العقودِ

---

(١) شحافه : فتحه . (٢) العير : الحمار . (٣) النبطى : منسوب الى جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم — ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم — . (٤) الفدم : البعيد الفطنة والعيي عن الكلام . (٥) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . (٦) الرستاق : السواد وهو الريف — ومنه : سواد العراق ، لما بين البصرة والكوفة وما حولها من قراهما — . (٧) أغلاق : جمع غلق وهو ما يغلق به الباب . (٨) الحزن : ضد السهل ورياضه أنضر وأزهر . (٩) القلام والطباق : ضربان من الشجر . (١٠) المخلقة : البالية . (١١) الخراق : الكثير الخروق . (١٢) الإملاك : التزويج .

وقال :

ياشهوةَ النومِ وما لذَّتُهْ جِسمٌ تَغَشَّت قلبَهُ غفلتُهْ

هل هو إلا مِيتَةٌ عُجِّلتْ وإنما قد قَرُبت رجعتُهْ

وقال فى الغزل :

يسألنى ما حاجتى فى دياره غزالٌ بأوطار الفؤاد عليمُ

ستشهدُ لى عيناه أنهما الهوى ومبسمُهُ أنّى عليه أحومُ

أتُظهِرُ فى عرفانِ مابى جهالةً وما أحدٌ فى الناس منك سليمُ

وكيف يداوِى داءَ قلبىَ باخلٌ على طَرفِهِ بالبُرء وهو سقيمُ

أرقّع فيك الودَّ وهو ممزَّقٌ وأرعَى ذمامَ العهدِ وهو ذميمُ

وفى دون مالاقيتُ للمرء زاجرٌ ولكنَّ عِرْقى (١) فى الوفاء قديمُ

وقال فى مثله :

يقولون : راجعْ صاحبَ الرأى وآطَّرِحْ هواكَ فما تُغنى الدموعُ السواجم

ولو أنه بالعقل يَعشَق عاشقٌ لما آزدوجتْ أطيارُها والبهائمُ

أليست على ألّافها بجهالةٍ يحاربُ شِبْهٌ شِبْهَهُ ويخاصِمُ

(١) فى الأصل هكذا « ولا ز » .

وقال فى مثله :

« بالجِزْع » ذى السَّمُراتِ(١) لى قمرٌ غلبَتْ عليه سحائبُ الأُزُرِ(٢)

أرسلتُ أنفاسى فما آنقشعتْ عنه وجاد الطَّرفُ بالمطرِ

وقال فى البَرَد آرتجالا :

ياطيبَ يومٍ حَجبتْ شمسَهُ سحائبٌ تُمطِرُ كافورا

لما توارت تحت أستارِها مجَّت لنا من ريقها نورا

وقال فى الأكثر من أهل الزمان :

إذا كان هذا الجهلُ قد شاعَ فى الورى فذو العلم فيما بينهم هو جاهلُ

فإن قال مالم يعرفوا قدرَ لفظهِ ولا قيمةَ المعنَى ، فما هو قائلُ

وإن هو بالصمت آستجارَ لسانُه ففى الصمتِ ذو نقصٍ سواءٌ وفاضلُ

فليس له غيرَ التجاهل ملجأٌ وأصعبُ شىء عالمٌ متجاهلُ

وكنَّا سمعنا فى الزمان «بباقلٍ» وهذا زمانٌ كلُّ أهليهِ « باقلُ »(٣)

---

(١) السمرات : جمع سمرة وهى شجرة من العضاه تغمى البيوت بخشبها — وليس فى العضاه أجود خشبا من السمر — . (٢) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٣) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

وقال :

هززناكُمُ بالمـــدح تجني ثمارَكم ... ونحلُبُ من أخلافِ[1] وُجدِكُمُ[2] وَفْـــرا

فلم نحظَ من ربح الثناءِ بطائلٍ ... فرُدُّوا كرأس المال أو بعضِه شِعرا

فإن أنتمُ لم تنصفونا فإننا ... سنقتصُّ من أعراضكم ذلك الوِترا[3]

إذا المنع والإعطاءُ[4] كان خيارُه ... إليكم تخيّرنا المذمّةَ والشكرا

فلا تحســـبوا أنّا إذا نلتم الغنَى ... ولم تُشركونا فيه نُوســـعكم عـذرا

وقال فى مثله :

بِتنا على «الزّوراء» نهـدِمُ كلَّ ما ... بَنَتِ القلوبُ من الأمانى الزُّور

لما لقينا من تُجاهِك عصبةً ... نضحَتْ بشكواها ذَفَارَى[5] العِيرِ

إنّ امرأً سلكتْ إليك ركابُهُ ... فجًّا لقد دلّى بحبلِ غرورِ

وقال فى سحابٍ وبرقٍ ومطرٍ وبَرَد :

غـــرّاء تحسبها عُمودًا كلّما ... شهَرَتْ بوارقُها بها أسيافا

---

(١) أخلاف : جمع خلف — بكسر الخاء — حلمة الضرع . (٢) الوجد — مثلثة الواو — : الغنى والسعة . (٣) الوتر : الثأر . (٤) فى الأصل «المدح» ولعله تحريف (٥) ذفارى : جمع ذفرى وهى فى الحيوان من لدن المقد الى نصف القذال ، وقيل : هى العظمة خلف الأذن .

كُسِيَ الثَّرَى لمّا هَمَتْ فظننتُها (١) بالحَزْنِ عِيرا (٢) أُوقرت (٣) أفوافا

وتناثرت دُرَرا عليه دموعُها لما جَمَدن نخلتُها أصدافا

وقال :

قالوا : ذر الشعرَ وكن عائذا بالله يصرفْ عنك شيطانَهُ

فى الناس جَهلٌ وبهم شِرَّة لأجل ذَيْنِ صغَّروا شانَهُ

لم يفقهوا اللفظ ولم يفهموا الـ ـمعنَى ولا يَدرون ميزانَهُ

فكلُّهم يُنكر رُجحانَه وكلُّهم يجهلُ نقصانَهُ

قلتُ : أمن أجل عمًى فيهمُ لا يُظهر المعدِنُ عِقيانَهُ !

هبُوا لسانى راعيا ناعقا دعا بما تجهلُه ضانَهُ ،

قد يُطربُ القُمرىُّ أسماعَنا ونحن لانفهم ألحانَهُ

وقال :

أحاط بىَ العُذَّال حتى صرفتُهم بأنّ الهوى طبعٌ ولا يُنقَلُ الطبعُ

رأَوا كلَّ ما أبصرتُه أنا عاشقٌ وما تسمع الأذنانِ ليس له نفعُ

فقالوا ـ وقلبى ليس يقبَل نصحَهم ـ : أخونا له عينٌ وليس له سمعُ

(١) الحزن : ضد السهل ؛ واسم موضع . (٢) أوقرت : حملت وأثقلت . (٣) أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن ، أو هو قطع القطن .

وقال فى الشَّيب :

تخاوصت[1] الحسناءُ عن شَيب لِمَّتى[2] ولم تلتفت إلى سنىِّ القـــلائلِ

وليس بياضا مارأت من شُـعاعهِ ولكنّـه نُور النُّهى والفضـائلِ

وقال يعاتب صديقا له :

كان الوداد منغّصا[3] لوُشاتنا ولو آرتمـــوا ما بيننا بفواقـرِ[4]

تُخطى ظواهرُنا فنُغمِضُ عيننا[5] عنها ونطمحُ[6] فى صـوابِ ضمـائرِ

متحلِّلِي عُقَـــد الضـغائنِ كلَّمـا نصبَ الحسودُ لنـا حِبالة ماكرِ

أيامَ لا عِرسُ الإخاء بطـالقٍ منّـا ولا أُمّ الصـــفاءِ بعـاقرِ

فالآن أقلقنا الحسودُ كما آشتهى فينا ونفّـــرنا صـــفيرُ الصـافرِ

وكأنّمـا كانت وسـاوسَ حالم تلك المودّةُ أو فكاهـةَ سامرِ

ومـــتى ثكلت مودّةٌ من صاحبٍ فلقد عدِمت بهـا سـوادَ الناظرِ

ولذاك نُحْتُ على إخائك مثلمـا ناحَ الحمامُ على الربيـــع البـاكرِ

هيهات لستَ بواجدٍ من بعدها مِثـلى ببـذلِ بضـائعٍ ومَتـاجرِ

---

(١) تخاوصت : غضت من بصرها .
(٢) اللة : شـعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
(٣) فى الأصل « مفصصا » .
(٤) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تكسر الفقار وهى عظام الظهر .
(٥) هذا الشطر مشوّه فى الأصل ؛ وفى مختارات البارودى هكذا :
* تحظى ظواهرنا فيغمض عتبنا *
(٦) كذا بالأصل وتحتمل أن تكون « ونطمع » .

لا تَنبِذ الخُلّانَ حولك حَجْرةً (١) فالعينُ لاتبقى بغير محاجرِ

ما كنتُ أحسبُ أنّ صبغةَ ودِّنا مما تحولُ على الزمان الغابر

ولو آنني حاذرتُ ذاك فديتُها منه بلونِ ذوائبي وغدائرى (٢)

لكنَّ كلَّ غريبةٍ وعجيبةٍ من فعلِ هذا المَنْجَنونِ (٣) الدائرِ

فلئن أقمتَ على التصارُم (٤) لم تجدْ ريّا سِوى عَتبِ الحبيب الهاجرِ

وإن آستقلتَ أقلتُها وجزاؤها منّى مَثوبةُ تائبٍ من غافرِ

حتى ترى سُحُب الوصال معيدةً ذاك الهشيمَ جميمَ (٥) روضٍ ناضرِ

إن الغصونَ يعودُ حُسنُ قَوامِها من بعد ما مالت بهزّ (٦) صراصرِ

أنا من علمتَ إذا المناطقُ لجلجتْ ألفاظها أو غامَ أُفْقُ الخاطرِ

ما بين ثغرِى واللّهازِم (٧) بَضعةٌ هزِئتْ بشِقشقةِ الفنيقِ (٨) الهادرِ

متحكّمٌ فى القول ، يلقُط دُرَّه غوّصى ولو من قعر بحر زاخرِ

واذا نثرتُ سَمَت بلاغةُ خاطبٍ واذا نظمتُ علتْ فصاحةُ شاعرِ

لى فى مطايا الفضلِ كلُّ شِمِلّةٍ (٩) أبدا أرحِّلها لزادِ مسافرِ

كم موردٍ عرضَ الزُّلالَ لمشربى روّعتُه وجفعتُه بمصادرى

---

(١) حجرة : ناحية . (٢) ذوائب : جمع ذؤابة وهى منبت الناصية من الرأس .
(٣) المنجنون : الدولاب . (٤) التصارم : التقاطع . (٥) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٦) صراصر : جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب والبرد . (٧) اللهازم : جمع لهزمة وهى مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن . (٨) الفنيق : الجمل المكرم لا يركب لكرامته على أهله . (٩) الشملة : الناقة المسرعة .

إن رثَّ غِمدى لم ترِثْ مَضارِبى ... أو فُلَّ حدّى لم تُفَلَّ بصائرى

تأتى جيادى فى الرِّهان سوابقا ... وجيادُ غيرى فى الرعيلِ (١) العاشرِ

ومجالسُ العلماء حشوُ صدورها ... أنا ، والذُّنابَى للجهول الحائرِ

إن قال أقوامٌ علىَّ مَناقصا ... لم يضرُر الحسناءَ عيبُ ضرائرِ

لو لم تكن فى وسط قلبى حَبَّةً ... لسلوتُ عنك سُلوَّ بعضِ ذخائرى

ولقلتُ : ما هذا بأوّلِ ناقضٍ ... عهدا ولا هذا بأوّلِ غادرِ

لكن حللتَ من الفؤاد بمنزلٍ ... أصبحتَ فيه ربيبَ بيتِ عامرِ

شِيَمِى على جَوْر الزمان وعدلِه ... أنى أقولُ : لَعًا (٢) لرِجلِ العاثرِ

* * *

وقال يستهدى بعضَ أصدقائه مدادا :

هل فى جُنوبِ «اللِّوى» وجدٌ فأطربَهُ ... بأنَّةٍ أرسلَتْها حَنَّةُ العِيرِ؟

أم روضةُ الحَزنِ من دمعى على ثقةٍ ... فلا تحيِّى حيَا الغُرِّ (٣) المباكيرِ

ومن يكن غرّه فى الحبّ غادرُه ... فقد هَوِيتُ ولُبِّى غيرُ مغرورِ

وما ركبتُ الهوى إلا وقد علمتْ ... نفسى بما فيه من هول وتغريرِ

أغشَى الخيامَ بذلٍّ ليس يطردُه ... لَفتُ الخدودِ وإعراضُ الأساريرِ (٤)

---

(١) الرعيل : القطعة القليلة من الخيل .

(٢) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش .

(٣) الغرّ المباكير : السحاب تمطر فى أول الوسمى .

(٤) فى الأصل « الأساوير » وهو تحريف .

دون الأمانيِّ فيهم كلُّ لاذعةٍ ... والشَّهدُ من دونه لسعُ الزنابيرِ

ما للزمان تُحلِّي لى خدائعَهُ ... أكلَ المُرارِ(١) بأنواعِ الأزاهيرِ

لا يَتبع العينَ قلبي وهى تابعةٌ ... وكيف طاعةُ ذى أمرٍ لمأمورِ

وصاحب لا يدُ التجريب تنقُدُه ... ولا سبائكُهُ تصفو على الكِيرِ(٢)

يسيءُ حتَّى اذا فاحت إساءتُه ... رمَى وراء الخطايا بالمعاذيرِ

تركتهُ بعبَاءِ الغِلِّ مشتملا ... يُكنُّ للغيظ جُرحا غيرَ مسبورِ

حاشَ الذى شفَّ لى عن كلِّ خالصةٍ ... كأنَّ كَشحيْه صِيغا من قواريرِ(٣)

لا يحتبي ببيوت النافقاءِ(٤) ولا ... يروح مشتملا ثوبا من الزورِ

أيابنَ ودِّى انتسابا مالَهُ رِحمٌ ... إلا الذى فيك من فضلٍ ومن خِيرِ،

إليك أشكو مشيبا لاح بارقُهُ(٥) ... فى فرع دهماءَ تجرى بالأساطيرِ

كانت مَفارِقها مسكا مضمَّخةً ... فما لها بُدِّلت منه بكافورِ

ومقلةً عُهِدتْ كحلاءَ مرَّهما(٦) ... طولُ البكاءِ على بِيض الطوامِيرِ(٧)

كانت دجَى حسَد الإصباحُ لِمَّته(٨) ... فجزَّها بحسامٍ منه مشهورِ

---

(١) المرار : شجر اذا أكلته الإبل قلصت مشافرها لشدة عفوصته . (٢) الكير : زق ينفخ به الحداد . (٣) القارورة : الزجاجة . (٤) النافقاء : ناحية جحر الضب التى يخفيها ليتفق منها إذا أتى من قاصعائه وهى باب جحره الظاهر . (٥) يريد أن الحبر أبيض من كثرة خلطه بالماء فكنى عنه بالمشيب . (٦) مرهما : أخلاها من الكحل . (٧) الطوامير : جمع طامور وهو الصحيفة ، — وهو يصف بهذه الأبيات الدواة — . (٨) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

يا حبَّذا هى والأقلامُ واردةٌ ... فيها وصادرةٌ سُحْمَ(١) المناقيرِ

كأنّما كرَعَتْ(٢) فى ناظرَىْ رشإٍ ... أو فى سُويداءِ قلبٍ غير مسرورِ

تَحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفًا(٣) ... فيها مُفاخَرة الظلماءِ للنُّورِ

فكيف لى بخضابٍ(٤) تسترِدُّ به ... من الشبيبة لونا غير مهجورِ

ذؤابة النار شطرٌ فيه معتمدٌ ... وفيه للنَّحل شطرٌ غير مبرورِ

قد أحكمته يدُ الطاهى فناشَله(٥) ... بحاذب القوس عن نزعٍ وتوتيرِ

فجاءنا بغُدافٍ(٦) لا تسابقه ... شُهبُ البُزاةِ الى فخرٍ وتنفيرِ

لو أنّ صِبغتَه فاز الشبابُ بها ... لما رمَى الدهرُ فوديْهِ(٧) بتغييرِ

وحاجة النَّفس(٨) إن قلّت وإن كثرت ... — اذا سمحتَ بها — مثلُ الدنانيرِ

* * *

وقال يستهدى أقلاما :

ما زال يكشِف عنّى كلَّ طارقةٍ ... ما خوَّل الله من صُمِّ الأنابيبِ

إن أمطرتْها بنانٌ(٩) جاش غاربُها(١٠) ... على المهارقِ منهلَّ الشآبيبِ(١١)

---

(١) سحم : جمع أسحم وسحماء وهى السوداء . (٢) كرعت : شربت . (٣) الروضة الأنف : التى لم تطأها قدم . (٤) يريد الحبر . (٥) ناشله : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة . (٦) الغداف : الغراب الأسود — وهو كناية عن الحبر — . (٧) الفود : الشعر فى جانب الرأس . (٨) النفس : الحبر ؛ وفى الأصل " النفس " وهو تصحيف . (٩) الغارب : معظم الماء . (١٠) المهارق : الصحف . (١١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

حتى بلغن الى الغـاياب حاسرةً ... هُتْمَ السنـابكِ من بدءٍ وتعقيبِ

وآحتضَرتْها المُدَى نحتًا وقد فُلِقتْ ... هاماتُها بين تصـعيدٍ وتصويبِ

فعادَ من طول ما يسرى عَشَنَّقُها ... مدغَّما بين أطـرافِ الرواجيبِ

وعنـدك الدوحةُ العليـاء تُنبِتُهـا ... مَنابت النبع فى شُمِّ الشَّناخيبِ

فقُدْ الىَّ جيادا من ضوامرِها ... صمِّ السنابكِ سَبْطاتِ الظَّنابيبِ

تختـال فى حَبَرات الوشى تائهـةً ... على متون العـوالى والقواضيبِ

لو أن بعض غصون الأيك أشبهها ... ألهى الحمائمَ عن شـدوٍ وتطريبِ

ولـو يبايعنى الخَـطِّىُّ أنفَسـه ... لم أعطِه شـطرَ أُنبوبٍ بأنبوبِ

وحَمْلُ كفّى على الأقـلام تُرسلها ... يطلب حملى على الجُرْدِ السَّراحيبِ

لا يملِك الفارسُ المغوارُ شِـدّتَهُ ... ولا بسالتَه إلا بمركوبِ

---

(١) هتم : جمع هتماء وأهتم وهو الذى سقطت أسنانه . (٢) السنابك : أطراف السيوف واحدها سنبك . — والمراد بها هنا أطراف الأقلام — . (٣) المدى : جمع مدية وهى السكين — والمراد بها المبراة — . (٤) العشنق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل . (٥) مدغما : مسود الوجه . (٦) الرواجيب : مفاصل أصول الأصابع ، واحدها راجبة . (٧) النبع : شجر ينبت فى أعلى الجبل . تتخذ منه القسى ومن فروعه السهام . (٨) الشناخيب : جمع شنخاب وهو أعلى الجبل . (٩) صم السنابك : صلاب أطراف الحوافر — والمراد بها الأقلام — . (١٠) سبطات الظنابيب : ليانات حروف السيقان ، واحدها ظنبوب . (١١) العوالى والقواضيب : الرماح والسيوف . (١٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى مرفأ السفن بالبحرين — يقال : رماح خطية — على الوصف — ، ورماح الخط — على الاضافة — . (١٣) فى الأصل هكذا « الطبن » . (١٤) الجرد : الخيل القصيرة الشعر ، واحدها أجرد وجرداء . (١٥) السراحيب : جمع سرحوب وهى الفرس الطويلة — توصف به الإناث لا الذكور — .

وقال يستهدى كاغِداً[1] خراسانيا :

تظنُّ فراقا أن تثارَ حُمـــولُ ... وهل مثلُ إعراض الوجوهِ دليلُ؟

وإن الصدودَ والتجنِّى وإن دنت[2] ... ديارهُـمُ وخدٌّ لهـــم وذميـــلُ

وكان شفاءً لى لو آن طُولهَـم ... خُلقنَ ركابا والركابَ طـلولُ

كأنَّ الحمـامَ الوُرقَ حاد غصونه ... ليُدركَهـم، والبـانُ كيف يزولُ!

ألا إنهـم كالخمـر أحسنُ صنعِها ... إلى شاربيها أن تزولَ عقولُ

ترقّون يا آل «المُهيأ» سَرحـكم ... وبآبن أبيـكم فى الفـؤادِ غليـلُ!

ومالى إلى ماء السـحائب حاجةٌ ... ولكنْ يبينُ جائدٌ وبخيـلُ

أيوعدنى الأقوام أن ودّت المُنَى ... بأنّا لبعض الفـاركاتِ[3] بُعـولُ!

يقولون: كرُّ الطَّرف فى السِّرب غارةٌ ... عليه، وأطماع النفوس ذُحـولُ[4]

فلا تنذروا سفكَ الدماء لنرعوى ... فكلُّ صريعٍ بالغـرام قتيـلُ

أبى القلبُ إلا حبَّهـا «عامريةً» ... بها السيف واشٍ والسنان عذولُ

أخافَ الغيورُ السُّبلَ بينى وبينها ... فما إن لنـا إلا الخيال رسـولُ!

فياليت أن النجمَ ضـلَّ طريقَه ... وعُمْر الدُّجَى فى الخافقين طويلُ

---

(١) الكاغد : — بكسر الغين وفتحها — القرطاس ، فارسى معرب . (٢) فى الأصل «نأت» والمعنى لا يستقيم بها ، والوخد والذميل : ضربان من سير الإبل . (٣) الفارك : المرأة التى تبغض زوجها . (٤) ذحول : جمع ذحل وهو الثأر ، وفى الأصل «دخول» وهو تصحيف .

كما طالَ ليلُ الحِبر عندى ومالَه ... إلى الضوء من صبح البياض سبيلُ

وظلَّت أنابيبُ اليراع طـــريحةً ... كما يتلوَّى فى الفـــراش عليـــلُ

تَنَشَّى(١) على كفّى ولو سلخَ أرقـــم(٢) ... تَبَخـــتَرُ فى أعطافه وتجـــولُ

فمن لى بخزّانٍ لديه صنيعـــةٌ ... يجـــودُ بما جادت به فينيـــلُ

وما أنا باغٍ غيرَ تِسعينَ رَيْطة(٣) ... تَكافأ عَرضٌ عندهنّ وطـــولُ

نواعمَ قـــد أفرِغن فى قالَب المُنَى ... فكلٌّ لكلٍّ فى القَـــوام عديلُ

صحـائف لو شئنا لقلنا : صفائحٌ ... فما منهما إلا أغـــرُّ صقيـــلُ

إذا صافحَتْهنّ النواظـــرُ عاقها ... شُعاعٌ يردُّ الطَّـــرفَ وهـــو كليلُ

وإن زَغزَغَتهنّ(٤) البنانُ تضاحكتْ ... قَهاقِهُه فى ترجيعهنّ صَليـــلُ

على مثلهـا يُلقِي الغَيـــورُ رداءَه ... ويُغـــلِي علينا مهرَها فيُطيـــلُ

ولكن إلى رِخو المفاصل فى الندى ... خطبنا ؛ فقد جُرِّت لهنّ ذيولُ

وأفـــوزُ قِدح قِـــدحُ(٥) خِلٍّ رِشاؤه(٦) ... بحاجاتِنا فى الأبعدين كفيـــلُ

* * *

وقال يستهدى شرابا :

إن لم أكُنْ من راضعى الخمرِ ... ولم أداو السكرَ بالسكرِ ،

(١) يريد : تتنشى . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الريطة : الملاءة — والمراد بها الورق — . (٤) الزغزغة : تجييش فى المغابن كالإبط وأخص القدم يحدث عنه انفعال يضطر الى الضحك ، وفى الأصل « زعزعتهن » وهو تصحيف . (٥) القدح : سهم الميسر .
(٦) الرشاء : حبل الدلو — وهو هنا مجاز — .

ولا إذا ما ركَدتْ خيلُهَا أجريتُهَا فى حلبةِ الصدرِ :

فإننى أهــوَى النَّدامَى وما يأتون من خيرٍ ومن شرِّ

وأعشق الكأسَ ، وسلطانُها يأخذهــم بالنهى والأمرِ

كأنما الراحُ براحاتهــم كواكبٌ فى فَلكٍ تجــرى

منتظِمو الأيدى بأدوارهـا كنظمك الأحرفَ فى السطرِ

ياقوتُها الأصفـرُ أمواههـم يَنبُتُ فيهـا زَهَــرُ الدُّرِّ

تحظى بها عينى وحاشا يدى منهـا وحاشا موضعَ البشرِ

بل ربما طاف بهـا أهيفٌ أجفانه من صُحُف السـحرِ

مِن سَبَجِ[1] الإظلامِ أصداغُهُ ووجهُـهُ من جوهرِ البدر

والراح لا يرضَى سواها قِرًى ولو قَـرَيناه من التِّبرِ

إذا علاها زبَـدٌ خلتَـه سُحُبًا عليها شَنَبُ[2] الثغـرِ

وليس لى ممّـا بها قَطـرةٌ يا واكفَ الأنواءِ بالقَطـرِ

فجُـدْ بها تُشبِهُ فى عَرفِها عِرضى وفى رِقّتها شِـعرِى

أنتَ صَرِيفِينِي[3] وقُطْـرُبُّلِي وموضعُ الشكر من الدهــرِ

(١) السـبج : الخرز الأسـود . (٢) الشنب : ماء الأسـنان ورقتها وعذوبتها .

(٣) صريفين : قرية عند عكبراء تنسب اليها الخمر ؛ وقطربل : موضع بالعراق تنسب اليه الخمر أيضا .

وكتبَ الى أبى الحسَن بن نصر الكاتبِ جوابا عن رُقعة :

لو يهتدى وصفِى إلى شـغَفى ... خُطِمتْ(١) بنا فى غارب(٢) الصُّحُف

وتركتُ أقـلامى مُفلَّلـةً(٣) ... وخواطـرى متروحة(٤) النُّطَف(٥)

شـوقا إليك وما رُمِى جلَدى ... بسهام هجـرٍ أو نوًى قُـذُفِ(٦)

ما مرَّ يـومٌ لا أراكَ بـهِ ... إلا على خطبٍ من الأسفِ

متلفتـا تِلقـاءَ داركُمُ ... أرنو بعيـنَىْ مغـرم دنِفِ

فاذا طمحتُ لوَى الهوى عُنُقى ... وإذا جمحتُ فسـائقى كلَفى

وإذا آنصرفتُ فإنمـا جسدى ... ولِّى وقلبى غـيرُ منصرفِ

من ذا ينيلُ جوارحى أمـلا ... ومـواعدُ الآمال للخُـلُفِ

طَرفٌ نـقَى إنسانَ ناظـرِه ... عنـه آقتناعا منـك بالخَلَفِ

والسـمعُ منبتـه مفاوضـةٌ ... معقـودةٌ(٧) فى موضع الشَّنَفِ

ويريد جثمانى مصاحبـةً ... مثلَ آصطحابِ اللام للألِفِ

ومطامعى هـذى تَصَـيُّدُهَا ... كتصيُّد الشَّغواءِ(٨) فى الشَّعَفِ(٩)

---

(١) خطمت : جعل عليها الخطام وهو الزمام . (٢) الغارب : مابين السنام الى العنق — وهو ما يلقى عليه خطام البعير — . (٣) مفللة : مثلمة مكسورة . (٤) فى الأصل . "متروحة" وهو تصحيف . (٥) النطف : جمع نطفة وهى الماء الصافى — قل أوكثر — . (٦) قذف : بعيدة تقذف بصاحبها . (٧) الشنف : القرط يعلق فى أعلى الأذن — والأصل فيه سكون النون — ، والبيت ورد هكذا بالأصل وفيه تأمل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل « الشعواء » وهو تصحيف . (٩) الشعف : جمع شعفة وهى رأس الجبل .

يا أيّهذا الخِلُّ دعوةَ مَنْ أثقلتَه بالقرض[1] والسَّلَفِ
لا تُسرفَنْ فى الودِّ معتمدا رِفقٌ فإنّ البخلَ فى السَّرفِ
قد جاءنى القِرطاسُ[2] مكتسيا ببدائع كالدُّرّ فى الصَّدَفِ
فكأن راحتَك الربيعُ فما تُخلى الرُّبَى من روضة أُنُفِ[3]
ألقت فُويقَ مناكبى مِنَنًا مضمونها جبرى على الكُلَفِ[4]
حسبى عوارفك التى جمعتْ بين اللُّهَى[5] لى منكَ والشَّرَفِ

وكتب إليه أيضا :

يا ماءَ "لِينَةَ"[6] لو نقعتَ أُوامى[7] كانت حياضُك لى كئوسَ مُدامِ
لا يعدِلُ[8] المشغوفُ عن سَنَنِ الهوى ولو آنَّ حدَّ العذل غَربُ حسامِ
كيف السلوُّ وليس يَسلُك سمعَه إلا حنينٌ أو بكاءُ حَمامِ
حتى كأنّ القلبَ مدّ حجابَهُ ليُردَّ عنه طوارقَ اللوّامِ
ولقد عرَضتُ على السلوِّ جوانحى الـ ـحرّى فلم يَرهنّ دارَ مقامِ
ما ضرّ من زار الغيورَ أمامَهُ لو زار فى ثوبٍ من الأحلامِ؟

---

(١) فى الأصل «بالقرض» وهو تصحيف . (٢) القرطاس : الصحيفة . (٣) الأنف : التى لم يرعها أحد . (٤) كلف : جمع كلفة وهى المشقة . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٦) لينة : موضع فى بلاد نجد به ركايا عادية وماؤها عذب زلال .
(٧) الأوام : شدة العطش . (٨) فى الأصل "يعذل" وهو تصحيف .

جُزْ "باللوى" إن كنتَ تُؤثِرُ أن ترى ... حَدَقَ المها (١) وسوالفَ الآرامِ (٢)

وتأنَّ فى نظرِ الخدورِ فبينها ... صورٌ تبيحُ عبادةَ الأصنامِ (٣)

ناضلننا بنوافذٍ مسمومةٍ ... ووددتُ لو قبلتُ سهمَ الرامى

وكننَّ فى الأيدى خضابا ناميا ... ونظيره فى القلب حبٌّ نامِ

ليس البراقعُ كاتمها لكنها ... يومَ الوداع كنائنٌ لسهامِ

بينى وما بين الكواعب موعدٌ ... يُلقِى إلى كفّ المشيب زِمامى

لايتهى الطيفُ المزاورُ مضجعى ... عنّى وفى فَوْدَىَّ (٤) جُنحُ ظلامِ

والدهرُ ذو شيئين (٥) يصبغ لِمّتى ... كلتاهما بالصبح والإظلامِ

قد كنتَ (٦) بُهْمَى، (٧) جعدة، (٨) خسّيّة ... فبأىّ (٩) ماء صرتَ نَوْرَ (١٠) ثغامِ؟

أعلىّ تقترعُ الليالى بعدما ... غلّت يديها (١١) شِرّتى وعُرامى؟

تلهو بحَوْذان (١٢) «العراق» ركائبى ... وعزائمى ترعَى رياضَ «الشامِ»

لى فى بطون اليعملات (١٣) مَزادةٌ (١٤) ... تُروِى إذا غدَر الغديرُ الطامى

---

(١) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . (٢) آرام : جمع رئم — على القلب — وهو الظبى الخالص البياض . (٣) فى الأصل : «الخدرد» وهو تحريف . (٤) الفود : شعر الرأس من جانبيه . (٥) الة : الشعر المجاور لشحمة الأذن . (٦) البهمى : نبات يشبه الشعر . (٧) جعدة : ملتوية منقبضة مع لين . (٨) خسية : — منسوبة الى الخس — وهو بقلة معروفة عريضة الورق لينة . (٩) النور : الزهر . (١٠) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر، كأن جماعتها هامة شيخ — يخاطب الشعر — . (١١) الشرة والعرام : الشراسة . (١٢) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (١٣) اليعملات : الإبل . (١٤) المزادة : وعاء للماء .

و إذا الجِفانُ (١) الغُرُّ طلّقت الضحى ... حَنَت الظُّبى (٢) من غارب وسَنامِ (٣) (٤)

كم بازلٍ (٥) كوماءَ أخطأها القِرَى ... رُدَّت فريضتُها (٦) إلى الأزلامِ (٧)

إن القناعة مذ خطمتُ بحبلها ... طمعى تساوت رحلتى ومقامى

فالبِيدُ عندى كالقصور ونهضتى ... كتثبُّطى والوُجْدُ كالإعدامِ

ألقَى بنى هذا الزمانِ مُهجهجا (٨) ... زجرَ الحُداةِ بهيمةَ الأنعامِ

أشخاصُهم لا حِسَّ فى عَرَصاتها (٩) ... وقلوبُهم ثكلَى من الأفهامِ

حسبى وقد أصبحتُ فذًّا (١٠) بينهم ... بك يا "أبا الحسَن" الشقيقِ تؤامى (١١)

حَمَلَتْ بنا فى ليلةٍ مزءودةٍ (١٢) ... أمُّ الخِلال الغرّ حملَ تمامِ

وتكفَّلت ظِئرُ (١٣) العلا برَضاعنا ... حوْلَين ما تحصيهما لفطامِ

حتى إذا الآداب شُدَّ نِطاقُها ... زُفَّت إلى شُمّ الأنوف كرامِ

يَسْبون أبكارَ المعانى حيثما ... شنُّوا الإغارةَ وهى غيرُ حرامِ

هذا هو النسبُ الصريحُ وغيرنا ... يختال بالأخوال والأعمامِ

لوكان نصلُ إخائى يصدئه النوى ... لصقلتُه بالوصل والإلمامِ

---

(١) الجفان الغر : القصاع البيض . (٢) الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف والسنان وغيرهما — والمراد بها هنا المدى — . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) السنام : أعلى ظهر البعير .
(٥) البازل الكوماء : الناقة العظيمة السنام . (٦) الفريضة : ما فرض فى السائمة من الصدقة .
(٧) الأزلام : جمع زلم وهو أحد سهام كانوا يستقسمون عليه فى الجاهلية . (٨) مهجهجا : صائحا .
(٩) العرصة : ساحة الدار وهى هنا مجاز . (١٠) الفذ : الفرد . (١١) التؤام : الزوج .
(١٢) مزءودة : مروعة مذعورة — كناية عن شدتها — . (١٣) الظئر : المرضع .

لكننى والبينُ يَحــرُق نابَه أفترُّ عن ثغرِ الهــوى البسّامِ

أنتَ النهارَ تذكُّرى وتفكُّرى والليــلَ أحلامى وطيفُ منامى

إن كان أقوامٌ نظامُ فرائدٍ كنتَ النظامَ وسِلكَ كلّ نظامِ

أنا عن سوابقك الجيادِ مقصّرٌ ومسلّمٌ يومَ الرِّهانِ لحامى

وقال من قصيدةٍ ولم يُتمّمها :

قلتُ « لعمرو » جَذِلا أشجُجْ[1] بها هامَ الفلا

فما آجتويتَ مترلا إلا انتجعتَ مترلا

وإنّ من تسجُنه أوطانُه لمُبتَلَى

قعيدةُ الخدرِ فما تعرِفُ إلا المِغزَلا

أما ترى الطائرَ فى أُفحوصه مقلقلا؟

يستخدم الجَنوبَ فى جَناحِهِ وَالشَّمألا

مخلِّفا وراءَه حمامةً وجَوْزلا[2]

إما يصيبُ جازئا[3] من قُوته أو أجدَلا[4]

والقدَر المحتومُ لا يُحزُّ إلا المَفصلا

لما رأيتُ الذلَّ قد أبرز نابًا أعصَلا[5]

(١) أشجج : شق . (٢) الجوزل : ولد الحمام . (٣) الجازى . : ما اكتفى به من الطعام . (٤) الأجدل : الصقر . (٥) الأعصل : الأعوج .

شاورتُ عزمى : ماترى؟ فقـال : هاتِ وهَـلا (١)
إمـا عِتـاقا للنَّجـا ءِ أو هِجـانا بُـزَّلا (٢) (٣) (٤)

وقال :

أرى الأمـــوالَ فى اللؤماء تثوِى وتجتنبُ الـــكرامَ من الرجالِ
كذاك الدُّرُّ فى مِلـــحِ أُجاجٍ وليس يكون فى عَذبٍ زُلالِ

وقال :

قلقلْ ركابَك فى الفـلا ودع الغـوانىَ للقصورِ
فمحالفـو أوطانهـــم (٥) أمثالُ سُكّان القبـــورِ
لولا التغـرُّب ما ارتقَى دُرّ البحورِ إلى النحورِ

وقال فى الغَزَل :

عينى التى علِقتْ حبائلُكم بهـا والحسنُ للعين الطموحةِ صائدُ
وخدعتمُ سمعى بطيبِ حديثكم ومن الكلام لآلئٌ وفـــرائدُ
وتردّد الأنفاسِ مَلّكَ عرفكم (٦) ما ليس يبلغُه العبيرُ (٧) الجـاسدُ (٨)

(١) هلا : كلمة تستعمل للحث . (٢) العتاق : كرام الخيل . (٣) الهجان : الكرام من الإبل . (٤) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٥) فى الأصل «فمخالفى» وهو تحريف . (٦) العرف : الرائحة الطيبة . (٧) العبير : أخلاط من الطيب .
(٨) الجاسد : اليابس ، وفى الأصل "الحاسد" وهو تصحيف .

وأحلتُم قلـــبى على أخلاقـكم فاذا السُّلافة[1] والزلالُ[2] البـاردُ
وبقى لسـانى وحدَه لى زاجرا هيهات، لا غَلَبَ الجماعةَ واحدُ!

وقال فى مثله :

لا تَظُنَّنَّ بى سُلُوًّا وإن كنـ ـتُ عزيزَ الدموع بين الجفونِ
إنما يصعبُ الدفينُ من الدا ءِ وسهلٌ ما كان غيرَ دفينِ
وبكاءُ القـلوبِ أسرفُ فى حكـ ـمِ المحبّينَ من بكاءِ العيـون

وقال يهجو :

أيا وَلد "الحُصَين" وما "حُصَينٌ"؟ لماذا — ضلَّ سعيُك — هِجتَ حَربى
أطلتُ تفـكُّرَى فـرأيتُ علمى وجهـلُك ضـدُّه فعـرفتُ ذنبى
وما أهجـوك أنك أهـلُ هجـوٍ ولكنّى أجـرِّبُ فيـكَ ضربى
وهـل عيبٌ[3] على شَفَـراتِ سيفى إذا آستمحنتُها فى لحـمِ كلبِ

وقال فيه :

لا تغتبط يابنَ "الحُصَينِ" بِصِبيَةٍ أضحت لديك كثيرة الأعـدادِ
لا تخـرَ فيـك ولا آفتخارٌ فيهمُ إن الـكلابَ كثيرةُ الأولادِ

(١) السلافة : الخمر . (٢) الزلال : الماء العذب . (٣) فى الأصل «عتب» .

وقال فى آبن دارَسْت :

قالوا : آبنُ " دارستِنا " وزيرٌ ... فقلتُ : لفظٌ بغيرِ معنَى

مثلُ لديغٍ يُدعَى " سَليما "(١) ... " نَصْرًا " و" فَتحا "(٢) يُسمَى ويُكنَى

كأنّما وجهه كتابٌ ... سوَّدتَ فيه ظهرا وبَطنَا

بعضُ وُعولِ الجبال لكن(٣) ... أطولُها لحيةً وقَرنَا

أقبلَ من " فارسٍ " الينا ... فى عُصبةٍ كالحَميرِ لُكْنَا

ظننتُم حولَه شِياها(٤) ... والشيخَ تَيْسا والدَّستَ دَبْنَا(٥)

يا رائدا دُلَّنا عليه ... صدقتَ حِسًّا وخِبتَ ظنًّا

وقال فيه :

دَستُ الوزارةِ يبتغى حَجَرا ... منكم ليستنجى من الخَبَثِ

أو ليس مفترضا طهارتُه ... بعد " آبنِ دارَسْتٍ " من الحدَثِ

تُنِيَتْ أرائكه على شَبحٍ ... خالٍ من الأعراضِ والجثثِ

ولربَّ حىٍّ فى تصوُّرِه ... والمَيْتُ خيرٌ منه فى الجَدَثِ(٦)

---

(١) يقال للمدوغ سليم تفاؤلا بسلامته من لدغة . (٢) فى الأصل «قبحا» وهو تصحيف .

(٣) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٤) شياه : جمع شاة وهى معروفة . (٥) الدبن حظيرة للغنم تعمل من قصب ، فإن كانت من خشب فهى زرب — بكسر الزاى وفتحها — ؛ وإن كانت من حجارة فهى صيرة — بكسر الصاد — . (٦) الجدث : القبر .

وقال فيـــه :

لُحِيَ "ابنُ دارَسْتٍ" على إمساكه ... فأجاب : إنى باذلُ الماعون (١)

أوَ لم تكونوا بيتَ بيتَ جِوارَنا (٢) ... فقَـرَيتُكُم بالماء فى "كانونِ" (٣) ؟!

فأرضوا بأسـقيةِ الزلال قِرًى لكم ... ودعوا الجِفانَ فإنها بكفـونى

لا كان زادٌ فى وعائـك إنه ... سببٌ لطـاعمه من الطـاعـونِ

وقال عند عزله :

ارجِعْ الى ما أنت أهـلٌ لهْ ... شُـدَّ متاعَ القـوم أوحُلَّهْ

قد عثَر الدهـرُ بكم عثرةً ... ودَّ بها لو قطعـوا رِجـلَهْ

إنّ زمانا "لابن دارستَ" قد ... قُـدِّمَ فيـه زمنٌ أبلَهْ

قد قال عذرا حين وبَّختُـه : ... لا بدَّ للعـالِمِ من زَلَّهْ

وكتب إلى صديقٍ له أهدى إليـه رُطَبا معسَّلا وصابونا وقواصرَ تمرٍ يشكره (٤) .

ودادُك فى قلبى ألذُّ من المُنَى ... وذكرُك أحلَى فى اللَّهاة (٥) من الشَّهدِ

(١) الماعون : المعروف .

(٢) يقال : هو جارى بيت بيت أى ملاصقا ، وفى الأصل * أو لم يكونوا بيت بيت جواركم * والضمائر فى هذا البيت مضطربة فأثبتنا ما رجحناه ليستقيم المعنى .

(٣) كانون : من الأشهر الرومية وهو من قلب الشتاء .

(٤) قواصر : جمع قوصرة وهى وعاء من قصب يرفع به التمر من البوارى — وهى الحصر — .

(٥) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

فلستُ بمحتاج إلى أن تُعينَه ... بما تتجَنّـه البـاسقاتُ من الولدِ

ولكنّما أذكرتَنى بشـمائل ... جعلنَ على المُهدَى الفضيلةَ للمُهدِى

أتتنا هداياك التى لم نجـد لهـا ... جزاء سـوى الشكر المكلَّل بالحمـدِ

معاليقُ(١) باقـوت تخالُ ثقـوبها ... بأبشيزكاتِ(٢) التبر نُظِّمنَ فى عِقدِ

وإنّ نتاجَ النحلِ والنخلِ واحدٌ ... وهل بين شكل الحاءِ والخاءِ من بُعدِ

أتت فى مُروطٍ(٣) من يراعٍ كأنهـا ... من القصَب المصرىّ تختال فى بُردِ(٤)

وقد قدَّرتْ كفُّ الصِّناعِ(٥) التئامَها ... كتقدير "داودَ"(٦) المساميرَ فى السَّردِ

تعـانقنَ فيهـا كاعتناق حبائبٍ ... فمـا نتعاطـاهنَّ إلا على جهـدِ

إذا فـرقتهنّ البنانُ تشبَّثت(٧) ... بمثل هَباء الشمسِ خوفا من البُعدِ

وأخرى تجلَّت فى قميصِ زجاجةٍ ... كما ضُمِّن القـنديلُ لألأةَ الوقـدِ

نفَـوا قلبها القـاسى وآووا مكانَهُ ... رقيقا وإن ساواه فى اللون والقدِّ

فـو الله ما أدرى أذاك نَحيتـةٌ(٨) ... من الزُّبدأم هذا مصوغٌ من الزَّبدِ؟!

بكا للتنائى بعضُها فـوق بعضِهـا ... دمًا مُجمَدا فى صِبغة اللحم والجلد

---

(١) معاليق : جمع معلاق وهو كل ما علق . (٢) كذا بالأصل وقد شكلت بالقلم، ولم نعثر عليها ولعلها بمعنى "سلوك" .

(٣) المروط : كساء من خز، وربما تلقيه المرأة على رأسها تلتفع به . (٤) البرد : الثوب .

(٥) الصناع : الحاذق الماهر فى صنعته .

(٦) السرد : نسج الدرع — ويقال : إن أول من أحكم صنع الدرع داود عليه السلام — .

(٧) تشبثت : تعلقت . (٨) فى الأصل هكذا "نحمه" .

وزادت بلون الزعفـران تصبُّغـا ... ولا تَشْنَعُ(١) الحسناءُ من حمرةِ الخدِّ

فتـلك بَرَانٍ(٢) أم مخازنُ جوهر ... حُشينَ فريداتٍ من العـنبر الوردِ؟

اذا قلَّبتهنَّ الأكفُّ تعجُّبـا ... توهَّمهـا الراءون تلـعبُ بالنَّردِ(٣)

وشهباء(٤) يُستجلَى الضَّريبُ(٥) بلونِهـا ... وطينتُهـا من عنصر الحجَر الصَّلدِ

مقابَلة الأضـلاع ، كان مثالُهـا ... قياسا "لذى القَرنَين" فى زُبَرِ(٦) السَّدِّ(٧)

عَدُوَّة "مانى"(٨) فى البياض ، كأنّها ... ولونَ المشيبِ قد أقاما على عهدِ

وما عطَّـر الأثوابَ مثلُ مقدَّمٍ ... على المسك والكافور والعُودِ والنَّدِّ

أيادٍ توالت منك عجَـلَى كأنهـا ... شَرارٌ أطارته الأكفُّ من الزَّندِ

وإنىَ فى عجـزى عن الشكر سائلٌ ... مساعدتى مَن كلَّم الناسَ فى المهدِ؟!!

* * *

وقال يهجو :

ضيوفُ "آبن فَضلانٍ" سواءٌ نهارُهم ... وليلُهـمُ صوما من الشّرب والأكلِ

ويُلزمهـم أن يَنكحـوه وعِرسَه ... وصعبٌ على مَن شئتَ خَرجٌ بلا دَخلِ

---

(١) تشنع : تقبح ، وفى الأصل هكذا « لسع » . (٢) البرانى : جمع برنية وهى وعاء من خزف . (٣) النرد : شىء معروف يلعب به — وهو ما يسمى « بالطاولة » — .

(٤) يريد زجاجة بيضاء . (٥) الضريب : العسل الأبيض الغليظ . (٦) زبر : جمع زبرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٧) السد : — بالفتح ويضم — الحاجز بين الشيئين والمراد به ما بناه ذو القرنين ؛ وقصته معروفة فى القرآن الكريم .

(٨) مانى : رجل يقول الخير من النهار ، والشر من الليل ، ومذهبه مذهب المانوية ؛ — ومعنى البيت مضطرب — .

وقال :

قل "لابن جابرَ" الذى جعلَ اللهُ لـــه كلّ خَـــلّةٍ[1] قـــذرَهْ:
الجنُّ نارٌ والإنسُ من حَمَـــإٍ[2] فأنتَ لِمْ ذا خُلقتَ من عَذِرَهْ؟[3]

وقال فى سوداء :

عُلِّقتُهـا حَمَّـاءَ[4] مصقـولةً سـوادُ قلبى صفـةٌ فيهـا
ما انكسف البدرُ على تِمِّهِ ونُورِه إلا ليحكِيهـا
لأجلهـا الأزمان أوقاتُهـا مؤرخاتٌ من لياليهـا

وقال فى الشيب :

لم أبكِ أن رحلَ الشبابُ وإنمـا أبكى لأنْ يتقاربَ الميعـادُ
شَعـــرُ الفتى أوراقُه فاذا ذوَى جَفَّت[5] على آثاره الأعـــوادُ

وكتب الى أبى الخير سعيد بن منصور بن مُوصَلَايا يستهدى منه أقلاما ومِدادا عند توجُّهِهِ إلى بعض الأسفار

"أبا الخير" المفيدَ لكلِّ خيرٍ وكاسِىَ نُبْـلِهِ ريشَ الصوابِ

(١) الخلة : الخصلة، والبيت غير متزن وقد تحاشينا التصرف فيه . (٢) الحمأ : الطين .
(٣) العذرة : الغائط . (٤) الحماء : السوداء، كالحمأ وهو الطين . (٥) فى الأصل «خفت» وهو تصحيف .

ومن ألقى اليه الناسُ طرًّا ... مقاليـــدَ الكتابة والحسابِ

ومن إن شاء إنشاءً بليغا ... فليس يَعُوزه فصلُ الخطابِ

فضائلُ يُنسَب الإحسانُ فيها ... كما تُنسب القِطارُ الى السحابِ

أرانا كلَّ معجِبةٍ إلى أن ... أرانا عنـــده لونَ الشبـابِ

مِدادا إن تضمَّنه محـلٌّ ... ظننتُ مقرَّه وكرَ الغرابِ

فما أدرى أمن كُحـلٍ مُماع ... تجسَّم أم دُجَى ليـــلٍ مذابِ

تقـــولُ اللِّـــة (١) الشمطاءُ (٢) لمّا ... رأته : ليتَ هذا من خِضابى!

وقد أزِفَ الرحيـــلُ فلا مقامٌ ... سوى شدّ الرِّحال على الركابِ

إلى ملكٍ توسَّـط بين برٍّ ... وبحـــرٍ طافحٍ سامى العُبابِ

فلستُ بواجدٍ فيـــه أنيسا ... سوى الحيتان تُقرنُ بالضِّبابِ (٣)

فزوِّدْنى من الأنقـاسِ (٤) قـــدرا ... يقـوِّتنى إلى حين المآبِ

فإن أسعفتَ بالأقـلام منّـا ... فما يغنى الطعامُ عن الشرابِ

* * *

وقال :

تزاحَمُ فى صـــدرى القوافى ولا أرى ... لهـا مستحقًّا فى الزمان ولا أهـلا

وكيف أمتـــداحى معشرا شجراتُهم ... عَوارٍ فما تُجدى ثمارا ولا ظِـلّا

(١) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) الشمطاء : التى خالطها سواد وبياض .

(٣) الضباب : جمع ضب وهو معروف . (٤) أنقاس : جمع نقس — بكسر النون — وهو الحبر .

فلو شَرُفوا بالعلم وٱطرحوا الندى تأوّلتُ فيهم أننى أمدح الفضلا
ولو تركوا الآدابَ عنهم بمعزلٍ وجادوا، لقلت: أمدحُ الجودوالبذلا
ولكنهم عن ذا وذاك تزحزحوا فلم أرَ أنى أمدحُ الجهلَ والبخلا

* * *

وقال وقد سئل أن يلغز أبياتا فى النار :

هل تعرفُ الحسناءَ تفـ ـخَر بالبروز على الطريقِ؟
ولها ولىٌّ لا يغا رُ من الزيارةِ والطُّروقِ
لا يستريبُ بها وإن كانت شِعارا للرفيقِ
وإذا ٱختفت فى خِدرها جُلِدتْ لتَظهَر فى الحقوقِ
فأتتك منه فى حِدا دٍ ناصلٍ واهى الخروقِ
ثم ٱكتست بغلالةٍ إما عَرارٍ (١) أو شقيقِ (٢)
تاجُ الزُّمرّدِ (٣) فوق مَفـ ـرقها يُرصَّعُ بالعقيقِ
بين الأنام وبينها ماشئت من نسبٍ عريقِ

* * *

وقال :

تقاعستُ عن أبناءِ دهرىَ عائفا موارِدَ منهم ضافياتِ الغلائلِ
ولى قُرباتٌ عندهم غير أننى أضَنُّ على أفضالهم بفضائلى

(١) العرار : النرجس البرى ؛ او هو بهار ناعم أصفر طيب الرائحة . (٢) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة . (٣) الزمرد — بالدال والذال — حجر كريم أخضر اللون .

وقال ولم يتمّمها :

فـرّ من الحبّ قلبُـه فنجَا ... من بعد ما خاضَ فى الهوى لُجَجَا

فما سـباه ملـثَّم بضُـحًى ... ولا شجاه معـمَّم بـدُجَى

من بيك حَولا يُعذِرْ فكيف بمن ... بكَى على رسم دارهـم حِجَجا

هذا اللَّمَى ذلك الذى شغف الـ ... ـقلبَ وخمـرُ الثغور ما مُزِجا

فكيف حالَ الغـرامُ منـه قِلًى (١) ... ونال من بعـد شدَّةٍ فرَجا

لا تأمنَنّى على مراجعـةٍ ... مَن دبَّر الحبَّ قبلَنا بحِجَا؟

يا ناقـةَ الظبيـةِ التى ظعنَتْ ... أهـودجا ما حملتِ أم بُرُجا؟

زاد بـكِ البـدرُ فى منـازله ... منزلتَيْهـا "عُسْفَانَ" (٢) أو "أَجَا" (٣)

قد أغربَ القينُ (٤) فى سهامهمُ ... راشَ بهُـدبٍ ونصَّـلَ الدَّعَجا

أليس هـذا السـلاحُ ويحكمُ ... أحكَمَ "داودُ" الذى نَسـجَا

كانت دموعى ماءً فصـرنَ دَمًا ... أأبـدل السنُّ شأنَهـا ودَجَا؟ (٥)

ونار قلبى هى التى ظهـرت ... تُوقدُ فى الليـل مَفـرقى سُرُجا (٦) (٧)

---

(١) القلى : البغض (٢) عسفان : منهل من منـاهـل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل غير ذلك . (٣) أجا : بلد من أعراض المدينة . (٤) القين : الحـداد .
(٥) الودج : عرق فى العنق إذا قطع لا تبقى معه حياة . (٦) المفرق : — من الرأس — محل فرق الشعر . (٧) سرج : جمع سراج وهو معروف .

ليت الذى نظَّـــمَ اللا لئَ فى فـرعِىَ خَـــلَّى مكانَهـا السَّبجا[1]

يا موليجَ الليـلِ فى النهـارِ أما آن لصبحٍ فى الليـــل أن يَلِجا؟!

وقال ولم يتمّمها :

جاريتُ[2] فى الحبِّ أطلاقا[3] بلا أمدِ فها أنا سابقُ[4] العُشّاقِ بالكمـــدِ

ما يستطيل فؤادى فى الهوى سَفَرا والهمُّ زادى وماءُ العين من عُدَدِى

خفْ يا مليكَ أن يفنَى عذابُك لى ولا تخفْ أننى أبقى بـلا جَـــلَدِ

جيشٌ من الصبر عندى ليس يهزِمهُ شـوقٌ تُغـير سَرَاياه[5] على الكبِـدِ

بلغتُ أقصَى المَدى فيه وما ثلمتْ منه الوشاةُ فـــلم ينقُص ولم يزِدِ

إن الألى ملـئوا الأجفانَ من مطرٍ هـــم الألى ملـئوا الأفواهَ من بَرَدِ

مَن نابُهُ شَنَبٌ[6] وظُفْـــرُه عَـــنَمٌ[7] فهو الغزال الذى يحنى على الأسدِ

نفسى إلى الله لا تشكو جفـاءكُمُ ولا إليكم ، فهل تشكو إلى أحدِ؟!

وقال :

تُسائلنى دِرعى : أهذى هى النَّبْلُ؟ لعـلَّ الذى شبّهتَـه الأعينُ النُّجلُ!!

(١) السبج : الخرز الأسود — فارسى معرب — . (٢) فى الأصل «حلربت» وهو تصحيف .
(٣) أطلاق : جمع طلق — بفتح الطاء واللام — الشوط ؛ — وبضم الطاء واللام — غير المقيد من البعران أو النوق ؛ والفرس اذا كانت إحدى قوائمها لا تحجيل فيها . (٤) فى الأصل «سابق» وهو تحريف . (٥) سرايا : جمع سرية وهى القطعة من الجيش . (٦) الشنب : ماء ورقة فى الأسنان . (٧) العنم : شجر ثمره أحمر يشبه البنان المخضوبة .

رمين[1] سهاما فى الجسوم جراحُها ؛ وما أنتَ من سهم به يخرُج العقلُ ؟!

متى ماتجِدْ لى الشمسَ فى غسَق الدُّجَى أجِدْ لك قلبا ماله فى الهوى شغلُ

ولولا اتّفاقُ الناس فى الحبِّ أنه قديمٌ، لقلتُ : لوعتى مالهَا قَبْلُ

أيا حادىَ الأظعان أعجِلْ فإنها الـ ـمنايا، وبعضُ البِرِّ أن يؤجَرَ[2] القتلُ

ويا قلبُ أقرِرْ بالذى كنتَ جاحدا فقد ضجِر اللاحى وقد فنِيَ العذلُ

يزيد الحسانَ البيضَ فى اللؤم رغبةً تصوُّرُنا أنْ منهُمُ يحسُن البُخلُ

✦ ✦ ✦

وقال :

يا "آل عَوفٍ" أنجدوا الصّبَّا ولطالما فرَّجتُمُ الكَرْبا

كان ابتداء أخيكُمُ مِقَةً ثم استحالت بعدَ ذا حَربا

كُفُّوا ظباءً فى مَسارحكم تَسبى اذا غُزِيتْ[3] ولا تُسْبَى

وخذوا يدى اليمنَى معاهِدةً أن لا تعاوِد مقلتى الحُبَّا

قالوا : حلَلنا عنهُ رِبقَتَهُ ، صدَقوا، وشَدّوا العينَ والقلبا

✦ ✦ ✦

وقال ولم يتمّها :

أتنساها على "خَيْفٍ" مِنًى "تَهوِى أبابيلا[4]

---

(١) فى الأصل هكذا « عين » ولعلها محرفة عن « رمين » بأن شبكت الراء فى الميم فالتبست على الناسخ .

(٢) فى الأصل هكذا « يوجر » .

(٣) فى الأصل « غرنت » وهو تصحيف .

(٤) الأبابيل الجماعات .

وقـــد ألبسها الوخدُ (١) مِن المَرْو (٢) خلاخيلا

رُبّى فيها ترى الحامـ ـل قـــد شابَهَ محمولا

فـذا بالنُّسك منحـورا وذا بالحبّ مقـــتولا

أتـدرى أيّها أَســـ ـرُ للأرواح ترحيـــلا

هـــل البِيضَ (٣) المباتيرَ أم البيضَ (٤) العَطابيـلا؟

وليس الخـدُّ مصقولا بدون السيف مصقولا

أمَن يقطعُ فى غِمدٍ كمن يقطـــع مسلولا؟

ألا يازاجـــرَ الســـا ـنح (٥) ما أحسنتَ تأويلا

جرَى اليمنَى وما صادفـ ـتَ حبلَ الوصل موصولا

أرَى الخِدرَ (٦) لمـا يصنـ ـعُ بى سُكّانُهُ (٧) غِيلا

وقال :

أظنُّك تبتغى حلَبَ الثـغورِ ولو عُوِّضْتَ بالمـاء النميرِ

---

(١) بالأصل، "الوجد"؛ والوخد : ضرب من السير السريع . (٢) المرو : حجارة بيض براقة ، وهو أيضا موضع من شعائر الحج . (٣) فى الأصل « السمر » وكتب أمام هذا البيت فى هامش الأصل «أظنه البيض» ؛ ونحن نرجحها لأن السمر — وهى الرماح — لا توصف بأنها باترة، والبيض المباتير: السيوف القاطعة والبيض الثانية : الجوارى الحسان . (٤) العطابيل : جمع عطبول وهى الجميلة الطويلة العنق . (٥) السانح : الطائر أو الظبى يمر من اليمين — والعرب تتفاءل بهوضده البارح — . (٦) الخدر : بيت الجارية . (٧) الغيل : بيت الأسد .

وتطلبُ من حَمامِ الأيك لحنا يَهيج بلابلَ القلب الذَّكورِ

وقال :

يا كاهنَ الحبِّ خبّرنى مَن الجانى عينى التى عشقت أم طَرْفَ الرانى؟ (١)

ولو علِمتَ الذى يجرِى على كبدى لقلتَ : إنهما فى الحبِّ سِيّانِ (٢)

وقال ولم يتمها :

قد علمتْ ليلة الحمى ورَعى والبدرُ فيها فريسةُ الطمعِ

أُغمِضُ عينىَّ عن محاسنها والقلبُ ما تذكر الجفونُ يعى

تزجرُنا خيفة "الإمامِ" عن الـ ـصَّبوةِ زجرَ المشيبِ والصَّلعِ

"القائمِ" المنتضى صوارمَه على رءُوس الأهواءِ والبدَعِ

بذكر أسمائِه التى شرُفَت يُعرَفُ فضلُ الأعيادِ والجُمَعِ

وقال ولم يتمها :

لا مجدَ إلا "للإمام القائمِ" وإن آدّعتهُ عصابةٌ من "هاشمِ"

نرضَى لدينِ الله والدنيا الذى رضِىَ النبىُّ لبُرْدِه والخاتمِ

(١) كذا بالأصل ، ومعنى العين والطرف واحد ، ولعل صوابه :

* عَينى التى عَشِقَتْ أمْ قلبىَ العانى *

(٢) فى الأصل «الحسن» وقد كتب فوقها بالقلم الرصاص «الحب» فرجحناها .

وقال فى غَرَض :

أُقسم بالعـاديات(١) ضَبْحا(٢) حقًّا وبالموريات(٣) قَدْحا:

بأنكم توسعون مَقْتا من زادكم عِفـة ونصحا!

فى كلّ يوم لكم سطورٌ تُكتبُ بالعهـد ثم تُمحَى

وكلُّ ما يُبتَنَى عِشاءً يُهـدَمُ بعد التمـام صُبحا

كالأفق إن غام فى جَنوبٍ هبّت شَمـالٌ له فأصحَى

آمالُنـا فيكُمُ هَبـاءٌ أضرَبَ عنها الرجالُ صفحا

من همُّه أخذُ رأسِ مالى فكيف أرجو لديهِ ربحا؟!

وقال :

ياليتهـم حين صَيَّروا خَدَما عُمَّـالَ عُمّالهـم كما حُـكما:

جَرَوا على ذلك القياسِ بأن تصـيرَ عُمّالهُم لهـم خدَما

وقال ولم يتمّها :

بعينيـك إضرامُهـم للأكُمْ بجُمـرِ القِبابِ وحُمـرِ النَّعَمْ

تَخَيّلهـا الضيفُ نارَ القِـرَى وما هى إلا قـلوبُ الأمـمْ

(١) العاديات : الخيل — سميت بذلك لعدوها — . (٢) الضبح : صوت الخيل فى عدوها لا بالصهيل ولا الحمحمة . (٣) الموريات : الخيـل تصك الحجارة بحوافرها فتبدو منها النار — على التشبيه بإيراء الزناد — .

ورقَّ الحُـــداةُ لإنصاتِهـــم (١) فأبدلْنَها بالســـياطِ النَّـــغَمْ
لقد كذبَ الفألُ لمـا زجرتُ ظباءَ "سُليمٍ" "بوادى السَّلمْ" (٢)
فما كنَّ إلا الجوى والأسى وطولَ السهـادِ وفرطَ السَّقَمْ
أترجو لمن قـد هَوى صحّـةً وما علَّـــةُ الحبِّ إلا لَمَـــمْ؟ (٣)
ولمـا رأى البُرءَ فى عَـــذْله رماه الهـوى بالعمَى والصَّمَمْ
تظنُّ السحائبَ أجفـانَهُ لو انَّ السحائبَ تهمى بدمْ
ولولا الغـــرامُ لمـا شاقَـــه حَمامٌ دَعَا أو غـــزالٌ بَغَـمْ (٤)

وقال ولم يتمّها :

غدًا تراهـا جُنَّحًا على "الغضا" تطلُب عهدا من زمان قد مضَى
ما بالهـا خاشعـــةً أبصارُهـا إلا اذا برقُ "العقيق" أومَضـا
مُروعـــةً تحسَبُ فى هـاماتها صـــوارما منـه عليهـا تُنتَضَى
حنّتْ إلى ركب "الحجاز" تشتكى إليه من أهلِ "العُذَيبِ" مَرَضا
مالكَ فى الركبِ غريمٌ ماطلٌ؟ بلَى، على الحىّ ديونٌ تُقتَضَى
قال : وهل ترجو الوفاءَ عندهم كأنهـا على الأجَلِّ "المُرتضَى" (٥)

(١) فى الأصل «لأنصابهم» وهو تصحيف . (٢) فى الأصل «ووادى السلم» وهو تحريف .
(٣) اللمم : الجنون . (٤) البغام : صوت الظبى . (٥) الهاء فى كأنها عائدة الى الديون فى البيت السابق .

وقال :

وقائلٍ : لِمْ هجرتَ الشعرَ من زمنٍ ... فقلتُ قولَ أمرئٍ من خَيرِهِ يئِس :

رأيتُ هجوى أناسا معجزا لهـــمُ (١) ... وخاب مـدحى فبعتُ النُّطقَ بالخرس

وقال :

قل "لابن قُـرّانٍ" مقالةَ ناصحٍ : ... أخطأتَ حين نكحتَ حُوراً عِينا

عَلِقتْ حِبالُك ظبيـةً وتركتَها ... وكأنهـا لم تحـو منك قرينـا

تالله أقسم أنها إن لم تعُـدْ ... بعـدَ البَكارةِ لاقـا ولَبـونا

تركتْكَ كالسّم أبيـكَ تفتَحُ فاهُ (٢) ... وتزيـدُ فيه بعـد راءٍ نـونا

وقال وسُئل عملَ أبيات فى النارنج :

إذا فُتِنَ الإنسانُ يوما بمنـظَرٍ ... فإنى إلى النـارنج مائلةٌ نفسى

تظنُّ السماءَ خُضرةً شجـراتِهِ ... وتحسَبه ما بينهـا كُرةَ الشمسِ

وقال يُلغز بحَرَّة :

ذاتُ أيدٍ ثلاثةٍ أبـدَ الدهـ ... ـرِ ترى فـوقَ رأسِها أيديها

(١) كذا بالأصل ويحتمل أن تكون "مفخرا" .

(٢) يريد أن اسمه يصير «قرنان» وهو بمعنى الديوث — وهو الذى يرى الريبة على أهله فيغض عنها —

شِرِبَتْ ماسقيتَها من شراب ثم تسقيكَ مثلَ ما تَسقيها
خَـرْتُ[1] آذانها مَغابِنُ[2] أيدٍ بها ويافُوخها مقـرٌّ لفيها

وقال يهجـــو :

قالوا : "آبن مالكَ" قرنانٌ فقلت لهم : كذبتُمُ وأثِمتم بل لـــه ذَنَبُ
لوكان يملِك قرنا كان ينطح عن شاةٍ له كلُّ تيسٍ فـــوقَها يثبُ

وقال :

عيوبٌ "لآبن مالكَ" قد كفتنى عَناءَ الذمِّ فيـه والأهـاجى
بـــلى ! قالوا : له جارٌ جرىٌّ على نِسـوان عمال الخـراج
وليس بطـالبٍ منهنّ شيأ سوى طلب الديوك من الدَّجاج
لـــه رمحٌ بأسـفلِ حالبيْـــهِ يجيد الطعنَ فى يوم الهياج
وقد نقهتْ عليه عِرسُ "يحيَى" على وجه التداوى والعـــلاج
لأنَّ بهـا على ما قيـــل يَبْسا وأنّ صـديقَها رطبُ المزاج
فحاز النِّيـكَ رِحْمٌ فيلسوفٌ بـــبرهانٍ صحيحٍ واحتجاج
فـلا تفْرِر[3] بهـا شرقا وغربا فما أحدٌ من الحـدثانِ ناج

(١) الخرت : الثقب . (٢) المغابن : الآباط ، واحدها مغبن — بكسر الباء — .
(٣) فى الأصل هكذا « تعرر » .

وقال :

"ليحيى بن عبدالله" عِرسٌ كريمةٌ تعاتبُـه أن صاغـــه اللهُ ساقطا

فما يمنعُ البطنَ الخميصةَ زانيًا ولا يحـرِم الظهـرَ الموطَّأ لائطا

فأىّ سـبيليْها أراد سلوكَه أصاب له فيـه شريكا مخـالطا

ولو حَمَل "الثَّورُ"(١) السمائِىُّ قَرنَهُ لخرَّ من الأفلاكِ بالأرض هابطا

ومن كان ذاك الوجهُ مِرآةَ وجهِهِ فلا نُكرَ أنْ يُمسِى ويُصبحَ ساخطا

عَبوسٌ تظلُّ العينُ منـه قريحةً كأنّ(٢) عليـــه للقَتادةِ حائطا

ألا ضـلَّةً للقـــوم ردُّوا ولايةً اليـك ولو كانت تُغِـلُّ قَرارِطا(٣)

فما آستحفظوا إلا ذؤيبًا مُغاورا وما آستودعوا إلا لُصَيْصامغالطا

فلا تبتهج بعاجل الأمر فيهـمُ فسوف تَرى فى أخدَعيْكَ(٤) المَشارِطا

ستلقَى أليمَ الأخذ للعظم كاسرا وللّحم مِنضاجا وللجِـلد سامِطا

وإن تنجُ لايُنجيك من سطواته بنفسك إلا أن تُحِلَّ الخرائطا(٥)

---

(١) يريد برج الثور، — وهو أحد البروج التى تنزلها الشمس — .

(٢) القتادة : شوك شجر صلب كالإبر . (٣) قرارط : جمع قيراط — كمفتاح ومفاتح — والقيراط بمكة ربع سدس الدينار؛ وفى العراق نصف عشره، ويستعمل القيراط أيضا فى المساحة وقد جعل دستورا فى الحساب، فإنهم يقسمون المنجزات الى أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له نصف وثلث وربع وسدس وثمن صحاح من غير كسر فيطرد التقدير به . (٤) الأخدع : عرق فى الرقبة إذا قطع لا ترجى بعده حياة . (٥) الخريطة : وعاء من أدم يشرج على ما فيه .

فأعدِدْ لهم ما خنتَ فيه سواهُمُ وعدِّكَ (١) بالم تنظر بعينيك "واسطا"

ويا بَرْدَها عند الفؤادِ بأن ترى على قارعاتِ الطُّرْق كفّيك باسِطا (٢)

وقال :

يا دُرَّةَ البحر لو أنصفت نفسك ما جعلتها سِـلكَ دُمـلوجٍ (٣) وخَلخالِ

كم ذى حُلِيٍّ وقد أزرَى به عَطَـلٌ وعاطل ليس يدرى أنـه حالِ

لولا الهوى لم يبتْ سكّانُ "كاظمةٍ" ممّن منازلهم "حِجْـرٌ" على بالِ

وقال :

علَى مَن تبيعُ متاعَ الأدبْ وتنثُرُ دُرَّ كلام العـرَبْ؟

ومن يستحقُّ حُلِيَّ المديح يصاغُ له كحُـلِيّ الذهبْ؟

وقال :

سَنَحْن كما اعترضَ الربربُ (٤) ولكنَّ صـدَّهُمُ أعجبُ

وجوهٌ ترقـرقَ ماء الجما لِ فيهنّ لو أنه يُشـرَبُ!

---

(١) عدك : اصرف نفسك . (٢) يريد أنها تراه متسولا . (٣) الدملوج : حلية كالسوار تلبس فى الذراع . (٤) الربرب : القطيع من الظباء .

وقال :

وليـلةٍ قد نسجَتْ ريحُها غـيما به آفاقُهـا تكتسى
ما زال يطوى النجمُ أخبارَهُ فيها عن الناظر حتى نُسِى
خلنا بها الأرضَ سماءً وقد أُطلعَ فيهـا أنجمُ الـنرجسِ

وقال :

عَذبٌ من المـاءِ قد سُدّتْ مواردُه سيّانِ واجدُ ممنـوع وفاقـدُهُ
تجفو تعـذُّرَ حبٍّ لست تُبصرهُ والمُـرُّ حِرمانُ محبـوبٍ تُشاهـدُهُ
أرنى ذوائبَـه دونى يُشَكِّكُنى أهْى التى ســترتهُ أم ولائـدُهُ؟ (١)!
فليت قَدْ قَدَّ من جفـنى براقعَـه و إن كفَى فُصِّلتْ منـهُ مجاسِدُه
القدُّ والخصر والطرفُ الكحيلُ له فكيفَ يُغلَبُ مَن هذى مَكايدُهُ؟!
وما أردتُ ســلُوّا عن محبّتـه إلا وقلـبى على كُلِّى يُساعـدُهُ

وقال :

يا حسنَ مَغداكَ وطيبَ الرواحْ ذاك هو السـعىُ وهـذا النجاحْ
مـذ زجَروا فألَك أعلمتُهـم إمساكَ أيديهـم عنانَ القِـداحْ

(١) ولائد : جمع وليدة وهى الأمة .

وقال :

قـد عاد بدرُ الدجى الى فلَكِهْ يغسِلُ وجهَ الظلام عن حَلَكِهْ
سَرَى وأفراسُـــه مطالعُـــهُ ونَقعهُنَّ المُثارُ من حُبُكِهْ (١)
فآقتنَص المجـدَ فوق عاتِقِـهِ وآستأسر المكرماتِ فى شَرَكِهْ
أهدىَ به الفضلَ والسماحةَ والـ ـعزمَ "إمامُ الهدَى" الى مَلِكِهْ

وقال :

شَككتُ وقـــد زارنى غَلطةً أفى يقْظـةٍ ما أرى أم مَنـامْ؟!

وقال :

تسعَى بنا قدمُ الرجاءِ وما الذى يُغنِى إذا قَعدتْ بنا الأرزاقُ!!

وقال :

قومٌ كئوسُهمُ السـيوفُ وخمـرهُم ما آستَخرجتْ من شاخِبِ (٢) الأوداجِ (٣)

(١) الحبك : الطرق . (٢) الشاخب : السائل . (٣) أوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق إذا قطع لاترجى بعده حياة .

وقال :

لا يهُنْ عندك اختلالٌ بجسمى فقِـــوامُ الأرواحِ بالأجسامِ

وقال :

ما يصنَعُ المستيرُ[1] بالغـابِ صُـــنعَ ظِباءٍ وراءَ أطنـابِ[2]

جفـونُ هذى بالحظِ تُرسلُها أقتـلُ مِن ذا بالظُّفْرِ والنابِ

انتهى

---

(١) المستير : المختفى ، — ويريد به الأسد — .

(٢) أطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

هـــذا آخر ما وجد بالنسخة المخطوطة

* * *

"قال عبدُ الله بن إبراهيم الخِيرى" : هذا آخر ما وُجِدَ من شـعرِه ؛ وكان رحمه اللهُ يقول :

إنّ أكثرَ شعرِه ضاعت مسوداتُه فى النُّهوبِ والاختلافاتِ ؛ وما كان سبب جمعِه غيرى ، وكان رحمه اللهُ كلَّما عمِل بعد ذلك قصيدةً يُنفذها الىّ ، ويقرؤها علىّ ؛ والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلاتُهُ وسلامُهُ على محمدٍ النبىِّ الأمىِّ وآلِهِ الطاهرين أجمعين" .

كتبها بخطه لنفسه محمود سامى الشهير بالبارودى
من دار الكتب الشهيرة بطوپ قپوسراى
بدار الخلافة العلية بالقسطنطينية
فى شهر رمضان سنة ١٢٨٥ من
نسخة بخط ابى على
الحسن ابن على
كتبها
سنة ٥٢٦

وقد تم نسخها فى ستة ايام لضيق الوقت

إحـــتمال

نضع فى هـذه الصفحة بعضَ آحتمالاتٍ على سبيل المثال مما ورد فى هـذا الديوان لطائفةٍ من الكلماتِ التى تحتملُ وجها آخرَ غير جازمين بها إلا على وجه هذا الآحتمال وللشعر وجوه :

صفحة	سطر	
٢	٨	أعراس — يحتمل فيها فتح الهمزة على أنها جمع ، وكسرها على أنها مصدر .
٣٣	٣	مخلّق — كذا بالأصل ، ومن قراءة البيت يجوز أن يكون معناه : أن هذا الجواد لا يسبقه شيء حتى الطير المحلق فى مداه ؛ ونقول إن من المحتمل أن يكون "مُخلَّق" بمعنى ممسوح بالخلوق وهو طيب يغلب على أجزائه الزعفران ، وكانت العرب تمسح به على وجه الجواد السابق للدلالة عليه . وكان من عاداتهم أيضا أنهم اذا أرسلوا خيلا على صيد فسبق أحدها خضبوا صدره بدم الصيد بدل الخلوق علامة له .
٣٤	٣	يحنُب — كذا بالأصل ، ونرجح أن تكون "يحلِب" وإن كان للأولى معنى ولكنه غير دقيق .
٤٤	٢	طال — كذا بالأصل وله معنى بعيد ، ونحن نؤثر أن يكون صوابه "حان" .
٥٨	٩	تُزهَى لَهُ — كذا بالأصل و بمختارات البارودى ؛ و يحتمل أن تكون "تُزهَى بهِ" كما يقتضيه الآستعمال الفصيح .
٦٩	١٠	المربع — من المحتمل أن تكون "المرتع" .

صفحة سطر

١٠٩ ٧ إن مرِضتْ ليلةً عُمِّيَ كواكبُها — كذا بالأصل ، وهو لا يخلو من معنى ؛ ويحتمل أن يكون :

* إن عَرَضَتْ ليلةً عُمِّتْ كواكبُها *

١٧٤ ٨ ليهنِك — كذا بالأصل ويستعملها كثير من الشعراء على زعم أنها صواب ، وقد جاء فى اللسان : « والعرب تقول : ليهنئك الفارس — بجزم الهمزة — ، وليهنيك الفارس — بياء ساكنة — ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة » .

ملاحظـــة

شرحت كلمتان فى هذا الديوان بغير المعنى الذى يقتضيه سياقهما ، الأولى فى صفحة ١٤٢ رقم ٢ من الشرح وهى « السابرى » : الثوب الجيد ؛ وصوابه «الدرع المحكمة النسج» . والثانية فى صفحة ١٥٨ رقم ٧ من الشرح وهى «المزاد» : وعاء يوضع فيه الزاد، وصوابه : « وعاء من جلد يوضع فيه الماء » .

إســـتدراك

نستدركُ فى هـذه الصفحة أغلاطا وقَعتْ فى هـذا الديوان أثنـاء الطبع ، وهى و إن كانت لا تخفَى إلا أنّنا آثرنا أن ننبه عليها ليرجعَ اليها القارئ فى محلّها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٠	دَهُرِيَّة	دُهْرِيَّة
٣٤	٤	المُصيف	المَصيف
٣٦	١٢	يزال	زال
٤٩	٧	وحشَ	وحِش
٥٥	٧	ياعزّ	بأغَرَّ
٥٥	٧	فوق	فَرْق
٥٧	١٠	الصورُ	الصدرُ
٦٨	١٢	أطلال	أظلال
٦٨	١٢	الرجال	الرحال
٧٠	٥	سحابةٍ	سحابُهُ
٨٤	٢	يقطُف	يقطِف
٩٣	٩	مِـاح	مُراح
١١١	١١	تعرَّضَ	تعرَّضْ
١١٧	٩	مرهم	مَرهم
١١٩	١	أصوم	أحوم
١٣٤	٤	قُطار	قطار

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	٧	قُطار	قِطار
١٤٠	٢	فأعلَى	فأغلَى
١٤٧	١٤	شُمُتَ	شُمُتَّ
١٦٠	٤	قَسٌّ	قُسٌّ
١٦٥	٨	يُخْدَع	يُجْذَع (١)

(١) يجذع : يصير جذعا — وهو من الخيل والإبل — ما قبل الثنى .

(مطبعة الدار ٤٨/١٩٣٢/٢٢٥٠)

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

This book is due on the date indicated below, or at the expiration of a definite period after the date of borrowing, as provided by the library rules or by special arrangement with the Librarian in charge.

DATE BORROWED	DATE DUE	DATE BORROWED	DATE DUE
C28(946)M100			

893.7Sa75 L

MAY 6 1947

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU59020148
893.7Sa75 L
Diwan Sarra Durr /